لطف السمر وقطف الثمر

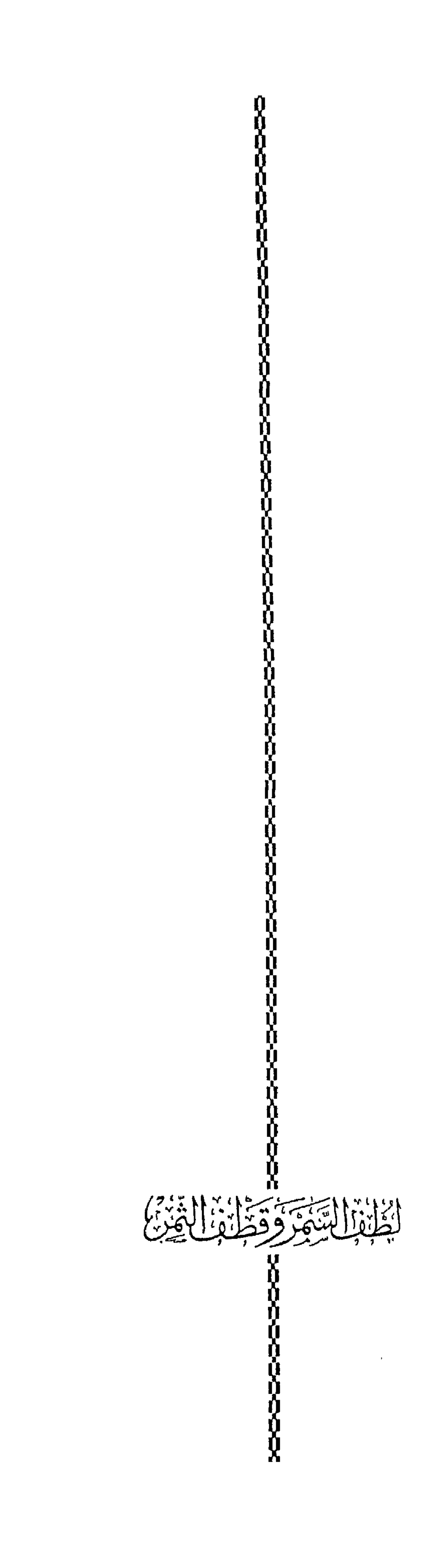
من تراجم أعيان الطبقة الأولى
من القرن الحادي عشر

تأليف :
نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي
٩٧٧ - ١٠٦١هـ = ١٥٧٠ - ١٦٥١م

السفر الأول

حققه
محمود الشيخ

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق


لطف السمر وقطف الثمر

التمهيد

اعتمدت معظم الدراسات التاريخية العربية للقرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين في البلاد العربية إلى عهد قريب ، بصورة رئيسية ، على ماتقدمه الدراسات الغربية المستندة إلى الوثائق والمصادر الأجنبية ، أكثر من اعتمادها على المصادر العربية ، ولذا فقد جاءت هذه الدراسات ملونة في أغلب الأحوال بلون أصحابها ونزعاتهم واتجاهاتهم المختلفة . وقد يكون من العوامل الرئيسة في انصراف المؤرخين العرب عن تتبع الأصول العربية أن أكثرها مايزال مخطوطاً ومشتتاً في مكتبات العالم ودور محفوظاته ، ينتظر من يكشف عنه ،ويبرز كنوزه للعالم ، ويقدم للباحثين مادة علمية جديدة لم تر النور بعد .

وهكذا شكلت هذه المرحلة الزمنية بؤرة مظللة في التاريخ العربي ، تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والاستقصاء ، وتسليط الأضواء عليها ،بالاعتماد على ماتقدمه الأصول العربية من وثائق ومخطوطات . ومن هذه الزاوية تنبع ، في الواقع ، أهمية تحقيق المخطوطات العربية المتعلقة بهذه الحقبة ونشرها ؛ حتى يستطيع المؤرخون والباحثون في هذا المجال من إعادة صياغة تاريخنا على ضوء المعطيات الجديدة التي تقدمها ، وبذلك تكون مصادرهم أكثر استيفاء ، وصورة ذلك الماضي أكثر تكاملاً ووضوحاً ، وأحكامهم أقرب إلى الحقيقة .

وهذا ماادعا كثيراً من الباحثين إلى العناية بنشر التراث وتحقيقه في عصرنا الحاضر ، ولاسيما منذ أواخر الأربعينات من هذا القرن . وقد ساعدهم على ذلك عناية المجامع العلمية والمؤسسات الثقافية بهذا الأمر ، حيث خطت فيه خطوات موفقة ، وجاءت الجامعات لتدلي هي الأخرى بدلوها في هذا المضمار ، فوجهت طلابها في الدراسات العليا إلى الاطلاع على المخطوطات ، واختيارها مواضيع لدراساتهم ، ودفعتهم للقيام بتحقيقها تحقيقاً علمياً يخرجها إلى ضوء النشر العلمي السليم في المستقبل .

ولهذا الأمر فإن مخطوطاً يحقق وينشر عن تلك الفترة من تاريخ الشام بصفة خاصة ، كان مؤلفه معاصراً لذلك التاريخ ، ويكشف عن الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك ، هو كسب كبير لحركة التأريخ العربي المعاصرة .

وإن مخطوط « لطف السمر » للنجم الغزي الذي ذيل به على مؤلفه الكبير « الكواكب السائرة » هو من هذا القبيل ، فهو مصدر غني يترجم لعديد من أعيان ذلك العصر ، وبصفة خاصة لأعيان بلاد الشام . كما أن شمول تراجمه لمعظم البلاد العربية يبرز لنا وحدة هذا العالم ، ويرسم عبر تراجمه الزاخرة بالمعطيات صورة عن المجتمع العربي الشامي ، وبعض ملامح عن المجتمع الاسلامي ، ويطرح بشكل غير مباشر تأريخاً للشعب وتحركاته ومشاعره في تلك الفترة .

وهذه الصورة التي قدمها الغزي عن عصره ، الممتد من تاريخ ولادته إلى وفاته (٩٧٧ — ١٠٦١هـ / ١٥٧٠ — ١٦٥١ م) لن تستكمل جميع أجزائها إلا بالاطلاع على مختلف المخطوطات التي خلفها لنا

مؤرخو بلاد الشام وغيرهم ، من الذين عاصروا هذه المرحلة أو أجزاء منها ، وقدموا صوراً شتى عنها ، وقد رأى بعض هذه المخطوطات النور ، وبعضها الآخر لم يحقق بعد ، أو لم يتكامل تحقيقه . ومن المؤرخين الشاميين الذين وصل إلى علمنا مادونوه : عبد الباسط العاموي (١)المتوفى سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م ، ومصطفى الجنابي (٢) المتوفى سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠ م ، وموسى الأنصاري (٣) المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٢ م . ومحمد بن ابراهيم الحنبلي المعروف بالقاضي أكمل (٤) المتوفى سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٣ م ، وأحمد القرماني (٥) المتوفى سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١١ م ، وحسن البوريني (٦) المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥م ،

---

(١) يدعى تاريخه : مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس ، حققه الدكتور صلاح الدين المنجد ، ونشره بدمشق عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧ م . سيذكر هذا المصدر عند استخدامه باختصار كما يلي : مختصر الدارس .

(٢) يدعى تاريخه : « العيلم الزاخر في أخبار الأوائل والأواخر» لا يزال مخطوطاً ، ونسخه عديدة .

(٣) يسمى تاريخه « نزهة الخاطر وبهجة الناظر » مخطوط ، يقوم أحد طلبة الدراسات العليا بجامعة دمشق بتحقيقه عن نسخة بالظاهرية تحمل الرقم (عام — ٧٨١٤) . سيذكر هذا المصدر عند استخدامه باختصار كما يلي : نزهة الخاطر .

(٤) له « قطعة من تاريخ دمشق وما يتعلق بها » لا يزال مخطوطاً .

(٥) له تاريخ : « أخبار الدول وآثار الأول » طبع في بغداد سنة ١٢٨٢ هـ ، سيذكر هذا المصدر عند استخدامه باختصار كما يلي : أخبار الدول .

(٦) له كتاب « تراجم الأعيان من أبناء الزمان » حقق الدكتور صلاح الدين المنجد الجزأين الأولين،منه ونشرهما في دمشق عام ١٩٥٩ م ، ١٩٦٦ م . أما الجزء الثالث فلا يزال مخطوطاً ، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية في فينا تحت الرقم . (Cod Arab - 1190, Mixt 346) سيذكر هذا المصدر عند استخدامه باختصار كما يلي : « تراجم الأعيان» . ويضاف إلى المخطوط منه كلمة (فينا) .

وأحمد الخالدي الصفدي (١) المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م ، وأبو الوفا العرضي (٢) المتوفى سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠ م ، وفضل الله المحبي (٣) المتوفى سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م ، ومؤرخنا الغزي .

هذا . ولا يجب أن ننسى وثائق المحاكم الشرعية بدمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية خلال هذه الفترة .

وهكذا شرعت في عملي بتحقيق هذا الكتاب القيم وجعلته في بابين :

الأول : جعلته مدخلاً إلى النص ، وهو في فصلين :

استعرضت في أولهما : حياة المؤلف ومنهجيته في البحث التاريخي .

وفي ثانيهما : تناولت وصف نسخه المخطوطة ، ومحتواها ، وأخيراً بينت المنهج الذي اتبعته في تحقيقه .

الثاني : ويتناول تحقيق النص ، والتعليق عليه . وقد عنيت في التعليق بتحليل النص ، ومراجعة وقائعه مع المصادر الأخرى المعاصرة الغزي ، وقمت بشرح المصطلحات ، والتعريف بالأعلام والأماكن بصورة تستوفي الخبر التاريخي ، وتفسر غوامضه ، ولا تثقله . كما

---

(١) له تاريخ : لبنان في عهد الأمير فخرالدين المعني الثاني ، حققه أسد رستم وفؤاد إفرام البستاني ، ونشراه في بيروت ١٩٦٩ م . سيذكر هذا المصدر عند استخدامه باختصار كما يلي : لبنان في عهد الأمير فخرالدين .

(٢) له تاريخ : معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب ، مخطوط ، منه نسخة في المتحف البريطاني ، تحت الرقم OR ٣٦١٨ .

(٣) له تاريخ : فيض المنان في تراجم أعيان الزمان ، مخطوط ، منه نسخة في المتحف البريطاني .

قمت بوزن الأبيات والقصائد الشعرية الواردة عبر التراجم ، وغير ذلك من الأمور التي أوضحتها في منهج التحقيق .

وأخيراً لايسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى كل من قدم لي نصحاً وإرشاداً في سبيل هذا البحث ، وإلى القائمين على مكتبة الجامعة والدراسات العليا ، والمكتبة الظاهرية ، لتعاونهم معي في سبيل خدمة العلم وتقدمه .

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن يوفقني إلى متابعة هذه الخطوة الأولى ببحوث أخرى حول القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، بحيث تجلو غوامضهما ، وتكشف الصورة التي كانا عليها في العهد العثماني .

* * *

الفصل الأوّل

ترجمة الغزي

مصادر ترجمة الغزي :

لقد ذكر الدكتور جبرائيل سليمان جبور في تقديمه لكتاب « الكواكب السائرة » الذي حققه ، أنه لم يعثر إلا على ترجمة واحدة مطولة للنجم الغزي ، وهي التي أوردها المحبي المتوفى سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩ م في كتابه « خلاصة الأثر »(١)، وذكر أيضاً أن المحبي قد استقى هذه الترجمة من مصدرين للمؤلف هما : كتابه « بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد » . وكتابه « الكواكب السائرة » ، وأنه أضاف إلى الترجمة ماسمعه هو نفسه ، أو عرفه عنه لقرب عهده به (٢) . إلا أن متابعة البحث قادتنا إلى العثور على تراجم أخرى للغزي ، وهي :

---

(١) انظر : محمد الأمين المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ أجزاء ، بيروت (بدون تاريخ): ج٤ ، ص ١٨٩ — ٢٠٠ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : خلاصة الأثر .

(٢) انظر : نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة ، تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، ٣ أجزاء ، بيروت ١٩٤٥ — ١٩٥٩ م : ج١ ، صك (مقدمة) . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الكواكب السائرة .

١ – ترجمة الحسن البوريني المعاصر للغزي ، والمتوفى سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م في كتابه « تراجم الأعيان »(١) ، وهي ترجمة مقتضبة تهتم بالنواحي الأدبية والشعرية لدى الغزي أكثر من اهتمامها بانتاجه التاريخي .

٢ – ترجمة تلميذه الشيخ أبي المواهب الحنبلي المتوفى سنة ١١٢٦ هـ / ١٧١٤ م في رسالته عن شيوخه «شيوخ أبي المواهب الحنبلي»(٢) وهي ترجمة مطولة مستقاة من كتاب « بلغة الواجد » السابق الذكر ، الذي رآه أبو المواهب بخط الغزي (٣) ، ومما عرفه أبو المواهب أو سمعه عن أستاذه . وبمقارنة ماجاء في ترجمة أبي المواهب بما كتبه المحبي عنه في « خلاصة الأثر » يتبين أن كلا الاثنين إما نقلا عن مصدر واحد ، أو أن واحداً منهما قد نقل عن الآخر . وقد أضاف أبو المواهب في حواشي ترجمة النجم الغزي تراجم مختصرة لوالده وأجداده .

٣ – ترجمة المحبي له أيضاً في كتابه « نفحة الريحانة » (٤)، بين

(١) انظر : تراجم الأعيان (فينا) : ق ١٤٣ آ – ق ١٤٤ آ .

(٢) انظر : محمد الحنبلي ، شيوخ أبي المواهب الحنبلي ، مخطوط في الظاهرية برقم (عام ٣٦٧٢) :ق٢٤ ب – ق ٢٨ آ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : شيوخ أبي المواهب الحنبلي .

(٣) انظر : شيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

(٤) انظر : محمد أمين بن فضل الله المحبي ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٧ – ١٩٦٩ م : ج ١ ، ص ٥٤١ – ٥٤٦ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : نفحة الريحانة . وقد أشار محقق النفحة إلى أن شهاب الدين الخفاجي ، صاحب كتاب ريحانة الألبا قد ترجم للغزي في كتابه الآنف الذكر : ج ١ ، ص ١٣٨ . وبالرجوع إلى الكتاب المذكور لم نعثر على أي ترجمة له ، وإنما عثرنا على إشارة عابرة ضمن ترجمة والده البدر الغزي .

الشعراء العلماء ، وهي ترجمة مقتضبة على غرار ترجمة البوريني ، تبرز النواحي الأدبية والشعرية عند الغزي ، أكثر مما تبرز مناحي حياته ، وهي في الوقت ذاته ذات أسلوب أدبي مسجع ، قد لايوضح بدقة سمات إنتاج الغزي .

٤ – ترجمة ابن شاشو المتوفى سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م له في كتابه « تراجم بعض أعيان دمشق » (١) وهي الأخرى ترجمة مقتضبة ومسجعة انصبت على وصف إنتاجه الأدبي والشعري أكثر مما عالجت حياته .

٥ – ترجمة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الغزي المتوفى سنة ١١٦٧هـ / ١٧٥٤ م له في كتابه «ديوان الإسلام»(٢) وهي ترجمة موجزة مقتضبة كثيراً ، لا تتعرض إلا لذكر أهم مؤلفاته .

٦ – ترجمة كمال الدين محمد بن محمد الغزي المتوفى سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م له في كتابه : « الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي » . وهي ترجمة مطولة مستقاة من كتاب « بلغة الواجد » ، مضافاً إليها ماعرفه كمال الدين عنه من أسرته ومعارفه . ومما أخذه عن المحبي . (ق ٥٧آ – ٥٩ ب) .

٧ – ذكر شرف الدين موسى الأنصاري المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م للغزي في ثلاثة مواضع من كتابه « نزهة الخاطر » (٣) ، وقد وصف في الموضعين الأول والثاني زيارة النجم له ، وما دار

(١) انظر : عبد الرحمن بن محمد الذهبي المعروف بابن شاشو ، تراجم بعض أعيان دمشق ، من علمائها وأدبائها في القرن الحادي عشر ، بيروت ١٨٨٦ م : ص ١٠١ – ١٠٤ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : تراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) أنظر : محمد بن عبد الرحمن الغزي ، ديوان الإسلام ، مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٢٢٠٨) : ق٦٣ب . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : ديوان الإسلام .

(٣) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٣٣آ ، ق ٣٣٣ ب ، ٣٨٦ ب .

بينهما من أحاديث ، ووصف في الموضع الثالث ختمة النجم الغزي لدرسه في كتاب « صحيح البخاري » تحت قبة النسر، بالجامع الأموي سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩١ م وصفاً حياً .

وإذا كان الغزي قد خلف ترجمة لنفسه حتى بلوغه سن السابعة والعشرين من عمره في كتابه « بلغة الواجد » الذي ألفه في سيرة والده ، والذي ألقى فيه أضواء ساطعة على الفترة الأولى من حياته وتكوينه العلمي والاجتماعي ، وتحدث فيه عن طفولته وتربيته ، وتعليمه ومشايخه ، ونشأته ومؤلفاته الأولى ، فإننا لسوء الحظ لم نعثر على هذا المؤلف ، وإنما عثرنا على مااستقاه كل من أبي المواهب والمحبي في ترجمتهما له . ومن المحتمل أن تلك المقتطفات التي ورداها في ترجمته تؤلف الترجمة الذاتية الكاملة التي قدمها الغزي عن نفسه في مؤلفه المذكور .

وقد خلف بالإضافة إلى ماذكر لمعاً عن حياته في ثنايا كتبه الأخرى ، وخاصة التاريخية منها ، وهي كتاب « الكواكب السائرة » وذيله المسمى « لطف السمر وقطف الثمر » الذي قمنا بتحقيقه و « رحلته إلى الحج » (١) ، و « منبر التوحيد ومظهر التمريد » (٢) .

---

(١) رسالة في رحلة النجم الغزي إلى الحج ، يوجد نسخة منها في الظاهرية بخط المؤلف ، برقم (عام — ٧٩٣٠) ، ويصف فيها النجم سير قافلة الحاج ، ومنازل الحج حتى وصوله إلى مكة المكرمة . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : رحلة الغزي إلى الحج .

(٢) منبر التوحيد ومظهر التفريد في أدب الصوفي والمريد ، وهو شرح على ألفية التصوف لجده الثاني رضي الدين ، انتهى من تأليفه عام ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م . وهو جزءان ، يوجد في الظاهرية منه مايلي : آ — الجزء الأول ، وفيه ثلاث نسخ ، الأولى برقم (عام — ٨٥٨٧) ، وقد ورد عنوان هذه النسخة في فهرس المؤلفين بالظاهرية ، وعلى المخطوطة كما يلي : « الكوثر والمزيد بجلاء الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد » ثم قال النجم على الورقة الأولى منه (ق١آ) : ثم اخترت بعد ذلك أن يسمى (منبر التوحيد ومظهر التفريد) . وهي نسخة بخط المؤلف . والثانية برقم (عام — ٥٦٤٩) ، والثالثة برقم (عام — ٢٩٥٦) ، (توحيد — ٤٧). ب — الجزء الثاني ، منه نسخة واحدة برقم (عام—٢٩٥٧) ، (توحيد — ٤٨) . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : منبر التوحيد.

اسمه ونسبه وأسرته :

واستناداً إلى المصادر السالفة الذكر يتضح لنا أن مؤرخنا ، النجم الغزي ، هو :

« نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد بن رضي الدين محمد أيضاً ابن شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرّج ابن بدري بن عثمان بن جابر بن ثعلب بن ضوي بن شداد بن عاد بن مفرّج ابن لقيط بن جابر بن وهب بن ضباب بن علي بن معيص بن عامر بن لؤي ابن غالب » (١) . العامري القرشي الغزي الدمشقي الأشعري الشافعي .

---

(١) نقلنا تتمة نسبة من ترجمته لجده رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي . انظر : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٣ . وقد علق محمد بن عبدالرحمن بن زكريا الغزي (زكريا هو أخ النجم الغزي) المتوفى سنة ١١٦٧ ﻫ / ١٧٥٣ م في ثبته المسمى « لطائف المنة في فوائد خدمة السنة »- مخطوط في الظاهرية ، برقم (مجموع – ١٤١) ، (عام – ٣٨٧٦) : ق ٢٣ ب – ٢٤ آ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : لطائف المنة – على رواية سلسلة النسب هذه بقوله : « وقد وقع للعم النجم الغزي في هذا النسب خبط وتحريف ، لما ساقه في الكواكب السائرة ، في ترجمة الجد الرضي القرشي العامري » . ثم ادعى محمد بن عبد الرحمن الغزي أنه صحح النسب من كتاب « أنساب العرب » للقاسم ابن سلام اللغوي » ، ابتداء من « ثعلب » إلى « غالب » كالتالي : « ثعلب بن ضوء بن شديد « مصغراً » ابن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهب بن ضباب بن حجير « مصغراً » ابن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب » .

وهذا الاضطراب والاختلاف في رواية سلسلة نسب آل الغزي لم يقف عند آل الغزي أنفسهم ، بل تعداهم إلى المؤرخين الآخرين المترجمين لآل الغزي . وللاطلاع على هذا الاختلاف ، نورد المصادر التالية : رضي الدين محمد الغزي – جد النجم الثاني – ، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين ، مخطوط في الظاهرية برقم (تاريخ – ٥٥) (عام – ٣٤٢٠) : ق ٦٥ ب . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : بهجة الناظرين . ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، الطبعة=

ويلاحظ في التراجم التي أوردها الغزي لأفراد أسرته (١) ، وفي أشعار جده وأبيه (٢) ، تأكيد ملحاح لربط سلسلة نسبهم بقريش ،

=الأولى ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٣ – ١٣٥٥ هـ : ج ١ ، ص ٣٥٦ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الضوء اللامع . وعبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، بيروت (أوفست – بدون تاريخ) : ج ٧ ، ص ١٥٣ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : شذرات الذهب . وتراجم الأعيان : ج ٢ ، ص٩٣. وخلاصة الأثر : ج ١ ، ص ١٣٥ وج ٤ ، ص ١٨٩ . ومحمد بن علي الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن ما بعدالقرن السابع ،ويليه « التابع للبدر الطالع ،لمحمد بن محمد اليمني» ، الطبعة الأولى ، جزءان ، القاهرة ١٣٤٨ هـ : ج ٢ ، ص ٢٥٢ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : البدر الطالع . وقد حاول بعض المؤرخين السابقين التخلص من هذا الاضطراب ، بحذف قسم من سلسلة النسب ، إما لشكهم فيه ، أو لعدم اطلاعهم عليه .

(١) انظر مثلاً على ذلك: ترجمة جده رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي في الكواكب السائرة : ج٢ ، ص ٣ . وترجمة والده البدر محمد الغزي في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٣ . وترجمة أخيه شهاب الدين أحمد الغزي في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٠٠

(٢) وفي ذلك يقول جده الأول رضي الدين محمد الغزي :

وأبو الفضل كنيتي وانتسابي ... من قريش لعامر بن لؤي

انظر : خلاصة الأثر : ج١ ، ص ١٣٥ . ولطائف المنة : ق ٢٤ ب .

ويقول والده البدر الغزي في إجازته لعلي الزيادي :

وقائله محمد المكنى ... أبا البركات واذكر باطراد
رضي الدين والده وجداً ... وكل كان يوسم بانفراد
ووالده الشهاب الحبر نجل ... لعبد الله مسجوم العهاد
غزير الفضل وهو سليل بدر ... هو ابن مفرج الكرب الشداد
لعامر الكريم فتى لؤي ... توصل الانتشاب على السداد

انظر : لطف السمر ، ص ٥٧٦ – ٥٧٧ . وقد أكد ذلك أحد أحفاد أسرة آل الغزي ، وهو محمد بن عبد الرحمن الغزي في كتابه « لطائف المنة » : ق٢٤ ب بقوله : « فأنا أنتسب إلى عامر بن لؤي بن غالب ، أخي كعب بن لؤي ، جد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا إلى عامر بن ربيعة . . . فيلتقي نسبنا مع شريف نسبه صلى الله عليه وسلم » .

وبأحد أجداد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . وهو لؤي ابن غالب (١) .

وقد يتساءل المرء عن السبب في هذا الإلحاح على هذا النسب ، أهو نوع من التفاخر بالحسب ، أم هو تثبيت لأصالة نسب ، في وقت كثر فيه ادعاء الانتساب للأشراف في دمشق وحلب (٢) ، كي ينعم المدعون ، على مايبدو ، بالمكانة الاجتماعية الرفيعة التي كان يتمتع بها الأشراف في المجتمع ؟ (٣) أم رغبة في بيان الأصالة العربية في وقت ساد فيه الحكم التركي – العثماني ، وتزايد الأروام في مناصب الإدارة والقضاء ، وبرزوا بين الأعيان ! ؟ كما يتبدى من ترجمة الغزي لعديد منهم في كواكبه وذيله .

قد يكون الدافع كل ذلك مجتمعاً ، وقد يكون مجرد تثبيت موضوعي للنسب البعيد ، جرياً على سنة مترجمي سير الرجال ، في استقصاء

---

(١) لؤي بن غالب ، جد جاهلي من قريش ، من العدنانية ، من نسله النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، انظر : خيرالدين الزركلي ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) الطبعة الثالثة ، ١١ جزءاً ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٩ م : ج ٤ ، ص ٢٤ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الأعلام .

(٢) انظر حول هذه الفكرة مثلا : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٣١ ،وج ٣ ، ص١٩ ، في قضية ثبوت نسب الصمادية إلى الأشراف ، وتغييرهم عمائمهم وشدهم من اللون الأحمر إلى الأخضر . وانظر أيضاً : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٤٩ من إثبات الصمادية وبني الدسوقي نسبهم إلى الأشراف . وأيضاً خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ١٠٣ في ترجمة « عبد الوهاب التاجي » الذي (اتفق له أنه ادعى الشرف من جهة أمه لكونها شريفة).

(٣) انظر : محمد أديب تقي الدين الحصني ، منتخبات التواريخ لدمشق : ٣ أجزاء ، دمشق ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م : ج٢ ، ص ٨٠٦ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : منتخبات التواريخ .

الأنساب ، ولاسيما العربية منها . ولكن مهما تكن الأسباب الدافعة فإنه مما لاشك فيه أبداً أن الانتساب لأحد أجداد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، يبقى شرفاً وفخراً للأسرة التي تنتسب إليه ، يشعرها بجذورها البعيدة ، وارتباطها الزماني والمكاني بالعرب والإسلام.

ومهما تكن الأسباب أيضاً ، فإن النسب يدل بوضوح تام على أن نجم الدين الغزي ، قد انحدر من أسرة عربية أصيلة ، استقرت في دمشق ، وافدة إليها من غزة .

ويبدو أن أول من وفد منها وكني بالغزي ، كان « الشهاب أحمد الغزي » الجد الثالث للنجم ، بدليل ماقاله والد النجم « بدر الدين » في إجازته الشعرية للزيادي :

وبالغزي شهرتنا لأن الشها ب بها توطن في المبادي (١)

وبدليل إجماع المترجمين له (٢) ، حتى إن محمد بن عبد الرحمن الغزي، أحد أحفاد الأسرة ، بدأ عند ترجمته لأجداده ، بسيرة جده « شهاب الدين أحمد » دون غيره . ويشير إلى أنه أول من انتقل من غزة إلى دمشق . وهذا ينفي ماأورده محقق « الكواكب السائرة » الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، من أن أول من انتقل من غزة إلى دمشق من

(١) انظر : لطف السمر : ص ٥٧٧ .

(٢) راجع حول هذه الفكرة : الضوء اللامع : ج١ ، ص ٣٥٦ . وبهجة الناظرين : ق ٦٥ ب . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب . ولطائف المنة : ق ٢٥ ب . وشذرات الذهب : ج٧ ص ١٥٣ . والبدر الطالع : ج١ ، ص ٧٥ . وهذه المصادر كلها تجمع على أن نسبة آل الغزي إلى الشهاب أحمد ، الذي كان أول من هاجر من غزة إلى دمشق وقطنها .

آل الغزي كان الجد الحادي عشر للنجم «ضوي»(١)، ولعل إيراد المحبي « الغزي » بعد اسم « ضوي » (٢) كان العامل الذي دفع بالدكتور جبور إلى تبني هذا الرأي .

ومن المرجح أن هجرة « الشهاب أحمد » من غزة إلى دمشق قد تمت حوالي عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م (٣) . ولا يفصح مترجمو « الشهاب الغزي » السابق ذكرهم ، عن أسباب هجرته إلى دمشق : فقد تكون رغبته الشديدة في استقصاء طلب العلم هي التي دفعته للهجرة ، على عادة علماء ذلك العصر . وقد يضاف إلى ذلك حبه للشهرة ، وتسنم المناصب الدينية الرفيعة ، لأن غزة في ذلك العصر كانت بلدة صغيرة لاتحقق له المجد العلمي الذي كان يرجوه ، بالمقارنة مع مدينة دمشق ، التي كانت تعتبر آنذاك العاصمة الثانية للمماليك بعد القاهرة . ويدعم هذا التفسير ماتوصل إليه الشهاب من مقام محمود بعد هجرته إليها ، إذ تولى أرفع المناصب الدينية في دمشق ، لابل تفرد برئاسة الفتوى فيها ، كما تولى نظر البيمارستان النوري ، وهو من المناصب الديوانية الكبيرة بدمشق ، والتولية فيه كانت في العهد المملوكي مقيدة بمن يختاره نائب دمشق المملوكي من أرباب الأقلام فيها (٤) .

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : ل – مقدمة .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ١٣٥ وفيه (جابر بن ثعلب بن ضوي الغزي بن شداد . .) .

(٣) انظر : بهجة الناظرين : ق ٦٨ آ . ولطائف المنة : ق ٢٥ آ .

(٤) انظر أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ١٥ جزءاً ، بيروت (أوفست ، بدون تاريخ) : ج ٤ ، ص ١٨٤ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : صبح الأعشى . . وانظر أيضاً : أحمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م : ص ٢٠٦ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : تاريخ البيمارستانات .

ولم يكتف الشهاب بهذه المناصب التي رفعت اسمه عالياً ، بل دعم مكانته العلمية بعدد من المؤلفات التي تخلد ذكره ، منها : « شرح الحاوي الصغير (١) و « شرح جمع الجوامع (٢) » وغيرهما ، وتوفي حاجاً بمكة سنة ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م (٣) .

ويبدو أن الشهاب قد غرس شجرة العلم الوارفة في أسرته ، فنما أولاده وأحفاده من بعده على منواله. فقد عرف عن ولده « رضي الدين محمد » الذي ولد في دمشق سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م أنه حفظ القرآن الكريم ، وهو دون السابعة من عمره ، وتصدر للتدريس والإفتاء وهو دون العشرين ، وناب في القضاء بدمشق ، وصار من أعيان الشافعية بها ، وبرع في علم الحديث وأسماء الرجال كما يشير مترجموه ، واشتهر بمؤلفاته التاريخية التي منها : كتابه في طبقات الشافعية المسمى « بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين » (٤) ، وترجمته لحياة الظاهر جقمق المسماة « سيرة السلطان الظاهر جقمق » ، وتوفي سنة ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م (٥) .

---

(١) الحاوي الصغير – في الفروع ، للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م . انظر : محمد بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م : ج ١ ، ص ٦٢٥ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : كشف الظنون .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٥٨٤ ، ح ٥ .

(٣) انظر ترجمته في بهجة الناظرين : ق ٦٥ ب . والضوء اللامع : ج ١ ، ص ٣٥٦ . وشذرات الذهب : ج٧ ، ص ١٥٣ . والبدر الطالع : ج ١ ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : ص ١٥ ، ح ١ .

(٥) انظر ترجمته في لطائف المنة : ق ٢٦ ب .

وقد ولد لرضي الدين محمد المذكور طفل قبيل وفاته بعامين – أي في سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م – سماه باسمه « محمداً » ولقبه بلقبه ذاته أيضاً « رضي الدين » . ونشأ هذا الطفل يتيماً ، واشتغل بالعلم وتصدر للإفتاء والتدريس كحال أبيه وجده من قبله ، كما تولى القضاء بدمشق . وقد وصفه حفيده النجم بقوله « وكان ممن قطع عمره في العلم طلباً وإفادة وجمعاً » (١) . وعلى هذا فقد أمد المكتبة العربية بعدد من مؤلفاته التي نذكر منها كتابه « الملاحة في علم الفلاحة » و « الدرر اللوامع – نظم جمع الجوامع » في الأصول ، و « الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد » ، وهي ألفية في التصوف قام حفيده النجم بشرحها (٢) ، وقد عاصر سقوط دولة المماليك في بلاد الشام ومصر ، وبدايات الحكم العثماني فيهما ، وتوفي سنة ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م (٣) .

وجاء من بعده ولده بدر الدين محمد ، وهو والد النجم الغزي مؤرخنا – لتطبق شهرته الآفاق بالعلم والعرفان ، فقد ولد سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٩ م ، وبرع في فنون العلم وهو صغير ، حتى تصدر للتدريس وهو ابن سبعة عشر عاماً ، ودرس في عدد من مدارس دمشق ، وتولى مشيخة القراء بالجامع الأموي ، وإمامة المقصورة ، وأخيراً تولى إفتاء الشافعية بدمشق . ولم تشغله مناصبه هذه عن التأليف

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٣ .

(٢) انظر حول هذا الشرح التعليق رقم (٢) ، ص ١٤ من هذه الدراسة.

(٣) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٣ . وشذرات الذهب : ج٨ ، ص ٢٠٩ . ومنتخبات التواريخ : ج ٢ ، ص ٥٧٨ . والأعلام : ج ٧ ، ص ٢٨٤ .

والنظم ، كأبيه وأجداده ، فقد (بلغت تصانيفه مائة وبضعة عشر مصنفاً) على مايذكر ولده نجم الدين ، نذكر منها تفاسيره الثلاثة « المنظومان » الكبير والصغير (١) ، و « التفسير المنثور » ، و « الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد » (٢) و « رحلة إلى مكة » (٣) وغيرها . وتوفي سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٧ م (٤) .

* * *

حياة الغزي وثقافته الأولى :

وهكذا بلغت أسرة النجم الغزي منزلة اجتماعية رفيعة في المجتمع الدمشقي ، وتأصل فيها طلب العلم وعطاؤه ، حتى غدا وكأنه منها أو كأنها منه . وفي هذا المناخ المفعم بالعلم والصلاح والتقوى ولد النجم الغزي ، وكانت ولادته بدمشق ، وقت الظهيرة ، من يوم الأربعاء في الثالث عشر من شعبان عام ٩٧٧ هـ / ٢٢ كانون الأول ١٥٧٠ م (٥) .

---

(١) يوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق الجزء الثالث من « التفسير المنظوم الكبير » برقم (عام — ٤٦٩٨) وقطعة من هذا التفسير المسمى « تيسير البيان في تفسير القرآن » برقم (عام — ٦٩٤٢) . أما التفسير المنظوم الصغير ، فيوجد منه نسخة برقم (عام — ٤٦٩٩) .

(٢) يوجد نسخة واحدة منه في الظاهرية برقم (عام — ٨١٨٤) .

(٣) يوجد نسخة واحدة منها في الظاهرية برقم (أدب — ٥٩) .

(٤) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ٣ . وشذرات الذهب : ج ٨ ، ص ٤٠٣ . ومنتخبات التواريخ : ج ٢ ، ص ٥٨٩ . والأعلام : ج٧ ، ص ٢٨٨ .

(٥) هذا التاريخ أورده الغزي في كتابه « منبر التوحيد » : ج٢ ، ق ٢٥٠ آ . وثبت صاحب شيوخ أبي المواهب الحنبلي هذا التاريخ في هامش : ق ٢٥ آ . إلا أنه أورد تاريخ ميلاده في : ق ٢٤ ب في (١٢) شعبان ، أما المحبي فقد جعل تاريخ ولادته في خلاصة الأثر : ج ٤ ، ١٨٩ في « (١١) شعبان » .

وقد رأى النجم تاريخ ولادته هذا بخط والده، وقد أرفق بدعاء يتمنى له فيه الصلاح والفلاح ، والعلم والكفاية ، فقد جاء فيه (أنشأه الله تعالى وعمره ، وجعله ولداً صالحاً ، براً تقياً ، وكفاه وحماه من بلاء الدنيا والآخرة ، وجعله من عباده الصالحين ، وحزبه المفلحين ، وعلمائه العاملين ، ببركة سيد المرسلين — صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — وحسبنا الله ونعم الوكيل)(١) وكني النجم بأبي المكارم وبأبي السعود(٢) ، ونشأ محمد النجم الغزي في كنف والديه ورعايتهما ؛ وتمتع بحنانهما معاً سنوات سبعاً ، إلا أنه سرعان ما اخترمت يد المنون حياة أبيه ، فخلفه يتيماً ، وهو لايزال طفلاً لما تعجم الأيام بعد عوده . ومع أن الأب لم يعايش ابنه طويلاً إلا أنه غرس في ذاته منذ تلك السن المبكرة بذور الدين والصلاح ، وقدمه للعلم ، وهو في الرابعة من عمره ، وصار يحضر دروسه العامة التي كان يلقيها في المدرسة التقوية (٣) ، والشامية الجوانية (٤) ، وبالجامع الأموي (٥) ، وهو ابن خمس سنوات ،

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٠ . وقد أشار الدكتور جبرائيل سليمان جبور إلى أنه رأى في آخر صفحة من مخطوطة « كتاب الكواكب السائرة » التي تملكها الجامعة الأميركية في بيروت سجلا كتبه المرحوم اسماعيل الغزي لتاريخ تسعة من أولاده ، وأنه علق على كل تاريخ دعاء كالذي أشار إليه النجم هنا . انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : ل — مقدمة .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٨٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

(٣) انظر عنها : لطف السمر : ص ٣٦ ، ح١ .

(٤) من مدارس الشافعية بدمشق ، قبلي البيمارستان النوري ، أنشأتها ست الشام زمرد بنت أيوب المتوفاة سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، خربت ولم يبق منها سوى جدار ، وتحول مكانها إلى دور للسكن . انظر : عبد القادر بن محمد النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، جزءان ، دمشق ١٣٦٧ — ١٣٧٠ هـ / ١٩٤٨ — ١٩٥١م: ج ١ ، ص ٣٠١ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي: الدارس . ومنتخبات التواريخ: ج ٣ ، ص ٩٤٦ . ومحمد كرد علي ، خطط الشام ، ٦ أجزاء ، دمشق ١٣٤٤ — ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٥ — ١٩٢٨ م: ج ٦ ، ص ٨١ . =

وبرفقة أخيه كمال الدين (١). ثم نقـــله قبيل وفاته إلى المدرســـة العزيزية (٢) حيث صـــار يتلقى العلم فيها على يد الشيخ « يحيى العمادي » (٣) كما سيأتي بيانه ، مع استمراره في حضور دروس والده المشار إليه آنفاً ، حتى وفاة الوالد — أي لمدة ثلاث سنوات من سنة ٩٨٢ — ٩٨٤ هـ — وقد استمع النجم خلالها ، وهو في تلك المرحلة الغضة من الطفولة ، إلى دروس والده في التفسير، من أواسط سورة

=سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : خطط الشام . وعبد القادر بدران ، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، طبع تحت رعاية الأمير الكويتي (بدون تاريخ) : ص ١٠٦ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : منادمة الأطلال .

(٥) انظر : منبر التوحيد : ج ٢ ، ق ٢٥٠ آ .

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

(٢) من مدارس الشافعية بدمشق ، كانت شرقي التربة الصلاحية ، وغربي التربة الأشرفية ، وشمالي الفاضلية بالكلاسة ، لصيق الجامع الأموي ، من جهة الشمال . بناها الملك العزيز عثمان الأيوبي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م ، ونقل والده صلاح الدين الأيوبي ودفنه بجوارها . وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي أمر والي سورية ضياء باشا بهدمها ، فهدمت ولم يبق منها سوى محرابها ،وتحولت إلى حديقة ضمت إلى مدفن صلاح الدين الأيوبي، كما تحول قسم منها إلى دار للسكن . انظر : الدارس : ج ١ ، ص ٣٨٢ . ومنتخبات التواريخ : ج ٣ ، ص ٩٤٨ . وخطط الشام : ج ٦ ، ص ٨٦ . ومنادمة الأطلال : ص ١٢٩ . والدكتور صلاح الدين المنجد ، أبنية دمشق الأثرية ، بحث نشره في مجلة المشرق ، المجلد الثاني ، بيروت ١٩٤٨ م : ص ٢٦٠ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : أبنية دمشق الأثرية . ومختصر الدارس : ص ٦٠ .

(٣) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٢٠ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

النساء (١) . وكان والده يتمنى أن يقرئه في كتاب « التنبيه » (٢) ، ويقول : (إن أحياني الله تعالى حتى يكبر نجم الدين أقرأته في كتاب التنبيه) (٣) ، ولكن هذه الأمنية لم تتحقق له .

ولابد أن النجم قد أخذ مبادىء القراءة والكتابة عن أبيه قبل أن يبدأ قراءة القرآن الكريم ، وإن كان من الممكن أن يكون قد حفظ بعض سوره عن ظهر قلب ، على عادة التعليم في ذلك العصر ، قبل أن يتعلم القراءة . ومن البدهي أن يهتم والد النجم بتمكين أولاده من قراءة القرآن ، وخصوصاً أنه « شيخ الإقراء بالجامع الأموي » . ويبدو أنه كان يسعى لترغيبهم في قراءته ، وحفزهم على ذلك ، ومنهم النجم بالذات بنفحهم بعض المال كلما رأى منهم إقبالاً على التعلم وفلاحاً . وهكذا ما إن بلغ النجم السابعة من عمره حتى كان يقرأ بين يدي والده قصار المفصل وسورة الفاتحة وسورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ (٤) .

ويبدو أن والد النجم قد رأى في ولده أمارات مستقبل علمي

---

(١) انظر : منبر التوحيد : ق ٢٥٠ آ .

(٢) التنبيه في فروع الشافعية، للشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦ ﻫ / ١٠٨٣ م . انظر : كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٨٩ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب ، ق ٢٦ ب . (ملاحظة : يوجد هنا تقديم وتأخير في ترتيب أوراق مخطوط أبي المواهب الحنبلي ، لم يتنبه إليه مرقمه ، الذي رقمه بقلم الرصاص . وقد أبقينا على ترقيمه ، فليتنبه لذلك)

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

نير ، وتفتح ذهني مبكر ، فأجازه إجازة خاصة أمام من كان يحضر دروسه ، كما أجازه في حزبه (١) الذي كتبه لمفتي مكة الشيخ قطب الدين النهروالي (٢)» إجازة عامة في عموم أهل عصره من المسلمين(٣). وقد تكون هاتان الإجازتان أحد الحوافز التي جعلت النجم يزداد انكباباً على العلم والمعرفة ، ويتابع النهج الذي وضعه فيه أبوه ، ولاسيما أنه كان يسمعه وهو يدعو له كثيراً بالتوفيق ، وتحصيل العلم (٤) .

ولم يكتف البدر الغزي بكل ذلك ، وإنما رباه وإخوته على القيام بالفروض الدينية في سن مبكرة ، فقد أمره بصيام شهر رمضان ، وهو ابن ست سنوات (٥) ، فصام في ذلك العام معظم الشهر ، وصام

---

(١) الحزب : الورد ، القسم من القرآن وغيره . انظر : القاموس المحيط : ج ١ ، ص ٥٦ .

(٢) هو قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي ، فقيه مؤرخ ، مفتي مكة ، من مؤلفاته : البرق اليماني. توفي سنة ٩٩٠ ﻫ / ١٥٨٢ م . انظر : قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ١٣٨٧ ﻫ / ١٩٦٧ م : المقدمة . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : البرق اليماني. والكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٤٤.

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٤) انظر : خلاصة الأثر ، ج٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

(٥) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٠ . وقد ورد في شيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب مايلي : (وأمرني وأنا ابن سبع سنوات أن أصوم رمضان) ثم ناقض نفسه عندما قال بعد قليل في نفس الصفحة : (وصمت رمضان السنة التي مات فيها إلا يوماً أو يومين ، وأنا ابن سبع سنين) . مما يدل على أن أبا المواهب أو ناسخ المخطوط قد سها في نقل التاريخ ، وصوابه ماورد في خلاصة الأثر وهو : (وأمرني وأنا ابن ست سنوات أن أصوم رمضان) .

رمضان كله في السنة التي بعدها إلا يوماً أو يومين . ومثلما كان يشجعه والده على قراءة القرآن الكريم بالعطاء النقدي ، فإنه كان يفعل معه ذلك في الصيام ، إذ كان يمنحه عن كل يوم يصومه قطعة فضة ، وكان الطفل يشعر بالسعادة ، وهو يجلس مع والده للسحور ، فكأنه غدا صنواً لأبيه (١) .

ولم يحصر الوالد تعليم طفله بهوحده، بل عمد إلىوضعه بين يدي جماعة من علماء دمشق ، فأقرأه القرآن الكريم على الشيخ « عثمان اليماني » ، وهو شيخ لاندري الكثير عنه ، ثم نقله قبيل وفاته إلى الشيخ « يحيى العمادي » (٢) ، فختم عليه قراءة القرآن الكريم مرات ، وحفظ عليه معظمه ، كما قرأ عليه في الأجرومية (٣) والجزرية (٤) والشاطبية (٥) والألفية (٦)

ويبدو أن الشيخ قد أعجب بنباهة تلميذه وذكائه ، فمنحه حبه وحنانه ، حتى كان يدعوه بابنه ، ويستعرض درسه أمام زواره من أصدقائه ،

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب .

(٢) هو يحيى العمادي ، معلم الأطفال بالمدرسة العزيزية ، والمتوفى سنة ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م . انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ٢٢٠ . وقد ورد اسمه في خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩١ « يحيى العماري » ، وفي شيوخ أبي المواهب الحنبلي ، « يحيى الغماري » ، ويبدو أن الصواب ما أثبتناه ، من ترجمته في الكواكب السائرة .

(٣) انظر : لطف السمر : ص ٥٤٨ ، ح ٦ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٢٥ ، ح ٢ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٢٤ ، ح ١٠ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٨٣ ، ح ٦ . وانظر حول ماورد أعلاه : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

وهو فخور به ، ويطلب منهم الدعاء له . فمن ذلك استعراضه له أمام صديقه الشيخ مسعود المغربي (١) الذي دعا له قائلاً : (بارك الله فيك ياولدي) . وكان الغزي يتفاءل ، ويتبرك بمثل هذه الأدعية ، حتى إنه يعلق على دعاء مسعود المغربي له آنذاك بقوله (وأنا أجد بركة دعائه إلى الآن) (٢). وقد قابل الغزي عطف أستاذه عليه ، وتعليمه له بالشكر والعرفان ، والتجلة والاحترام ، حتى إنه ظل في ذاته ، على مايبدو، عندما نبه ، وعلا شأنه ، وسما قدره ، فقال واصفاً إياه (إنه كان من أولياء الله تعالى ، ممن تطوى له الأرض) (٣) .

وعندما انتقل والد النجم إلى رحمة الله تعالى ، ولما يطل بعد مقامه مع ابنه ، احتضنته والدته التي عوضته برأمها وعطفها عن الشعور بآلام اليتم ، ومرارة الحياة . وشاركها في رعايته خاله الخواجا زين الدين عمر بن الخواجا بدر الدين حسن بن سبت (٤) . ولقد قدم النجم الغزي خلال ترجمته لحياته صورة رائعة لهذه الأم ، وجهودها في حسن رعايته ، ورعاية إخوته . وطرح بذلك نموذجاً حياً للمرأة العربية المعطاء في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر / الثلث الأخير من القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر

---

(١) هو مسعود بن عبدالله المغربي ، متصوف ، كان يضرب الأبواب المغربية جدراناً لبساتين دمشق ، توفي سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج٣ ، ص ٢٢٠ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٤) لم يعثر على ترجمة له .

الميلادي . وإذا كان النجم لم يذكر لنا اسمها ، فانه كشف لنا عن عائلتها ، فهي ابنة « الخواجا بدر الدين حسن بن سبت » ، الذي كان من تجار دمشق (١) . ويبدو أن الإطار العلمي والاجتماعي والديني لأسرة الغزي قد طغى على ذاتية والدة النجم ، فلم تسعَ لجر ولدها إلى مهنة أخواله في التجارة ، والتنقل بين البلدان لكسب المال ، بل تركته يعيش جو أسرته ، ومكنت له ولإخوته الارتقاء العلمي — الديني ، وليغدو أحسن خلف لأفضل سلف . وتتدفق عواطف الغزي صافية رقراقة ، وتنطلق كلماته شائقة حية ، ومحترمة مبجلة ، عندما يصف رعاية والدته له ولإخوته ، ونهج تربيتها الاجتماعية والعلمية القويم ، فيقول عنها : (ثم ربيت بعد وفاته — أي وفاة والده البدر الغزي — في حجر والدتي أنا وإخوتي ، فأحسنت تربيتنا ، ووفرت حرمتنا ، وعلمتنا الصلوات والآداب ، وحرصت على تعليمنا القرآن ، وجازت شيوخنا على ذلك وكافأتهم ، وقامت في كفالتنا بما هو فوق ماتقوم به الرجال ، مترملة علينا ، راغبة من الله سبحانه في حسن الثواب والنوال ، وجزيل الحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من يفتح باب الجنة ، إلا أني أرى أمرأة تبادرني ، فأقول لها : مالك ؟ ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي) . . . وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا وامرأة سفعاء (٢) الخدين كهاتين يوم القيامة ، وأومـأ بيده

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق٢٦ب.

(٢) السفعاء : المرأة التي تغير لونها إلى الكمودة والسواد ، إما من طول الأيمة ، أو لأنها بذلت وجهها حتى اسود ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها لئلا يضيعوا . والمراد : أنها حبست نفسها على رعاية أولادها ولم تتزوج ، فتحتاج إلى الزينة والتصنع للزوج . انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٠ — ١٩١ . ومجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ١١ جزءاً ، دمشق ١٣٨٩ — ١٣٩٣ هـ / ١٩٦٩ — ١٩٧٣ م : ج ١ ، ص ٤١٤ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : جامع الأصول .

ـ يريد . . . السبابة والوسطى ـ وامرأة آمت (١) من زوجها ، ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا (٢) أو ماتوا) . . . فجزاها الله عنا أحسن الجزاء ، وعوضها عما تركت من أجله لوجهه في دار البقاء) (٣) .

وساعدت الظروف المالية الحسنة للأسرة ، النجم الغزي وإخوته ، على متابعة مستواهم الحياتي السابق ، والمثابرة على الاستزادة من العلم ، دون اللجوء إلى احتراف مهنة ما تقوم بأود الأسرة بعد وفاة معيلها . وإلى ذلك أشار النجم بقوله : (وكانت معيشتنا من ريع وقف جدنا ، وملك أبينا ، وميراثه تلقيناه عنه . أحسنت والدتنا التصرف في أموالنا ، وفي مؤونتنا وكسوتنا ، ولم تحملنا منة أحد قط ، وتقول هو ببركة والدهم . ثم إنها أعزها الله ، ومد في أجلها ، أشغلتنا بقراءة القرآن ، وطلب العلم) (٤) .

وقد ساعد خال النجم أخته ـ والدة النجم ـ في تربية أبنائها ، وتعليمهم ، وتنمية أموالهم ، مما حدا بالنجم لأن يقرّ بفضله ، ويذكره

---

(١) آمت المرأة : إذا صارت أيماً ، وهي من لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيباً ، تزوجت أم لم تتزوج بعد . انظر : جامع الأصول : ج ١ ، ص ٤١٤ .

(٢) بانوا ، البين : البعد والانفصال ، أراد : حتى تفرقوا أو ماتوا . انظر : جامع الأصول : ج ١ ، ص ٤١٤ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ١٩٠ – ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

الذكر الحسن، فقال : (وساعدها على ذلك كله شقيقها الخواجا زين الدين عمر بن الخواجا بدرالدين حسن بن سبت، وأجزل إليناخيراً) (١).

* * *

شيوخه :

وهكذا انصرف النجم إلى أخذ العلم . ولاسيما علوم الدين ، وعلوم اللغة العربية ، وذلك على يد جماعة من كبار علماء دمشق في ذلك العصر ، وهم :

الشيخ « زين الدين عمر بن سلطان » (٢) الحنفي ، مفتّي الحنفية بدمشق ، المتوفى سنة ٩٩٧ هـ / ١٥٨٨ م الذي قرأ عليه الأجرومية ــ حفظاً وحلاً ــ ، كما قرأ عليه شرحها (٣) للشيخ خالد الأزهري(٤). وقال عنه : « هو أول مشايخي في العلم ، وانتفعت به) .

والشيخ « شهاب الدين أحمد بن يونس العيثاوي » (٥) ، مفتّي الشافعية بدمشق . لازمه النجم وحضر دروسه من سنة تسعين أو ماقبلها ، وحتى وفاته في سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م ، فقرأ عليه في

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٢) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٣) انظر عنه : لطف السمر : ص ٥٤٨ ، ح ٦ .

(٤) انظر : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٥) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١١٤) .

المنهاج (١) ــ تقسيماً وانفراداً ــ وشرحه الصغير (٢) لوالده البدر الغزي (٣) ، وشرح الجزرية للمكودي (٤) ، ومن أوائل شرح البهجة للقاضي زكريا الأنصاري (٥) ، وفي الحديث الشريف من أول البخاري (٦) وغير ذلك . وسمع عليه معظم المحلى (٧) ، وشرح الإرشاد لابن حجر (٨) ، وعقيدة الشيباني (٩) ، وغير ذلك مما لايحصى . وأجازه شيخه هذا بالفتوى (١٠) ، وقال عنه النجم : (وله عليّ تربية وحنوّ وعطف ، وهو أعز شيوخي عندي ، وأحبهم إليّ . جزاهم الله عنّي خيراً) (١١) .

والشيخ الثالث من شيوخ الغزي الكبار « القاضي محب الدين محمد

---

(١) انظر التعريف به : المصدر نفسه : ص ٦ ، ح ٣

(٢) انظر التعريف به : المصدر نفسه : ص ٣١١ ، ح ٥

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣١١ .

(٤) شرح الجزرية – في علم القراءات والتجويد ، للشيخ عبد الرحمن بن علي المكودي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م . انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ٩١ .

(٥) انظر التعريف بالبهجة : لطف السمر : ص ٨١ ، ح٣ . وقد قام بشرحه القاضي زكريا محمد الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ١٩٨ ، ٢٠١ .

(٦) يقصد : الجامع الصحيح في الحديث ، المشهور بصحيح البخاري ، للإمام الحافظ ابي عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م . انظر : كشف الظنون : ج ١ ، ص ٥٤١.

(٧) انظر : لطف السمر : ص ٢٥٤ ، ح ١ .

(٨) انظر عنه المصدر نفسه ، ص ٣١٢ ، ح ٢ .

(٩) انظر عنها : المصدر نفسه : ص ٣١٢ ، ح ٤ .

(١٠) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١١ – ٣١٢ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص١٩١.

(١١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ .

ابن أبي بكر الحموي » (١) ، مفتي الحنفية بدمشق ، المتوفى سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٨ م ، الذي لازمه النجم أيضاً ، وقرأ عليه شرحه على منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان (٢) وقام بنظمه (٣) ، كما قرأ عليه من أول المطول (٤) ، ونحو ربع صحيح البخاري ، وأجازه به وبغيره – كتابة ولفظاً (٥) – ، وقد قال عنه النجم : (وهو – متع الله بحياته – إلى الآن يوصل إلينا إحسانه وإنعامه : علماً ، وثناءً ، ومالاً وغير ذلك مما لانستطيع مكافأته إلا أن يجازيه الله عنا أحسن الجزاء) (٦) .

أما الملا « أسد بن معين الدين التبريزي » الشافعي (٧) المتوفى سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩ م ، فقد قرأ عليه النجم ، وهو في الخامسة عشرة من عمره – أي حوالي عام ٩٩٢هـ / ١٥٨٤ م شذور الذهب لابن هشام (٨) ، ودروساً من شرح الجاربردي على الشافية (٩) ، ولكنه لم يلازمه كما فعل بمشايخه السابقين .

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٣٦).

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٢٠ ، ح ٨ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٢٠ . وهذا النظم مفقود .

(٤) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٢٠ ، ح ١٠ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ١٢٠ – ١٢١. وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب .

(٦) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٧) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٢٧ . وتراجم الأعيان : ج ٢ ، ص ٣٤ . وشذرات الذهب : ج ٨ ، ص ٤٣٨ .

(٨) هو شذور الذهب – في النحو ، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م . انظر : كشف الظنون : ج ٢ ، ص ١٠٢٩ .

(٩) الشافية – في التصريف ، لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م . انظر : كشف الظنون : ج ٢ ، ص ١٠٢٠ . شرحها أحمد بن الحسن الجاربردي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م . انظر : كشف الظنون : ج ٢ ، ص ١٠٢١ . والأعلام : ج ١ ، ص ١٠٧ .

وفي الوقت الذي كان فيه الغزي يستقي علوم العربية ، وعلوم الحديث من كبار مشايخ عصره ، فانه كان يتابع صقل قراءته للقرآن الكريم وتجويده . فتتلمذ على الشيخ المقرىء المجود « بدر الدين حسن ابن محمد بن نصير (أو نصر) الصلتي (١) » المتوفى سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م ، فقرأ عليه سورة البقرة بقراءة عاصم (٢) ، ولكنه لم يقرأ عليه غيرها ، لأن المنية اخترمت حياة هذا الشيخ وهو لايزال يقرأ عليه .

وكذلك على الشيخ « بركات بن الجمل » (٣) المتوفى سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م ، قرأ عليه في كتاب الله تعالى ، وعرض عليه شيئاً من الألفية وغيرها (٤) .

وفي ميدان التفسير أخذ عن السيد الشريف القاضي « محمد بن حسن السعودي » (٥) المتوفى سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م ، قرأ عليه حين قدم دمشق سنة ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩م . مواضع من تفسير القاضي البيضاوي(٦)، منها قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لاإله إلا هو . . . ﴾ الآيتين (٧)

---

(١) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٤٠ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ١٤٠ . وانظر حول عاصم : لطف السمر : ص ٢٢٣ ، ح ٥ .

(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٢٩) .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٣٨ .

(٥) انظر ترجمته في الكواكب السائرة ؛ ج ٣ ، ص ٥٥ — ٥٦ .

(٦) انظر عنه : لطف السمر : ص ١١٩ ، ح ٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية ١٨ ، ١٩ .

بإشارته ، وقد أجازه بمروياته ، ومنها تفسير المفتي أبي السعود العمادي(١)، وقال النجم عنه : (لم أرَ في موالي الروم أذكى ، ولاأرغب في العلم منه) (٢) .

وكذلك أخذ عن الشيخ « محمد أبي البركات البزوري » (٣) المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م القصيدة اللامية الجامعة لأسماء الله الحسنى التي مطلعها :

بدأت ببسم الله والحمد أولاً   على نعم لم تحص فيماتنزلا

وأجازه بها (٤) .

كما انتفع من محدث حلب الشيخ « محمود بن محمد البيلوني » الشافعي (٥) المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٩ م ، واكتسب منه الحديث المسلسل بالأولية (٦) ، حين قدم إلى دمشق في سنة ١٠٠٧ هـ ، وأجازه بمروياته (٧) . وقد وصف النجم تبحر هذا الشيخ في العلم بقوله : (كان إذا تكلم في فن من العلم يقول سامعه لايحسن غيره . ((٨) .

---

(١) هو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للإمام أبي السعود محمد ابن محمد العمادي الحنفي ، مفتي التخت العثماني ، المتوفى سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ص ٣٥ . وشذرات الذهب : ج ٨ ، ص ٣٩٨ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٢ .

(٣) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٢٨٢ . وانظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٦٥ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، وقد أثبت الغزي هذه القصيدة في خاتمة كتابه منبر التوحيد .

(٥) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٥٣) .

(٦) انظر حول الحديث المسلسل : لطف السمر : ص ٥٦٣ ، ح ٣ .

(٧) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٢ .

(٨) انظر : لطف السمر : ص ٦٢٨ — ٦٢٩ .

وأخذ أيضاً من محدث مكة المشرفة «محمد بن عبد العزيز الزمزي»(١) المتوفى سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م في سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م واستجازه(٢).

ويبدو أن طلبه للعلم لم يقتصر على مشايخ دمشق ، بل كاتب مشايخ آخرين خارجها ، وبصفة خاصة في مصر ، فقد أخذ عن الشيخ « أحمد ابن أحمد بن عبد الحق المصري » (٣) الشافعي المتوفى سنة ٩٥٨هـ / ١٥٨٩ م بالمكاتبة ، كما أجازه مكاتبة من المصريين كل من الشيخ « شمس الدين محمد بن أحمد الرملي (٤) » الشافعي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥ م ، والشيخ « زين العابدين علي البكري » (٥) المتوفى سنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م . وقد أخذ الغزي أيضاً عن الشيخ « علي المقدسي »(٦) المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م . والشيخ « أحمد الكردي » (٧) المجاور بالكلاسة ، المتوفى سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م .

* * *

---

(١) انظر ترجمته ضمن ترجمة والده في : الكواكب السائرة:ج ٢ ، ص ١٧٠ ، وج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٢ .

(٣) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١١٧ .

(٤) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٢) .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢١٧) .

(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٢٣) ، وقد ذكر الغزي مشيخته له في المصدر نفسه أيضاً في ترجمة « محمد العلمي » ذات الرقم (٤٢) .

(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١١٦) .

ثقافته وعلمه :

يتضح مما سبق أن الغزي قد أخذ في ارتشاف العلم منذ نعومة أظفاره ، وقد ظل مثابراً على ذلك طيلة حياته ، على عادة علماء ذلك العصر . وقد ساعده على ذلك شغفه بالعلم ، على مايبدو ، من ناحية ، والنشاط العلمي – الديني الذي ذخرت به دمشق في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، والذي هيأه رجال عاشوا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، من ناحية أخرى . مما أتاح للغزي أن يرتوي من كؤوسه الشهية ، ويعب من شرابه اللذيذ ، ويستمتع بما قدمه له من ثمار علمية يانعة ، أغنت شخصيته ، ووسعت من آفاق معرفته ، وجعلت منه أحد أعمدة هذا النشاط ، ورجاله البارزين في القرن الحادي عشر الهجري .

وقد صنع هذا النشاط العلمي – الديني رجال من فئة « الأعيان والأكابر » بحسب تعبير الغزي من أمثال آل الغزي – أجداد النجم ووالده – وآل العمادي وآل العيثاوي وغيرهم من الأسر العلمية العريقة؛ بالإضافة إلى أفراد موهوبين تمتعوا بمواهب متعددة ، وشقوا طريقهم العلمي عميقاً وبعيداً بصبر وأناة كالقاضي محب الدين محمد الحموي الحنفي ، والملا أسد بن معين الدين التبريزي الشافعي ، والحسن البوريني (١) ، ومحمود الباقاني (٢) وغيرهم كثيرون .

وقد استفاد النجم من علماء عصره كما أشرنا سالفاً ، فأتقن

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٤١) .
(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٥٣) .

القراءات والفقه ، وعن ذلك يقول ابن شاشو في وصفه (وأما الفقه فهو ابن إدريس (١) ، والمؤسس قواعده أكمل تأسيس . فلو بحثت مع ابن حجر (٢) ، أقرّ له بالنظر ، أو الشمس الرملي (٣) ، لقـال هـذا محلي (٤) . كما أتقن الأصول والفرائض ، والعربيـة والتفسير ، وبرع في الحديث وبه اشتهر . واطلع على كتب التاريخ والأدب ، ودواوين الشعراء ، وهذا ماغذى موهبته التاريخية والأدبية وصقلها . واطلع على الطب وألف فيه ، وانغمس في التصوف ، واطلع على كتابات رجاله ، وشارك في أعمالهم ورياضاتهم ، مما أكسبه ذوقاً صوفياً ، وروحانية قوية طغت عليه ، وجعلت منه في النهاية أحد أقطابه . وعن ذلك يقول ابن شاشو في وصفه : (وأما بقية العلوم ، فهو إمامها المعلـوم) (٥) .

ويبدو من خلال الاطلاع عن كتبه ومؤلفاته أن الغزي كان كثير القراءة ، دؤوباً على المطالعة ، شغوفاً بالعلم ، لايشعر بالكلل أو الملل . فقد اطلع في التاريخ على المؤلفات التالية : تاريخ الخلفاء السيوطي(٦)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٧) ، والأنس الجليل في تاريخ

---

(١) هو محمد بن إدريس الشافعي ، انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٠٣ ، ح ٧ .

(٢) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٩٤ ، ح ٨ .

(٣) هو محمد الرملي ، انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٢) .

(٤) انظر : تراجم بعض أعيان دمشق : ص ١٠٢ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ١٠٢ .

(٦) انظر عنه : لطف السمر ، ص ١٨٢ ، ح ٣ .

(٧) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٨١ ، ح ٤ .

القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي (١) . ومفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون (٢) ، والتمتع بالأقران له أيضاً ، ودر الحبب في تاريخ أعيان حلب لابن الحنبلي(٣)،وتاريخ عمر العرضي وهو ذيل على « در الحبب » (٤) ، وطبقات الشعراني (٥) ، وتاريخ بدر الدين العلائي (٦) (قطعة من تاريخ في حوادث القاهرة من سنة ٩١٧ — ٩٣٤ هـ)، وتاريخ أحمد الحمصي (٧) (حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران) . والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبري زاده (٨) ، والإعلام بما في مكة من الأعلام لقطب الدين محمد النهروالي ، والعنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان النعيمي (٩) وغيرها (١٠)

---

(١) هو مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي المؤرخ المتوفى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م. انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٥٢٠ ، ح ٦ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٩٣ ، ح ١ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٨٩ ، ح ٢ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ٧٩ ، ح ٥ .

(٦) هو بدر الدين محمد العلائي الحنفي المصري ، المتوفى ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م . انظر : ترجمته في الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٧٠ .

(٧) هو شهاب الدين أحمد الحمصي الشافعي المتوفى سنة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٨) هو أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده، المؤرخ ، المتوفى سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م . انظر : الأعلام : ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٩) انظر : لطف السمر : ص ٥٢٠ ، ح ٣ .

(١٠) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٩٣ ، ٥٢٠ ، ٥٨٩ . والكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٥ — ٧ ، ١٢ .

وفي الحديث يبدو أنه اطلع على معظم المؤلفات التي ألفت فيه مثل : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والسنن الأربعة (سنن النسائي ، والترمذي ، وأبي داود ، وابن ماجه) وموطأ مالك (١) ، ومسند ابن حنبل (٢) ، ومسند الشافعي ، ومعاجم الطبراني (٣) الثلاثة ، ومسند الحميدي (٤) ، وابن أبي الدنيا (٥) ، والسيوطي (٦) ، والزركشي (٧) ، وغيرهم .

وفي التفسير : تفاسير والده الثلاثة ، والكشاف للزمخشري (٨) ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير المولى أبي السعود العمادي وغيرها . وفي الأصول اطلع على جمع الجوامع للسبكي وغيره ، وعلى بعض شروحه . وفي الفقه : درس منهاج الطالبين للنووي ، والغاية للأصفهاني (٩) ، وشرح الوجيز للرافعي (١٠) ، وشرح التبصرة للعراقي (١١) وغيرها . وفي الطب اطلع على المنهل الروي في الطب

---

(١) انظر عنه : لطف السمر : ص ٤١٠ ، ح ١ .
(٢) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٦٣٥ ، ح ١ .
(٣) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٢ ، ح ٣ .
(٤) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٦٣٥ ، ح ٢ .
(٥) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٣٧٣ ، ح ٤ .
(٦) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٤٣ ، ح ١ .
(٧) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، الفقيه الأصولي ، المتوفى سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م . انظر : الأعلام : ج ٦ ، ص ٢٨٦ .
(٨) انظر عنه : لطف السمر : ص ١١٩ ، ح ٥ .
(٩) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٦ ، ح ٢ .
(١٠) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٢٥٤ ، ح ٥ .
(١١) هو عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي ، بحاثة ، من كبار حفاظ الحديث ، توفي سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م . انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ١١٩ .

النبوي للسيوطي الآنف الذكر ، وفي التصوف اطلع على قوت القلوب لأبي طالب المكي(١) ، والرسالة لأبي القاسم القشيري (٢) ، وآداب المريدين لأبي النجيب السهروردي (٣) ، وعوارف المعارف لأبي حفص السهروردي (٤) ، وإحياء علوم الدين للغزالي (٥) وغيرها .

وفي الأدب والشعر اطلع على شعر المتنبي (٦) ، ومهيار الديلمي (٧) والشريف الرضي (٨) ، وبشار بن برد (٩) ، وغيرهم . وفي العربية : اطلع على الأجرومية وشروحها ، وكتب ابن هشام وابن مالك وغيرهما (١٠) .

---

(١) هو محمد بن علي الحارثي ، أبو طالب المكي ، واعظ ، زاهد ، فقيه ، متصوف ، توفي سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م . انظر : الأعلام : ج ٧ ، ص ١٥٩ .

(٢) هو عبدالكريم بن هوازن ، أبو القاسم القشيري ، عالم ، زاهد ، متصوف ، توفي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م . انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ١٨٠

(٣) هو عبد القاهر بن عبد الله البكري ، أبو النجيب السهروردي ، متصوف ، توفي ببغداد سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م . انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ١٧٤ .

(٤) هو عمر بن محمد البكري ، أبوحفص السهروردي ، متصوف ، توفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م . انظر : الأعلام : ج ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٥) هو إحياء علوم الدين للإمام محمد بن محمد الغزالي الفقيه المتصوف المتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م انظر : كشف الظنون : ج ١ ، ص ٢٣ .

(٦) انظر عنه : لطف السمر : ص ٤٤٣ ، ح ٤ .

(٧) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٢٨١ ، ح ٢ .

(٨) انظر عنه : المصدر نفسه ، ص ٢٨١ ، ح ١ .

(٩) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٤٤٣ ، ح ٦ .

(١٠) انظر حول الفكرة السابقة : المصدر نفسه : ص ٦ ، ١٢، ١٧، ٢٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٩ ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٨٩ – ٢٩٠ ، ٣١١، ٣١٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٨ ، ٥٦٢، ٥٦٣ ، ٦٣٥، ٦٣٦. ومنبر التوحيد : ج ١ ، ق ١ ب .

إن هذه اللمحة السريعة حول بعض أمهات الكتب التي اطلع عليها النجم الغزي تدل بوضوح على سعة ثقافته ، وشمول إحاطته لمعارف عصره . ومن المحتمل أن صراعه مع ابن المنقـــار (١) وابن الطباخ(٢) والداوودي (٣) في بداية أمره بالتدريس ، قد دفعه إلى التعمق في الدراسة ، واستقصاء المعلومات ، مما دعم شخصيته العلمية .

إن هذه الثقافة المتعددة الجوانب التي ألمحنا إليها ، قد تأصلت في ذات الغزي ، وتفاعلت مع طبيعته الخيرة ، وقيمه الخلقية الرفيعة ، فرفعت من قدره في نظر معاصريه ، وجعلته ملاذاً لهم يلجؤون إليه في حل كل مايعترضهم من صعوبات ومشاكل علمية . فهذا البوريني مثلاً يحدثنا عن نفسه بأنه أرسل إلى النجم الغزي يطلب منه الإجابة عن مشكلة علمية واجهته في كتاب الشفاء للقاضي عياض (٤) ، فأجابه النجم عليها بلا تلكؤ ولا إبطاء (٥) . وهذا فاضل يسأله عن القهوة ، أهي حلال أم حرام ؟ فيبين له حلها وحرمة العادات الاجتماعية السيئة التي تلبست بها أثناء شربها (٦) ، وذلك شيخ طائفة صوفية ، بعيد سؤاله عن مشكلة قديمة واجهت أجداده ، ويبدو أنها تواجهه ، فيطلب منه الفتوى عليها كتابة فيلبي طلبه (٧) .

---

(١) هو محمد بن المنقار ، انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٤٧) .
(٢) هو ابراهيم بن الطباخ ، انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٦٨) .
(٣) هو محمد الداوودي ، انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢) .
(٤) انظر حوله : المصدر نفسه : ص ٣٦٩ ، ح ١ .
(٥) انظر حول هذه المشكلة : المصدر نفسه : ص ٣٦٩ – ٣٧٥ . وتراجم الأعيان (فينا) : ق ١٤٣ ب .
(٦) راجع الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٣٦ .
(٧) هي الفتوى حول طبول الصمادية ، إذ كان كثير من العلماء في ذلك الزمن يقولون بحلها . انظر : لطف السمر : ص ٥٩٧ – ٥٩٩ .

ومثلما أعطت هذه الثقافة أكلها في ميدان التدريس والإفتاء كما سنرى ، وحل القضايا مشافهة أو كتابة في شعاب عديدة من المعرفة الإنسانية ، كالفقه ، والحديث ، والتفسير ، والعربية ، والتاريخ ، والطب ،والتصوف ، فإنها أثمرت أيضاً في ميدان الأدب والشعر ، حتى إننا لانكاد نمر بترجمة من التراجم التي أثرت شخصيتها أو أحداثها في نفسه ، إلا ونراه يضمنها شيئاً من شعره : فهو يرثي ولده بدر الدين (١) والحسن البوريني (٢) ، كما يصب جام غضبه على الطغاة الظالمين ، وينذرهم بما سيحل بهم من العقاب الأليم ، ومثالاً على ذلك نذكر قصائده المملوءة حياة وحرارة في وفاة كل من جسن باشا المعروف بشوربزي حسن (٣) ، وكيران الطاغية (٤) ، ويوسف بن كريم الدين (٥) وغيرها مما نراه مبثوثاً في ثنايا كتاب « لطف السمر » . وكذلك كان الغزي ينتقد في شعره العادات الاجتماعية السيئة المنتشرة في عصره (٦) . وقد دخل ميدان شعر الأحاجي والألغاز الشائع بين أدباء عصره (٧) ، وغير ذلك من المواضيع التي طرقها في شعره حتى أسلكه المحبي — مؤرخ الأدب في عصره — في كتابه « نفحة الريحانة » في عداد الشعراء — العلماء ،

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٩ – ١٢ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٧٨ – ٣٨١ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٤٥) .

(٤) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٥٠) .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٨٣) .

(٦) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٣٦ .

(٧) انظر : لطف السمر : ص ١٦٥ – ١٧١ .

وقال عنه : « وله شعر كقدره ثمين ، إلا أنه كالياسمين . فيكتب لشرفه ، لالكثرة طرفه » (١) .

وإذا كانت ثقافة الغزي النظرية ، التي استمدها من علماء عصره ، ومن مطالعته الكتب الوفيرة ، محيطة وشاملة ، وغزيرة وعميقة كما رأينا . فإن ثقافته الحياتية ، وتجاربه المختلفة ، ورحلاته العديدة ، قد عمقت تلك الثقافة النظرية ، وأمدته بزاد من المعرفة العملية والجغرافية لايمكن لأي مؤرخ أن يستغني عنه . فقد سافر الغزي إلى الحجاز للحج عدة مرات كما سيأتي بيانه ، وإلى بعلبك والبقاع العزيز وحلب واستانبول مابين سنتي (١٠٠١ — ١٠٣٢ هـ) (٢) والتقى خلال تلك الأسفار بعلماء هاتيك البلاد المشهورين ورجالها ، فاستفاد منهم كما أفادهم ، وتعرف عليهم عن كثب ، كما اطلع على أخبارهم .

هذا وإن ثقافة الغزي لم تقف عند حد معين ، بل تنامت خلال حياته الطويلة ، على عادة علماء ذلك العصر ، إما عن طريق قراءته ومطالعته ، وإما عن طريق تجاربه الحياتية الطويلة ، مما أهله لأن يحتل مكانة اجتماعية مرموقة

* * *

(١) انظر نفحة الريحانة : ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٧ ، ٦٤ ، ١٧٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٦٦٠ ، ٦٩٠ .

الميادين التي عمل فيها :

وإذا كان ذاك هو بيت الغزي ، وأولئك شيوخه ، وتلك ثقافته، فما العطاء الذي قدمه للمجتمع ؟ لقد رأينا أن الغزي كون ثقافة دينية إسلامية ، ولغوية عربية ، متينة مكينة ، فبهذه الثقافة تصدى للتدريس منذ مطلع شبابه : فقد درس في الجامع الأموي ، وهو دون البلوغ . ومن غريب مايحكى عنه في هذه الفترة ، أنه إذا جلس للتدريس في شهر رمضان ، وضع قلة من الماء على الكرسي بجانب الكراس ، فكلما جف ريقه وعطش تناول القلة وشرب ، لأن صومه نفل (١) . وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على شدة ولع النجم ، وشغفه بنشر العلم بين الناس ، حتى إن نشره كان أحب إليه من صيامه.وبالإضافة إلى التدريس فقد مارس النجم عدداً من الأعمال الدينية الأخرى : كالإمامة ، والخطابة،والوعظ ، والقراءة لمشايخه في دروسهم ، والفتوى . وفي كل عمل تام به أظهر باعاً طويلاً ، وبلغ شأواً بعيداً . ويبدو أن أول عمل مارسه بشكل رسمي كان إمامة الشافعية في المقصورة بالجامع الأموي ، إذ استنابه شيخه العيثاوي في الإمامة ، وهو لايزال في الخامسة عشرة من عمره ، ثم استنابه في خطابه الجامع الجديد ، خارج باب الفراديس ، واستعرضه في أول خطبة خطبها ، بعد أن كان قد علمه آداب الخطبة . وكانت خطبته هذه في «فضل الحب في الله»(٢).

---

(١) انظر : مجلة المجمع اللمي العربي بدمشق ، المجلد ١٢ سنة ١٩٣٢ م ، مقالة الأستاذ محمد المغربي ، بعنوان « اثنا عشر كوكباً » ، وتدور المقالة حول النساء اللواتي ترجم لهن الغزي في كتابه الكواكب السائرة : ص ٦٤٦ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٣١٣ .

ثم عمد شيخه العيثاوي إلى ترويج اسمه بين أهل العلم،وبث شهرته في غيرهم (١) . وقد دفع ذيوع صيته هذا قاضي القضاة مصطفى بن بستان (٢) لأن يوجه إليه تدريس المدرسة القصاعية الشافعية (٣) ، وتوليتها ، ثم نصف الخطابة بالتبريزية (٤) ، خارج دمشق ، ثم تدريس الكلاسة (٥) جوار الجامع الأموي (٦) . وتولى بعد ذلك

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١٣ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٦١) .

(٣) لم أجد تعريفاً بهذه المدرسة ، وإنما وجدت تعريفاً بالمدرسة القصاعية الحنفية ، فلعلها صارت في عهد دراستنا مشتركة بين الشافعية والحنفية . انظر حول القصاعية الحنفية : لطف السمر : ص ١٣٦ ، ح ١ . وانظر أيضاً ، ص ٦٥٦ ، ح ٤ .

(٤) هي التوريزية (توريز : لغة عامية في تبريز) انظر : ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي ، معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م : ج ٢ ، ص ١٣ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : معجم البلدان . وانظر حول التبريزية ، لطف السمر : ص ٦٩ ، ح ١ .

(٥) من مدارس الشافعية بدمشق ، لصيق الجامع الأموي ، شماله . كان لها باب إليه . بناها نورالدين الشهيد سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠ م ، وسميت بذلك لأنها بنيت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع الأموي ، درست . انظر : الدارس : ج ١ ، ص ٤٤٧ . ومنتخبات التواريخ : ج ٣ ، ص ٩٥٠ . وخطط الشام : ج ٦ ، ص ٨٩ . ومختصر الدارس : ص ٧١ .

(٦) انظر : لطف السمر: ص ٣٢٣ ، وفي ص ٥٢٥-٥٢٦ منه (أنه كان خطيب التوريزية في ٨ رجب سنة ١٠١١هـ) وفي ص١٧٢ منه أيضاً (أنه كان خطيبها في ١٥ رجب سنة ١٠٢٨ هـ) . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على استمرار الغزي في خطابته لها .

تدريساً بالمدرسة العمرية (١) ، بفراغ شيخه العيثاوي له عنها (٢) ، وأتبعها إمامته بالشافعية في الجامع الأموي بفراغ شيخه العيثاوي له له أيضاً عنها ، وتولى الوعظ به شركة الشيخ حسن الموصلي (٣) — ابن أخت العيثاوي — بفراغ العيثاوي لهما عنه ، وكان العيثاوي قد وليه عن الشيخ أحمد الطيبي الصغير (٤) ، والشيخ محمد الداوودي السالف ذكره . ولما مرض العيثاوي في ٩٩٧ هـ / ١٥٨٨م ، واستمر مرضه عاماً كاملاً ، ناب عنه النجم بالإمامة ، وغيرها من وظائفه الدينية (٥) . وقد درس في صحيح البخاري في الجامع الأموي ، تحت قبة النسر ، وهو في ريعان شبابه — خلال مرض أستاذه على مايبدو — . وقد أورد القاضي شرف الدين موسى الأنصاري وصفاً

---

(١) من مدارس الحنابلة ، بصالحية دمشق ، يمر من وسطها نهر يزيد . وتقع قبلي الجامع المظفري ، بالقرب من جسر النحاس ، في حي الأكراد . كانت أعظم مدرسة بدمشق والصالحية . أنشأها أبو عمر محمد بن أحمد الجماعيلي المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م . تهدمت . انظر : الدارس : ج ٢ ، ص ١٠٠ . ويوسف بن عبد الهادي ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، بيروت ١٩٤٣ م : ص ٢٤١ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : ثمار المقاصد . ومحمد بن طولون ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، جزءان ، دمشق ١٣٦٨ ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ م : ج ١ ، ص ١٦٥ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : القلائد الجوهرية . ومنتخبات التواريخ : ج ٣ ، ص ٩٦٠ . وخطط الشام : ج ٦ ، ص ٩٩ . ومحمد كرد علي ، غوطة دمشق ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م : ص ١٧٢ . سيذكر المصدر باختصار كما يلي : غوطة دمشق . ومنادمة الأطلال : ص ٢٤٤ . وأبنية دمشق الأثرية : ص ٢٦٧ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٣١٦ .

(٣) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٥١ ، ح ٢ .

(٤) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٨ ، ح ٣ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١٦ — ٣١٧ .

رائعاً لختم النجم لصحيح البخاري في سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩١ م — أي كان عمره آنذاك ثلاثة وعشرون عاماً — فقال : (وفي يوم الاثنين ثالث عشرين رمضان [١٥ تموز] ختم الشاب النجيب نجم الدين ابن المرحوم شيخ الإسلام ، الشيخ بدر الدين الغزي العامري الشافعي صحيح البخاري، تحت قبة النسر ، وتكلم على قوله تعالى : ﴿ إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مفسدون في الأرض ﴾ (١) إلى آخر السورة . وما قالوه (كذا في الأصل وصوابه : قاله) أهل التفسير ، وما ذكره والده شيخ الإسلام في تفسيره المنظوم . ثم تكلم في فضائل شهر رمضان ، وفي ليلة القدر وفضائلها ، وكان يوماً مشهوداً . ثم بعد فراغه من الختم ، قرأ المولد على العادة بعث الله الضرير (٢) ، ومعه جوقة ، وأنشد من كلام ابن الفارض(٣) ، والشيخ عبدالقادر الكيلاني (٤) . فتحرك المجلس ، وحصل للناس الخشوع والبكاء ، ثم خلع عليه ثوب صوف أخضر ، قيمته تزيد على عشرة دنانير ، وأوقد له . . . القناديل التي تحت القبة) (٥) .

وكان للغزي درس آخر ، على مايبدو ، في الجامع الأموي ، تجاه ضريح « يحيى بن زكريا » (٦) عليه السلام عشية ، ويدل عليه قوله في ترجمة « محمود البيلوني » (٧) : (وحضر مجلس درسي

---

(١) انظر : سورة الكهف ، آية ٩٤ .

(٢) انظر ترجمته في لطف السمر ، برقم(١٣٢) .

(٣) انظر عنه : المصدر نفسه ، ص ٦٩٢ ، ح ٢ .

(٤) هو عبد القادر بن موسى الكيلاني ، مؤسس الطريقة القادرية ، متصوف ، توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م . انظر : الأعلام : ج ٤ ، ص ١٧١ .

(٥) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٨٦ ب .

(٦) انظر : لطف السمر : ص ٢١٧ ، ح ٥ .

(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٥١) .

بالجامع الأموي ، تجاه ضريح يحيى عليه السلام ، في أثناء رجب ، [سنة ١٠٠٧ هـ] هو وجماعته) (١) .

وفي عام ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م وجه تدريس الشامية البرانية (٢) لشيخه العيثاوي ، فاستشاره شيخه في الكتاب الذي يريد تدريسه بها ، وأيام الدرس . فأشار عليه بالتدريس في كتاب « شرح الروض» (٣) في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وصار يقرأ له الدرس بها (٤) . ولما اشتد المرض بشيخه المذكور تفرغ له عن التدريس بها باختياره قبيل وفاته عام ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م . وفي عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م نحي النجم عن تدريسها ، بسبب ورود براءة (مرسوم تعيين) من الروم لمحمد الميداني (٥) بتدريسها وكان ذلك بسعاية محمد البحيري (٦) له فيها بدلالة « باكير آغا محضر باشي » (٧) . فقام قاضي القضاة إذ ذاك « إبراهيم بن الجاويش » (٨) بتنحيته

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٦٢٩ .
(٢) انظر عنها : المصدر نفسه : ص ١٦ ، ح ٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٢٣ ، ح ٥ .
(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٢٣ .
(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٥٥) .
(٦) لم يعثر على ترجمة له .
(٧) انظر عنه : المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ، ح ٢ .
(٨) هو ابراهيم بن الجاويش ، قاضي القضاة بدمشق بين سنتي ١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ . انظر : الباشات والقضاة : ص ٣١ . ومحمد سعيد بن محمد عطاالله الأيوبي الأنصاري ، القضاة الذين تولوا دمشق في الدولة المؤيدة العثمانية ، مخطوط في الظاهرية ، مجموع ، برقم (عام - ٧٣٦٩) ق ٢٥ ب . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : قضاة دمشق . ومن الجدير بالذكر أنه يوجد بالظاهرية مخطوط آخر عن قضاة دمشق ، «عنوانه ذكر من تولى دمشق من القضاة » مجهول المؤلف يتطابق مع السابق ، ولذا فهو يعتبر نسخة ثانية منه ، برقم (عام - ٤٦٨١) .

عنها ، وتسليمها للميداني المذكور . وقد تأثر النجم من ذلك لأنه كان يحصل مصروفه منها (١) ، وهذا مادفعه للسفر إلى إسلام بول لعرض شكواه ، والاتصال بمن يعرفه في السعي لإعادتها إليه . وفعلاً فقد نجح في مسعاه إذ التقى هناك كما يقول (ببعض الأصدقاء) الذين ساعدوه في الحصول على براءة تعيدها إليه بقيد الحياة ، كما أخرج له شيخ الإسلام يحيى أفندي (٢) براءة في مدرستين لتكونا كالعوض له عن المدرسة الشامية البرانية ، ومن المحتمل أن هذه البراءة الأخيرة قد أخرجت له إما عوضاً عن الفترة السابقة التي انتزعت فيها منه المدرسة الشامية البرانية ، أو هي عوضاً له عنها إذا لم تسلم له في دمشق لسبب من الأسباب . وعاد النجم إلى دمشق، وتسلم المدرسة المذكورة،وقرره فيها قاضي القضاة إبراهيم أفندي بن الجاويش الآنف الذكر . إلا أن النجم لم يتمتع بالتدريس بها طويلاً ، وذلك بسبب إرسال باكير آغا براءة أخرى للميداني تخوله التدريس في المدرسة الآنفة الذكر ، وهذا ماأدى إلى النزاع بينه وبين الميداني ، فترافعا إلى قاضي القضاة آنذاك ، وهو عبدالله بن قاسم المعروف ببلبل زاده (٣) ، وعند ذلك أبرز النجم فتوى لعلماء الحنفية تقضي بـ (أن السلطان إذا أعطى رجلاً وظيفة بقيد الحياة ، ثم وجهها لغيره لاينعزل عنها ، إلا أن ينص السلطان

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ١٧٨ .

(٢) هو يحيى بن زكريا بن بيرام ، مفتي السلطنة العثمانية ، تولى قضاء دمشق سنة ١٠٠٥ – ١٠٠٦ هـ وغيرها ، ثم صار قاضي العسكر الأناضولي فالروم ايلي ، وأخيراً الإفتاء سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م ، وتوفي سنة ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٤ م . انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٤٦٧ . والأعلام : ج ٩ ، ص ١٧٧ .

(٣) انظر عنه : لطف السمر : ص ١٧٩ ، ح ٨ .

على الرجوع من الإعطاء بقيد الحياة) (١) . فلما اطلع قاضي القضاة على الفتوى ، وجد أن الحق للنجم فقال له : (الحق لك ، لكن تطيعنا على رعاية سن هذا الرجل ، ونقسم بينكما التدريس). (٢) وهكذا قسمت الوظيفة بينهما شطرين على عادة ذلك الزمن في تقاسم مناصب التدريس ، وحصل للنجم بسبب ذلك ضرر وضيق مادي . ولكن لم يلبث الميداني أن توفي بعد سنة في عام ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م ، فأعيد الشطر الثاني إليه (٣) . واستمر النجم على التدريس بها بعد ذلك إلى أن تفرغ عنها لولده سعودي (٤) . وقد درّس أيضاً في المدرسة الناصرية الجوانية (٥) والأتابكية (٦) والتربة الكاملية (٧) والتقوية والكلاسة (٨) .

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ١٧٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٧٩ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٤) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٥) انظر عنها : لطف السمر : ص ٣٦١ ، ح ٨ .

(٦) من مدارس الشافعية بدمشق ، بسفح قاسيون ، في الصالحية ، غربي حمام العرائس ، وشرقي دار الحديث الأشرفية ، أنشأتها زوجة الملك الأشرف موسى المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م . درست . انظر : الدارس : ج ١ ، ص ١٢٩ . والقلائد الجوهرية : ج ١ ، ص ١٠٢ . ومنتخبات التواريخ : ج ٣ ، ص ٩٤٢ . وخطط الشام : ج ٦ ، ص ٧٦ . ومنادمة الأطلال : ص ٧٧ . وغوطة دمشق : ص ١٦٨ . وذيل ثمار المقاصد : ص ١٩١ . وأبنية دمشق الأثرية : ص ٢٨٢ . ومختصر الدارس : ص ٢٦ .

(٧) هي التربة الكاملية الجوانية الواقعة شرقي الخانقاه السميساطية ، بحائط الجامع الأموي الشمالي ، في جوار باب الناطفانيين . بناها بنات الملك الكامل المتوفى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م بعد وفاة والدهن ، وجعلوها مفتوحة الشبابيك إلى الجامع الأموي . درست ، ولم يبق منها سوى القبر . وكان بابها يفتح إلى الأموي . انظر : الدارس : ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ٢٨٠ . ومختصر الدارس : ص ٢٠٦ .

(٨) انظر حول تدريسه بالمدارس الخمس الأخيرة ، كمال الدين محمد بن محمد الغزي ، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي ، مخطوطة ، خاصة محمد رياض المالح : ق٥٩ آ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي: الورد الأنسي.

ويذكر كل من المحبي وأبي المواهب الحنبلي أنه بعد وفاة الميداني جلس النجم مكانه ، تحت قبة النسر بالجامع الأموي ، وذلك في بداية عام ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م لإقراء الحديث وتدريسه في « صحيح البخاري» في الأشهر الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان (١) . وكان للغزي سابق تجربة تعليمية في هذا المجال ، إذ كان قد درّسه في أواخر القرن العاشر الهجري ، على رواية الأنصاري السالفة الذكر . ويبدو أنه قد انقطع عنه فيما بعد ، ثم عاد إليه بعد وفاة الميداني كما ألمحنا آنفاً . وكان الميداني قد وصل في قراءته البخاري « باب مناقب عمار بن ياسر » (٢) ، فأكمله النجم في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته إلى أن وصل إلى « باب البكاء على الميت » ، وتوفي بعد ذلك (٣) . وكان قاريء الدرس بين يديه السيد أحمد بن علي الصفوري(٤) ثم الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري (٥) ، ثم الشيخ مصطفى بن

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٨ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ آ .

(٢) هو الصحابي عمار بن ياسر الكناني ، أحد المهاجرين ، ولي الكوفة في عهد عمر بن الخطاب . انضم إلى علي بن أبي طالب ، الخليفة الرابع ، وحارب معه معاوية بن أبي سفيان في صفين . استشهد سنة ٣٧هـ/٦٥٧ م . انظر : الأعلام : ج ٥ ، ص ١٩١ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب . ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٢٤ ، سنة ١٩٤٤ م ، مقال محمد بهجة البيطار ، المدرسين تحت قبة النسر : ص ٦٥ .

(٤) هو أحمد بن علي الصفوري الحسيني الدمشقي الشافعي ، الفقيه الأديب القاضي بمحكمة الباب ، المتوفى سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣ م . انظر : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٥) هو رمضان بن عبد الحق العكاري الدمشقي الحنفي ، الفقيه الخطيب المتوفى سنة ١٠٥٦ هـ / ١٦٤٦ م . انظر : خلاصة الأثر : ج ٢ ، ص ١٦٧ .

سوار (١) ، وكانت مدة جلوسه تحت قبة النسر سبعة وعشرين عاماً ، وهي مقدار مدة الميداني (٢) ، بالإضافة إلى الفترة السابقة التي أشار إليها الأنصاري .

واشتهر النجم بعد ذلك ، ونبه ذكره ، حتى هرع إليه الطلاب من كل مكان ، وتوافد عليه الناس للاغتراف من علمه . والظاهر أن الذين انتفعوا به طبقة بعد طبقة كثر ، حتى قال المحبي فيهم (وهم – أي طلاب النجم – في الكثرة ، لايحوم الإحصاء حولهم) (٣) .

هذا في مجال الإمامة والتدريس والوعظ ، أما في مجال الفتوى ، فقد أذن له بها أستاذه في وقت مبكر ، على مايبدو ، وهو دون العشرين ، لما رآه من سعة علمه واطلاعه ، وعمق ادراكه ، وسلامة محاكمته ، وقدرته على تفهم القضايا والمشكلات وحلها . وقد حاول النجم أن يربط سماح أستاذه له بالفتوى برؤيا طافت بمنام الشيخ عبد القادر الطرابلسي (٤) ، ويرويها النجم قائلاً : (رأى – يقصد عبد القادر الطرابلسي – والدي شيخ الإسلام في المنام ، وكان قد أدركه وحضر دروسه ، قال : فسألته عن مسألة ، فقال : سل عنها ولدي . قال ، فقلت له : الشيخ شهاب الدين (٥) ؟ فقال بل ولدي الشيخ نجم الدين .

(١) هو مصطفى بن زين الدين الشهير بابن سوار الشافعي ، شيخ المحيا بدمشق ، متصوف ، توفي سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م . انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٣٧٢ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ آ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٩ .

(٤) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٩٩) .

(٥) انظر عنه المصدر نفسه : ص ٦٨ ، ح ٥ .

وكنت إذ ذاك دون العشرين سنة ، وأنا في الطلب . فقصّ رؤياه على شيخنا ، فسرَّ بها وجاء به إليَّ باكياً ، فقال لي : جاءنا اليوم الشيخ عبد القادر ببشارة عظيمة : رأى شيخ الإسلام والدك في النوم . ثم أقبل على الشيخ عبد القادر ، فقال : قص رؤياك على الشيخ نجم الدين ، فقصها . فقال شيخنا بعد قصها : هذا أذن من الشيخ لك في الإفتاء ، فأفت . فقلت له : ياسيدي ، مع وجودكم لاينبغي لي ذلك) (١) .

وإذا كان لنا أن نعلل المنام تعليلاً نفسياً – علمياً ، فإننا نقول بأن الشيخ عبد القادر الطرابلسي كان يعرف النجم ، وكان معجباً به في باطنه ، ومدركاً لقدرته على الفتوى ، على الرغم من صغر سنه ، ولا بد أنه قرنه بوالده شيخ الإسلام بدر الدين الغزي،فجاءت الرؤيا مثبتة لتلك المشاعر والأحاسيس الباطنية .

وإذا كان الشيخ الجليل العيثاوي قد أذن للنجم الغزي شفوياً بالفتوى ، وهو دون العشرين من عمره ، فإن الغزي لم يجز لنفسه الكتابة عليها وأستاذه حي ، احتراماً له وتبجيلاً . ومن ثم فإنه لم يكتب اسمه على الفتوى إلا قبل وفاة أستاذه بأيام قليلة ، وتحت إلحاحه . وفي ذلك يقول : (ولما حضرته الوفاة – يقصد شيخه العيثاوي – في سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦ م أذن لي بالكتابة على الفتوى ، فكتبت بحضرته – وكان أجازني بذلك من أكثر من عشرين سنة – فكنت أقول له : يامولانا ، لاأكتب في دمشق وأنت موجود بها . وإنما كتبت سابقاً بأمره على فتوى واحدة في الفقه،وغير واحدة في التفسير . فلما كان

---

(١) انظر المصدر نفسه : ص ٥١٥ .

قبل وفاته بنحو خمسة أيام ، دخلت عليه فحضرت فتوى، فقال لي : اكتب عليها . فكتبت ، وقلت: ياMولانا ، أكتب اسمكم ؟ قال: بل اكتب اسمك . فكتبت اسمي ، ثم تتابعت الفتاوى ، فصرت أكتب ببركة مدده،ولله الحمد) (١) . ويبدو من كلامه الأخير أنه تولى إفتاء الشافعية بدمشق بعد وفاة شيخه المذكور — إذ كان مفتيهم — وهذا مايفسر وصف المترجمين له بلقب « مفتي الشافعية » (٢) و « شيخ الإسـلام » (٣) .

وعظمت شهرة النجم الغزي وانتشرت حتى تجاوزت حدود بلاد الشام إلى غيرها من الأقطار الإسلامية ، وفي ذلك يقول المحبي : (ورأس الرياسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية أحد ، وهرعت إليه الطلبة ، وعظم قدره . . . وكان له بالحجاز الصيت الذائع ، والذكر الشائع) (٤) . ويبدو أن سبب شهرته الزائدة هو عنايته بالحديث الشريف حفظاً وتدريساً وتأليفاً ، حتى لقبه معاصروه ومؤرخوه بـ « حافظ العصر » ، و « حافظ الشام » و « خاتمة حفاظ الشام » و « محدث الدنيا »(٥) .

* * *

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١١٢ ، ٢٠٩ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ١٨٩ . والورد الانسي : ق ٥٩ آ . ومحمد خليل المرادي ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٠١ هـ : ج ٣ ، ص ٦١ ، ٦٤ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : سلك الدرر .

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٥) انظر المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

آراؤه ومدى مشاركته في أحداث مجتمعه السياسية والدينية والاجتماعية:

لقد شغف الغزي بالعلم ، فانصرف خلال حياته انصرافاً شبه كلي إليه أخذاً وتدريساً وتصنيفاً وتأليفاً ، شأنه في ذلك شأن والده وأجداده ، وبذلك بلغ مكانة اجتماعية رفيعة ، وأحاطه مجتمع عصره بالتقدير والتبجيل . ذلك المجتمع الذي كان بمجموعه يرى أن أهل العلم في السماك ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء (١) . وكان الغزي يؤمن هو الآخر بالقيمة الاجتماعية الكبرى لأهل العلم ، وإلى هذ المعنى أشار في أبياته التي دفعها لابنه بدر الدين محمد(٧) عندما فتر عن طلب العلم(٨) .

وقد يتساءل ، ألم يكن للغزي نصيب في الحياة السياسية لمجتمعه ، وهو العلامة الحكيم ؟ وقد يرد على ذلك التساؤل بأنه : هل كان بمقدوره ، أو مقدور غيره من العرب تسنم المناصب السياسية في الدولة ، والدولة والدولة العثمانية لم تعتمد في حكمها إلا على عناصرها التركية ، أو على من قامت بتربيتهم من العناصر البلقانية ! ؟ أوليس انصراف كثير من أهل البلاد الطامحين بالوصول إلى المجد والعلياء والشـــهرة إلى العلم

---

(١) في هذا إشارة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً ، سلك الله به طريقاً إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على بقية الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) . انظر : جامع الأصول : ج ٨ ، ص ٤ – ٦ .

(٢) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١) .

(٣) انظر الأبيات في لطف السمر : ص ٦ .

وانكبابهم عليه ، تعويضاً خفياً عن سد أبواب العمل في الميدان السياسي والمشاركة به ؟ قد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لبعض العاملين في ميدان الفكر آنذاك ، وقد لايكون بالنسبة لبعضهم الآخر . إذ قد تبقى اللهفة لحياة العلم هي الدافع الأقوى عند أغلبية علماء ذلك العصر ، وقد يكون الغزي واحداً منهم .

ولكن إذا كان الغزي لم يتقلد منصباً سياسياً أو إدارياً ، فهذا لايعني أنه لم يكترث بالأمور السياسية في بلده ، أو لم يشارك في أحداث مجتمعه ، فالغزي يبدو شخصية فاعلة وإيجابية ، ترى في العلم وسيلة لصلاح المجتمع ، وإقالته عن عثراته ، أكثر مما يراه غاية في ذاته . ويتضح مما طرحه من أفكار هنا وهناك في تراجمه ، أنه كان له مواقفه من الحكم العثماني في عهده ، وطريقة هذا الحكم في سياسة الرعية . فهو يظهر ضجره بسياسة هذا الحكم . ويتبين هذا في قوله أثناء محادثته لأحمد باشا ، نائب غزة وأمير الحاج (وكنت اجتمعت به بمنزلة العلا (١) عام حجنا معه — سنة ١٠٠١ هـ — فتذاكرنا أن سياسة الشرع ،

---

(١) من منازل الحاج الشامي ، بين منزلتي أبيار حجر وسهل المطران في وادي القرى ، تبعد عن دمشق ٩٨٠ كم ، وعن المدينة المنورة ٣٢٣ كم . انظر : معجم البلدان : ج ٤ ، ص ١٤٤ . وحمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م : ص ١٨٥ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : في شمال غرب الجزيرة . وأحمد البديري الحلاق ، حوادث دمشق اليومية (١١٥٤ – ١١٧٥) هـ ، نقحه الشيخ محمد سعيد القاسمي ، حققه الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ، ١٩٥٩ م : ص ١٥٧ ، ح ٢ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : حوادث دمشق اليومية . وانظر أيضاً :
Abdul - Karim Rafeq, The province of Damascus, 2 edition, Beirut 1970 : P. 341
سيذكر هذا المصدر باختصار كمايلي : The province of Damascus.

هل هي أبلغ من سياسة القانون ، أو سياسة القانون أبلغ ؟ فأجبته إلى الأول ، ومال هو إلى الثاني ((١) . وكأني به كان ينظر إلى القانون على أنه غير منسجم مع الشرع ، وبشكل ضمني أن الدولة العثمانية بقوانينها التي تصدرها لاتلتزم الشرع . ويلمح الغزي في بعض تراجمه إلى ظلم الأروام (الأتراك العثمانيين) فيقول : (وحدثني — يقصد حسين الدَروَي (٢)— في تاسع عشر القعدة أو عشريه بالمنزلة المذكورة — يقصد منزلة العلا ، وقد جرى الحديث في سنة ١٠٧٧ هـ — قال : حدثني الشيخ محمد بن العجيمي البخاري (٣) قاضي جبلة وزَبيد باليمن ، قال : سألت ولي الله محمد بن عجيل اليمني (٤) ، فقلت له : قد تزايد ظلم الأروام وتجاوز ، فقال لي : قلت للبرهمتوشي (٥) ، علامة مصر، مثل ما قلت لي، فقال: أنكرت ذلك فذهبت إلى الدفتردار، فكتبت بعض المظالم ، وسافرت . . .) (٦) . وكذلك يقول في ترجمة حسن المجذوب الديرعطاني(٧) : (وكان يعتقده الحافظ أحمد(٨)، ويعرض عليه الأموال فلا يقبلها منه ، ويقول له : ردّ عن الفقراء هذه السوقة ، الذين يبيعون الشهوات الطيبات ، ويؤذون الفقراء .

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٣٠٥ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٥٠) .

(٣) لم يعثر على ترجمة له .

(٤) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٤١٠ ، ح ٧ .

(٥) لم يعثر على ترجمة له .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٤١٠ — ٤١١ .

(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٤٨) .

(٨) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٢٩٨ ، ح ٦ .

وإنما يشير إليه ، أن مثل هذه الأمور التي لايقصد به إلا زد مايتأذى منها ، فكيف لايتأذون من ظلم الحكام ؟! وكان له إشارات لطيفة من هذا القبيل) (١) . وهنا يتساءل الباحث عن سبب شعور الغزي بظلم العثمانيين ، أهو لأسباب شخصية كاختلاف مذهبه مثلاً عن مذهب الدولة العثمانية التي اعتمدت المذهب الحنفي عوضاً عن المذهب الشافعي ، الذي كان مقدماً في دولة المماليك ، والذي يتمذهب به ؟ أم بسبب حادثة الميداني ونزاعه معه على المدرسة الشامية البرانية ؟ أم انبثاقاً من مفهومات سياسية مثالية في ذاته وجد أن الدولة العثمانية تنحرف عنها ؟ أم لسد العثمانيين أبواب الوصول إلى الإدارة السياسية أمام العرب في بلادهم ؟ أم بسبب ظلم الحكام العثمانيين الفعلي لأهالي البلاد ، وفرضهم عليهم الضرائب الباهظة ، وتحميلهم النزول بين آونة وأخرى لتمويل الحملات العسكرية ؟ . . .

يبدو أن كل هذه الأمور مجتمعة كانت تشعره بظلم العثمانيين ، وتجعله لايحجم عن تمني موت بعض طغاتهم وزوالهم ، كما يتضح من إشارته الموجزة والعفوية التي أوردها في ترجمة «كيوان الطاغية»(٢) — سردار مدينة دمشق — وهي (حتى كان سادس رمضان سنة خمس بعد الألف ، أوقع الله الفتنة بين كيوان وبين طائفته ، بسبب أنهم شفعوا عنده بشفاعة في « كادك » (٣) يتركه لمستحقه ، وكان طلبه لبعض جماعته ، فامتنع . فألحوا عليه حتى قبّل أكابرهم لحيته الخبيثة ، فأبى . فحنقوا عليه ، وأرادوا قتله في المجلس ، فمنعهم آغاتهم ، وياليتها ! ؟) (٣) .

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٤٠٧ — ٤٠٨ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٥٠) .

(٣) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١١١ ، ص ٧ .

ولم يقف الغزي موقفاً سلبياً أو ساكناً من الظلم الواقع على الرعية ، بل سلط قلمه وشعره لاستنكاره ، والتنديد بالظالمين : فهو لم يكن ليرثي أصحاب العنفوان والطغيان عندما تحضرهم الوفاة ، ويعدد مآثرهم ومفاخرهم ، كما كان يفعل بعض المداهنين للسلطات الحاكمة ، بل كان يقذف بقصائد عنيفة اللهجة ، في وجوه هؤلاء الظالمين ، معدداً مظالمهم ومآسيهم التي لاقاها سكان البلاد منهم ، فمن ذلك قوله في وفاة كيوان الطاغية ، من قصيدة طويلة :

عام ثلاث وثلاثين بعـــ . . . . د الألف عـــام شانه شـــان
قد كفيت فيه دمشق الردى وانهد ركن الشر كيوان (١)

وقصيدته التي ختم بها كتابه « لطف السمر » في يوسف بن كريم الدين تعتبر نموذجاً لذلك كما أشرنا سابقاً (٢) . ولم يكتف الغزي بهذا الموقف من السلطات الحاكمة الظالمة ، بل تجاوز ذلك ، على مايبدو ، إلى مقاومتها بالوقوف منها موقفاً سلبياً ، وعدم التجاوب معها . وكأني بتأليفه لكتاب « زجر الإخوان عن إتيان السلطان » ونظمه لكتاب « مارواه الأساطين في عدم الدخول على السلاطين » للسيوطي ، في هذه الفترة من الزمن له هذا المغزى السياسي . فبمراجعة الكتاب الأول ، يرى الباحث أن النجم يركز فيه على فكرة هامة ، وهي : الابتعاد عن الحاكم ، كي يحافظ المرء على دينه ، لأن الحاكم يسلبه إياه ، ويفتنه عنه . وتتجلى هذه الفكرة في كثرة نقوله عن العلماء السابقين

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٢٧ .

(٢) انظر : ص ١٢٦ من هذه الدراسة .

الذين يحذرون من الاقتراب من الحاكم ، وصياغته لتلك النقول السابقة في قوالب شعرية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

احذر من الملوك والسلطان	بحسب القدرة والإمكان
فالنار مست من إليهم ركنا	ومن أتى أبوابهم قد فتنا (١)

وقال أيضاً :

لايجتني مصاحب السلطان	من قربه سوى العصيان
ومن قال نأتي إلى العمال	نصيب من دنياهم في اعتدال
بدينا عنهم فهذا لايكون	غير الخطايا منهم لايجتنون(٢)

ويخطو النجم خطوة أخرى في دعوته تلك للمقاومة ، عندما يطلب من العلماء عدم التزلف إلى السلطان ، لابل يعتبرهم خائنين إن فعلوا ذلك ، ويحثهم على عدم التعاون مع الحكام على ظلم الرعية ، كي لايضيعوا الأمانة التي حملهم إياها رسل الله في الدعوة إلى العدل وإقامته ، وفي ذلك يقول:

والفقهاء إنّ قدرهم علي	وإنهم لأمناء الرسل
مالم يخالطوا السلاطين وما	لم يدخلوا الدنيا فهم علما
فحق أن يتهموا ويحذروا	وحق أن يعتزلوا ثم يهجروا
لو إنهم أهل وفاء وفوا	للمرسلين عهدهم واستوفوا

---

(١) انظر : نجم الدين الغزي ، زجر الاخوان عن إتيان السلطان ، مخطوط في الظاهرية برقم (٣٦ – أدب) : ق ٣ ب . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : زجر الاخوان .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ق ٥ آ .

وكيف لايتهم الذي يخون رسل ربنا وهم مبجلون(١)

وإذا كان ذلك موقف الغزي الفكري والقلمي من ساسة الحكم ، فما موقفه العملي منهم، وعمله التدريس العام ، والوعظي والخطابي ، والافتائي يجعله باحتكاك اضطراري معهم ؟ وإذا تتبعنا هذا الموقف من خلال تراجمه في الذيل ، تتضح لنا الأمور الآتية :

١ ــ لم تكن علاقة الولاة العثمانيين بالغزي علاقة متوترة أو سيئة ، بل على النقيض من ذلك تبدو ودية وحسنة ، فيها تقدير لمكانته العلمية والاجتماعية . فقد قدمه والي دمشق الوزير جركس محمد باشا(٢) مثلاً وقاضي القضاة فيها محمد أفندي داود زاده الأطروش (٣) للإمامة بالمصلين في صلاة الغائب على السلطان العثماني أحمد الأول في ١٤ محرم سنة ١٠٢٧ هـ / ١١ كانون الثاني ١٦١٨ م في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة (٤) .

٢ ــ وهو بالمقابل تعاطف مع الصالحين منهم وتجاوب ، وسعى لاستغلال علاقته الطيبة معهم واحترامهم له في تحقيق منافع لمجتمعه ، كرفع ظلم أصاب ذلك المجتمع ، أو ضريبة مالية جديدة فرضت عليه . فقد تعاطف مع سليمان باشا (٥) الذي وصفه بالعلم والتدين والصلاح ، وفي ذلك يقول : (ثم صار بيننا وبينه مودة ، أكدها منه وصية سليمان

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ق ٧ آ .
(٢) انظر : لطف السمر : ص ١٥٨ ، ح ١٠ .
(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٣٧) .
(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ١٥٨ .
(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٦٥) .

آغا (١) . . . الحبشي – كزلار آغاسي السلطان الذي كان يحضر دروس النجم ومجالسه العلمية في الجامع الأموي سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م – في مكاتبة فينا ، فكان يراعينا ، ويعتقدنا ويصلنا) (٢) . وقابل والي دمشق محمد بن سنان (٣) في اليوم الثاني لدخوله دمشق ، وذلك بعد أن عرف عن امتعاضه من أهل دمشق وعلمائها ، وفي ذلك يقول : (فلما كان يوم الجمعة – وهو ثاني يوم لدخوله والياً على دمشق – اجتمعت به أنا وحسن جلبي (٤) – وكان إبراهيم باشا (٥) حاضراً عنده – فقابلنا مقابلة حسنة ، حتى قال لي صاحبنا إبراهيم باشا – حفظه الله تعالى – : لقد شاهدنا ذلك كرامة لأسلافكم ولكم) (٦) . وعبر عن امتعاضه بقوله : (إنه كان لعلماء البلدة في نية شنيعة) (٧) . ولم يكتف الغزي بعلاقته مع ولاة دمشق ، بل عمد إلى مرافقة شيخه العيثاوي – مفتي الشافعية – في أوائل عام ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م في الرحلة إلى حلب للتوسط لدى الوزير محمد باشا (٨) ، كي يرفع هذا الأخير مافرضه على أهل دمشق من تكاليف مالية ينوء بها كاهلهم بسبب سفر العجم (٩) . ولما صار هو مفتي الشافعية بدمشق بعد شيخه

---

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٦٤) .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٤٧١ – ٤٨٤ .
(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٣٨) .
(٤) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٢٧ ، ح٢ .
(٥) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٢٠٠ ، ح٧ .
(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١١ – ٢١٢ .
(٧) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٢ .
(٨) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٦٤ ، ح٣ .
(٩) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٢٢ .

العيثاوي ، شارك في بعض أحداث بلده السياسية ، فقد كلف في بداية عام١٠٣٣ﻫ / ١٦٢٣ م بالذهاب مع جماعة من أعيان دمشق إلى بعلبك للطلب من الأمير فخر الدين المعني الثاني (١) السماح لوالي الشام آنذاك مصطفى باشا (٢) بالعودة إلى دمشق بعد أن كان الأمير فخر الدين قد أسره في حربه معه . ويبدو أن الوساطة قد نجحت ، فعاد مصطفى باشا إلى دمشق (٣) .

ولم يراقب الغزي أحداث بلده السياسية عن كثب ، ويشارك بها لدفع بلائها فحسب، بل كان يراقب أحداثه الدينية أيضاً، فلماجاء يحيى الكركي (٤) إلى دمشق مثلاً ، وحاول أن يدعوا أهلها إلى مذهبه الذي اعتبره علماء ذلك العصر كفراً وضلالاً ، غضب النجم ، وكان ثورة عارمة ، ونشط بكل قواه لدى العلماء والسلطات الحاكمة للقضاء عليه، وعلى ماأسماه «إلحاده» ، وكان « لتعصبه الزائد » على حد تعبير البوريني (٥) ، أثر كبير في اجتماع علماء دمشق عند قاضي القضاة ، وإصدارهم فتوى بقتله ، وأجاز هذه الفتوى الوالي أحمد باشا الحافظ ، ونفذ القتل في ذلك الرجل عام ١٠١٨ﻫ / ١٦٠٩ م . ومن ذلك أيضاً ماذكره المحبي في ترجمة « محمد بن أحمد المنوفي » (٦) الذي

---

(١) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٠٧ ، ح٦ .

(٢) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ٢٠٦ ، ح٢ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٧٧) .

(٥) انظر : تراجم الأعيان (فينا) : ق ١٥٥ آ .

(٦) هو محمد بن أحمد المنوفي المصري الشافعي ، فاضل أديب ، توفي سنة ١٠٤٤ ﻫ/ ١٦٣٤ م . انظر : خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٣٥٩ .

ورد دمشق ، وعقد حلقة تدريس في جامعها الأموي ، ووجه سؤال إليه « حول معرفة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – السحر ،فأجاب: إنه كان يعلم كل شيء منه من غير شك » . ونقل جوابه هذا النجم الغزي ، الذي ما إن سمع به حتى غضب غاية الغضب ، وكذبه ، وقال : (إنه افتراها) . وأخذ يقيم عليه الحدود في درسه كل ليلة ، ويقول : (إنه إن أصَرّ على ذلك كَفَر) . وتطلب النجم من أقرانه عمل رسالة على وفق مراده، فامتنعوا من ذلك . . . حتى ألف الشيخ أيوب الخلوتي(١) في ذلك رسالة سماها « السلك الموفي على رقبة المنوفي». فكف بعد ذلك المنوفي عن الدرس ، ورحل إلى الروم . . .) (٢) . ومن هاتين الحادثتين يبدو النجم للباحث ، ليس حريصاً على قطع دابر الضلالات فحسب ، وإنما عالماً قد نصب نفسه حافظاً للدين من البدع ، وعالماً ذا بأس ، شديد الحزم ، وقادراً بحجته ودالته على العلماء وأرباب السياسة ، على إزالة مايراه أنه قد يسيء إليه ، أو يلوث نقاوته ، ومما يقوم بنشره دجالون ومضللون .

وقد نقد الغزي بالحجة العلمية المقنعة ، بل استنكر بشدة بعض الأوضاع الدينية الجديدة التي اتخذها بعض العلماء ، استناداً إلى بعض الأقوال في مذاهبهم،واعتبر تلك الأوضاع والعادات بدعاً تجب إزالتها. وقام بتحقيق ذلك تحقيقاً علمياً . ومن ذلك قوله في ترجمة « محمد الميداني » (٣) : (ولما أنزل إلى قبره ، عمل المؤذنون ببدعته التي

---

(١) هوأيوب بن أحمد الخلوتي الصالحي ، فقيه ، متصوف ، توفي سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م . انظر : خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٤٢٨ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠ .

(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٥٥) .

ابتداءها من سنوات بدمشق ، من إفادته إياهم : أن الأذان عند دفن الميت سنة . وهو قول ضعيف ، وذهب إليه بعض المتأخرين ، ورده ابن حجر في شرح العباب (١) وغيره ، فأذنوا على قبره عند دفنه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) (٢) .

وقد شارك الغزي في بعض القضايا الاجتماعية الجديدة ، التي شغلت مجتمعه . ومنها على سبيل المثال: الجدل الذي أثاره علماء زمانه حول بعض العادات الاجتماعية الجديدة ، كشرب القهوة ، فأجاب بقصيدة عن سؤال وجه إليه حول شربها ، هل هو حلال أم حرام ؟ وقد بين في هذه القصيدة للسائل : أن شربها حلال ، ولكن بعض العادات الاجتماعية التي تلبست بها ، من اجتماع الفسقة على شربها في بيوت القهوات وعلى إدارتها على الملاهي والملاعب ، وعلى الغيبة والنميمة فهو حرام . ومن بعض أبياتها :

أيها السائل الذي جاء يرجو ... عندنا أن نبيحه شرب قهوه
قهوة البن لاتكون حراماً ... إنها لاتفيد في النفس نشوه
غير أن الذي يجيء بيوتاً ... هي فيها تدار عادم نخوه
إذ يرى المرد والمعازف والنرد ... وكل يلهو فيتبع لهوه
ثم لم يقو أن يغيّر نكراً ... خشية أن يعد ذلك هفوه
كل هـــذا مخالف لطريق ... خطه المصطفى وعرّج نحوه
وإذا شئت شرب قهوة بنّ ... حسوة قد أردت أو ألف حسوه
فليكن ذاك وسط بيتك مهماً ... لم تشب صفوها بموجب صبوه(٣).

---

(١) انظر عنه : المصدر نفسه : ص ١٨٧ ، ح ٤ .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨٧ .
(٣) انظر : الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ٣٦ .

ومن كل ماذكر يبدو أن الغزي كان منافحاً بصدق واندفاع ، وتشبث عما يراه حقاً ، أكان في المنحى السياسي أو الديني أو الاجتماعي . ولا يتبدى هذا في مثل تلك القضايا العامة فحسب ، بل يظهر كذلك في القضايا الفردية ، فقد كان حريصاً على إحقاق حق من يراه مظلوماً ، فقد ذكر الأنصاري مساعدة النجم لرجل من الفلاحين خلع زوجته ، في إعادتها إليه عند القاضي ، واستجابة هذا القاضي للنجم في ذلك (١)، لابل هو ذاته قام قبل وفاته بزيارة فلاحيه ، واستبرأ ذمته منهم ، وطلب مسامحتهم (٢) .

* * *

علاقته بمعاصريه من العلماء :

من الطبيعي أن يكون للمرء أصدقاء مخلصون ، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون له بالمقـــابل أعداء وحساد يسعون في الاتجاه المضاد لمصلحته ، ولا سيما إذا مابزغ نجمه ، وعلت مكانته . وقد لايكون النجم غريباً عن هذه القاعدة الاجتماعية – النفسية ، إذ أحبه أساتذته وطلابه وأصدقائه ، ومجموع الناس الذين سمعوا درسه ووعظه ، تقديراً لصفاته العلمية ، وأخلاقه وسلوكه . كما عاداه بعض زملائه من العلماء منافسة وحسداً ، وبخاصة عندما رأوا نبوغه المبكر ، وعلو شأنه . ويحدثنا هو عن ذلك فيقول : إنه لما تصدى للتدريس والوعظ ، وهو دون العشرين من العمر ، أنكر عليه الشيخ محمد بن المنقار الحنفي (٣) ،

---

(١) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٢٣ آ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٤٧) .

الذي صار مفتي دمشق فيما بعد ، وفي ذلك يقول : (ولما كنت أعظ وأقرأ الحديث — يقصد في الجامع الأموي — وأنا يومئذ دون العشرين سنة أنكر ذلك ، وحمله الحسد على الإنكار بغير وجه ، حتى شدد النكير في يوم الثلاثاء ، ثامن عشري رمضان ، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة. وكانت الشمس قد كسفت كسوفاً كلياً ، وصلى شيخنا — يقصد العيثاوي — إماماً بالناس صلاة الكسوف بمحراب الأولى من الجامع الأموي ، ثم حضر الشيخ شرف الدين الحكيم الخطيب (١) ، فصلى ، وحضر الشيخ شمس الدين — يقصد ابن المنقار — بذلك المشهد. فلما فرغ الناس من الصلاة ، أخذ في الإنكار على شيخنا في صلاته ، وعطف في الإنكار عليه : أنه علمني وقواني على الإفادة والتدريس والوعظ . فاجتمع به شيخنا والفقير معه ، فلما تكالمنا ثارت العوام به وألجؤوه حتى خرج من باب البريد من الجامع حافياً ، وهو بعمامة صغيرة غير عمامته المعتـــادة ، وهم يصيحون به وينكرون عليه بتحريات من الله تعالى . ثم آل الأمر إلى الاجتماع معه في مجلس حافل عند قاضي القضاة مصطفى أفندي ابن بستان (٢) ، فقرئت الفاتحة بيننا ، ثم قال شيخنا القاضي محب الدين والشيخ العيثاوي لانفض المجلس حتى نمتحن الشيخ نجم الدين ، فدعي بتفسير البيضاوي . فصار بيننا وبينه مناظرة عظيمة كانت الغلبة فيه والنصرة لنا عليه) (٣) . وقد ألف شيخه العيثاوي « رسالة » حول ماجرى لتلميذه النجم في ذلك المجلس(٤). ويبدو أن النجم قد تدعم مركزه ، وانتشر ذكره بعد شيوع تلك المناظرة بين الناس في دمشق ، حتى ألف بعضهم مصراعاً (تجاذبه أفاضل

---

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٥٧) .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٦١) .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٤٧ — ١٤٩ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ص ١١٧—١١٨ .

(٤) انظر : لطف السمر : ص ١٤٩ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١١٧ .

ذلك الوقت) على حد تعبير الغزي ، وهو (وعند كسوف الشمس قد ظهر النجم) (١) .

وهذا النصر الذي حصل عليه النجم ، جعله في مركز يستطيع منه أن يلوم ابن المنقار على إنكاره وتعرضه له ، وفي ذلك يقول أنه (كان بعد ذلك ، إذا لايمناه تلايم ، وإذا تركناه تماوج عباب حسده وتلاطم) (٢) . ويبدو أن حب النزاع ، والرغبة في التصدر والترؤس كان طبيعة متأصلة في ابن المنقار ، حتى إنه على ما يذكر كل من البوريني والمحبي والغزي نفسه قد تنازع مع ابنه ، لابل كان هذا حاله مع أكثر الناس ، وفي ذلك يقول المحبي عنه (وكان كثير المخاصمة والجدال ، يحب التصدر على أعلام الشيوخ) (٣) ويقول كذلك النجم (وكذلك حاله مع أكثر الناس ، وكانوا يتعبون في مداراته) (٤) .

ولم يكف ابن المنقار بعد ذلك عن معاداته للنجم ، بل استطاع تحريض بعض العلماء ، وجرهم إلى صفه في هذا العداء ، فضم إليه الشيخ إبراهيم الطباخ (٥) الذي كان يحضر دروس النجم ، ويثني عليه . ثم انقلب عليه آخر الأمر وعاداه ، وصار من حساده ، بحسب تعبير الغزي ، الذي يقول فيه : (ثم انقلب به الأمر ، وصار يحسدنا . ولما قرأت تفسير شيخ الإسلام الوالد ، أخذ ينكره ، ووافق هواه

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ١٤٩ . وخلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ١٥٠ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١١٦ .

(٤) انظر : لطف السمر : ص ١٥٠ .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٦٨) .

هوى الشيخ شمس الدين بن المنقار . وكان أكثر حسداً منه) (١) .
وانضم إلى هذين الشيخين في معاداة النجم وحسده الشيخ محمد الداوودي (٢) الذي كان يوده ويكرمه بسبب كونه تلميذ أبيه البدر الغزي ، إلا أنه لما اصطحب مع إبراهيم الطباخ ، انقلب امره ، وتبدلت مودته عداء (وليس من سبب لانقلابه إلا الحسد) (٣) على قول الغزي .

وقد أدى عداء هؤلاء الثلاثة للنجم ، وحسدهم له ، إلى التوافق فيما بينهم والتقارب ، حتى صاروا أصدقاء ، ويحدثنا الغزي عن ذلك فيقول : (وضم إبراهيم جلبي – يقصد ابن الطباخ – الداوودي إلى ابن المنقار ، وانسحبت المودة بينهم ، والعلة الجامعة لهم إنما هي التوافق على حسدنا . فاجتمعوا ثلاثتهم ثم انفردوا عن جميع أهل دمشق ، وتصدوا للإنكار علينا) (٤) .

ولم يكتف هؤلاء الثلاثة بالإنكار القولي على النجم ، بل حاولوا أن يقوموا معاً بعمل إيجابي يستطيعون بموجبه إبعاده عن التدريس في الجامع الأموي ، واتفقوا على ذلك . ونمي اتفاقهم هذا إلى الشيخ أحمد العيثاوي – شيخ النجم – فحاول تلافي الصدام معهم ، وطلب من النجم عدم الخروج إلى الدرس في ذلك اليوم . ولكن النجم الواثق بنفسه ، والمتشبث بحقه ، أصر على الذهاب مهما كانت النتائج ، ولاسيما أنه كان مسلحاً بإيمان عميق بنصره ، انعكس في رؤيا رآها – وكان على مألوف ذلك العصر يعتقد بالرؤيا – ويحدثنا عن ذلك

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٧ – ٢١٨ .
(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢) .
(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٢ ، ٢١٧ – ٢١٨ .
(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٨ – ٢١٩ .

بقوله : (قلت : يامولانا ، لابد من الخروج ، فاني رأيت البارحة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في المنام ، وقد استخلصني من جماعة يريدون أذيتي ، فأدخلني في حجره ، وأسبل عليّ ذيله . . . فبكى شيخنا ، وقال : اخرج على بركة الله) (١) . وخرج النجم إلى مجلسه الذي يدرس فيه ، واجتمع عليه الناس . ويبدو أن الثلاثة لما رأوا اجتماع الناس على النحم ، قد غيروا رأيهم ، بعد أن أبصروا إنكار الناس عليهم في اجتماعهم عليه . وفي ذلك يقول الغزي : (وكان الثلاثة قد اجتمعوا لما هموا به ، فلما بصروا بالمجلس من بعد ، رهبت قلوبهم . ثم خرجوا من باب البريد ثلاثتهم ، وأبصروا من الناس عين الإنكار عليهم ، وكفيناهم بفضل الله . ثم داموا على ذلك يتسارون الإنكار . . .) (٢) .

وكان إبراهيم الطباخ أشدهم إنكاراً على النجم . وسبب ذلك ، فيما يبدو ، طبيعته المماثلة لطبيعة ابن المنقار ، إذ (كان شديد التعصب ، دائم المخاصمة للعلماء) (٣) على حد تعبير المحبي . وابتدأ إنكاره له بالكلام ، (وكان ينادي في الجامع الأموي ، على رؤوس الأشهاد بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ! متى سمعتم بأن كلام الله تعالى ينظم من بحر الرجز ؟ ! وكيف ينزه الله تعالى نبيه — صلى الله عليه وسلم — عن الشعر ، ويأتي رجل من علماء أمته يدخل كلامه في الشعر ؟!) (٤) . وهذا الإنكار

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٩ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٣٢ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ج١ ، ص ٣٣ .

الشديد على النجم الغزي ، وعلى تفسير والده البدر ، دفع بالقاضي محب الدين ، شيخ النجم ، وجد المؤرخ المحبي ، للتصدي إلى معارضته ، فألف « رسالة » في الرد عليه سماها « السهم المعترض في قلب المعترض » ، وعندما وصلت هذه الرسالة إلى ابن الطباخ زاد حنقه ، وألف « رسالة » للرد على القاضي محب الدين(١) . ولما شاعت هذه الرسالة ، ووصلت إلى القاضي محب الدين ، ألف « رسالة ثانية » في الرد عليها سماها « الرد على من فجر ، ونبح النجم بإلقامه الحجر » (٢) . ولما شاعت أخبار رسالته الثانية بين الناس ، عمل ضيافة دعا إليها العلماء . ولما استقر بهم المجلس ، دفع القاضي محب الدين رسالته الثانية ، التي رد فيها على ابن الطباخ للحسن البوريني ، وطلب منه قراءتها على العلماء الحاضرين ، فقرأها . ويدّعي البوريني (أن الفضلاء الحاضرين في ذلك المجلس ، على كثرتهم ، دعوا وحسنوا للمؤلف والقارئ) (٣) . ولما وصل النزاع إلى هذا الحد ، جرد العيثاوي قلمه ، وألف رسالته في الرد على ابن الطباخ المذكور ، وسماها « الصمصامة المتصدية لرد الطائفة

---

(١) عرض ابن الطباخ رسالته التي ألفها على البوريني ، الذي علق عليها بقوله : (فرأيتها خالية من الغلط ، وشهدت منها أموراً ماكنت أظن أن يصل إليها) ، ثم شكك البوريني في نسبة هذه الرسالة إلى ابن الطباخ ، فقال : (وقال لي الشيخ نجم الدين . . . : إن الرسالة المذكورة ليست من تأليف إبراهيم ، وإنما هي من تأليف لطفي الضرير الشهير بابن يونس اليازجي ، وذلك لصهارة بينهما) . انظر : تراجم الأعيان : ج١ ، ص ٣٠١ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ١٢١ . وخلاصة الأثر : ج١ ، ص ٣٣ .

(٣) انظر : تراجم الأعيان : ج١ ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

المتعدية »(١) . وما إن شاعت هذه الرسائل بين علماء دمشق وفضلائها ، ووصل النزاع إلى ذروته ، حتى اشترك بعض الأدباء الدمشقيين في نصرة النجم على ابن الطباخ ، فنظم الأديب الشاعر « أبو بكر بن منصور العمري العطار »(٢) أرجوزة في معنى اعتراض ابن الطباخ على نظم البدر التفسير ، نجتزىء منها هذا البيت الذي يعرض بابن الطباخ ، ومقدرته العلمية ، وهو قوله :

فَعَدٍّ عن مباحث التفسير   وَعُدْ كما كنت إلى القدور(٣).

وقد اشترك بعض العلماء والصوفية في نصرة النجم الغزي على أعدائه وحساده أيضاً ، ومن هؤلاء : محمد الاضطراري المغربي المالكي(٤)، الذي أنكر على ابن المنقار إنكاره على النجم ، وتعرضه له ، وفي ذلك يقول الغزي : (ولما وقع بيننا وبين الشيخ شمس الدين بن المنقار ماوقع ، أنكر على الشيخ شمس الدين ، وقال : هو مايعرف مقام هذا الشاب ، والله ليأتين على الناس زمان يحتاجون فيه إليه ، ويرجعون في حل المشكلات إليه ، ويعولون في أمر الدين عليه ، ولينتفعن الناس بعلمه ، ويصيرن فيهم قدوة) (٥) .

ويبدو أن الصراع المحتدم بين الغزي وخصومه الثلاثة ، قد انتهى أخيراً لصالحه في حوالي عام ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ — ١٥٩٠ م . وفي ذلك يقول : (فحصل من هؤلاء الثلاثة ظهور في مبارزتنا ، وتظاهر

---

(١) انظر لطف السمر : ص ٢٢٠ . وخلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٣٣ .
(٢) انظر عنه : لطف السمر : ص ٢٨٩ ، ح ٣ .
(٣) انظر : تراجم الأعيان : ج ١ ، ص ٣٠٢ . وخلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٣٣.
(٤) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٥٨) .
(٥) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨٩ — ١٩٠

عليها ، وكفينا الثلاثة فيما دون عام) (١) . وقد استمر الغزي بعد ذلك في التدريس ، ولاسيما في صحيح البخاري وتفسير والده المنظوم ، بدليل ماذكره الأنصاري عنه في ختمه لصحيح البخاري في سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩١م (٢) .

* * *

تصوفه :

انتشر التصوف في البلاد الإسلامية وشاع ، وتعددت طرقه ، وكثرت زواياه ، وحلت في كثير من الأحيان محل المدارس . ونلمح من كتاب « الكواكب السائرة » وذيله « لطف السمر » كثرة الطرق الصوفية ، والشيد الواسع لزواياها ، فهناك طريقة الجباوية (السعدية) والصمادية والعمرية والقادرية والرفاعية والأحمدية والمولوية وغيرها ، ولكل طريقة عديد من الزوايا المنبثة في أرجاء البلاد الإسلامية .

وقد تأثرت أسرة الغزي بهذا التيار الصوفي الواسع ، ويبدو أن مشايخها قد اتبعوا الطريقة القادرية (٣) وهذا يتضح من سلسلة الطريق الصوفي لديهم ، كما ذكره النجم عندما ثبت أخذه لهذا الطريق(٤) . وإن كان هذا لاينفي أخذ الواحد منهم لطرق عدة ، وهذا ماذكره

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٣ .

(٢) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٨٦ ب .

(٣) نسبة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني . انظرعنه لطف السمر : ص٣٠٠، ح٥ .

(٤) انظر : لطف السمر : ص ٣٠٠-٣٠١ . ومنبر التوحيد : ج١، ق ٢ب - ق ٣ آ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٥ آ .

النجم عن نفسه في سلسلة الطريق الصوفي لديه كالطريقة الأحمدية(١) والرفاعية (٢) . وبعد أن يذكر طريق أخذه التصوف عن أقطاب هذه الطرق يقول : (إن طرق هؤلاء العارفين معروفة ، وهي تختلف . فلنذكر منها طريقة أجلهم وأفضلهم الغوث أبي صالح عبد القادر الكيلاني — اختصاراً — تبركاً وتأسياً) (٣) . ثم يذكر سلسلة الطريق من عبد القادر الكيلاني إلى علي بن أبي طالب (٤) ، رضي الله عنه .

من ذلك يتضح أن الغزي كان قادرياً في تصوفه ، ويبدو أنه كان يعتبر نفسه أهلاً لابتداع طريقة صوفية جديدة تنسب إليه ، وخاصة بعد أن جمع الطرق السابقة في ذاته . ويدل على ذلك ما أورده في مقدمة كتابه « منبر التوحيد » من أنه جمعه من بعض الكتب السابقة ، و (مع مايسره الله لي — الحديث النجم — من بوارق المعارف ، وشوارق الأنوار ، مما تلقيته عن العارفين والمحققين . . . ومما ألهمني الله تعالى إياه ، وألقاه في روعي من أسرار المعارف التي أمطر بها سري . . . مما أرجو الله تعالى أن يعيده علي من بركاته ، وعلى سائر **مقلدي طريقي** ... من المعتقدين في خيراً ، وإن كنت أعرف منهم بنفسي) (٥) .

وقد آمن النجم بجميع القضايا التي آمن بها المتصوفة ، ومنها :

---

(١) نسبة إلى الشيخ أحمد بن علي البدوي، من كبار الصوفية، ومؤسس الطريقة الأحمدية المتوفى سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م . انظر : الأعلام : ج١ ، ص ١٧٠ .

(٢) نسبة إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي ، من كبار الصوفية ، ومؤسس الطريقة الرفاعية ، المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م . انظر : الأعلام : ج١ ، ص ١٦٩ .

(٣) انظر : منبر التوحيد : ج١ ، ق ٣آ .

(٤) انظر عنه : لطف السمر : ص ٢٣٠ ، ح٣ .

(٥) انظر : منبر التوحيد : ج١ : ق ٣آ .

وجود الأبدال (١) ، ويحدثنا عن نفسه في ذلك قائلاً في ترجمة أبي بكر المعصراني(٢) المجذوب: (وسألت الله تعالى أن يكشف لي عن مقامه ، فرأيته تلك الليلة في المنام في صورة أسد ، ثم تحول إلى صورته ، وظهر بذلك أنه من الأبدال ، فلما كان النهار رأيته وهو في حالته ، فضحك إليّ ، وقال لي : كيف رأيتني البارحة ؟) . كما آمن بوجود القطب والغوث (٣) ، ويحدثنا هو عن إيمانه هذا بقوله : (ولما حججت سنة عشر بعد الألف ، لقيت الشيخ أحمد — يقصد العيثاوي — يقظة لامناماً ، ونحن سائرون ليلاً من أذرعات (٤) إلى مرحلة المفرق (٥) . فقال لي : يا شيخ نجم الدين ، استحضر قلبك في سيرك ، فإنّ القطب معكم في الركب ، ثم التفت فلم أرَ أحداً ، وكان — رحمه الله — من أصحاب الأحوال ، وهذه الواقعة تدل على أنه كان من الأبدال) (٦) . وآمن أيضاً بالأولياء (٧) ، فقال في وصف شيخه العيثاوي : (وكان من رآه يشهد أنه من أولياء الله تعالى) (٨) . وقال في ترجمة أبي بكر بن عبد القادر البكري المجذوب (٩) : (ولا

---

(١) انظر عن الابدال : لطف السمر : ص ٢٦٠ ، ح٤ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٨٩) .

(٣) وانظر عن القطب والغوث : المصدر نفسه : ص ٣١٨ ، ح٢ . وقال (إنه رأى القطب والغوث في مكة في ٧ ذي الحجة سنة ١٠٠١هـ) انظر : الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ١٩ .

(٤) انظر عنها : لطف السمر : ص ٣١٧ ، ح٨ .

(٥) انظر عنها : المصدر نفسه : ص ٣١٨ ، ح١ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١٧ — ٣١٨ .

(٧) انظر عن الولي : المصدر نفسه : ص ٢٤٣ ، ح٢ .

(٨) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١٥ .

(٩) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٨٢) .

شك في ولايته ، وأخبر بموته قبل وقوعه بسنين ، ووجد ذلك على جدران بيته) (١) . وكذلك آمن بالمجاذيب (٢)، وترجم للعديد منهم، وآمن بوجود الكرامات ، وتحدث عن عدد منها لبعض الأشخاص الذين ترجم لهم فقال عن « كرامة » إبراهيم الجباوي (٣) : (وأراد ولده الشيخ كمال الدين (٤) أن يحجر قبره ، فاشترى حجارة من الصالحية ، فرأى في تلك الليلة صاحبنا الحاج يونس بن المدرسة (٥) الشيخ إبراهيم في المنام ، وكان الحاج يونس جاره . قال : رأيته كأنه قاعد في مقعده ببيته على عادته ، فقال لي لما دخلت عليه : ياحاج يونس ، الحق هذه الجمال الذاهبة إلى المقبرة ، حاملة هذه الحجارة الحرام ، وقل لهم يرجعوا بها ، ما لنا حاجة بهذه الحجارة . ولم يكن الحاج يونس علم أن ولده اشترى حجارة لقبر والده ، وأنها نقلت في ذلك اليوم على جمال ، فوضعت عند القبر ليحجر بها . فلما أخبرهم بالمنام تنبهوا ، فسألوا عن الحجارة فإذا هي منقولة من قبور محجرة كانت بالصالحية ، فردوا الأحجار إلى محلها ، واشتروا أحجاراً غيرها جديدة القلع من الجبل . وكانت هذه كرامة عظيمة للشيخ إبراهيم المذكور) (٦) . وآمن النجم بالكشف (٧) أيضاً وغيره من قضايا الصوفية .

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٤٨ .

(٢) انظر عن المجذوب : لطف السمر : ص ٢٤٣ ، ح ٣ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٦٧) .

(٤) لم نعثر على ترجمة له .

(٥) لم نعثر على ترجمة له .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٥ . وانظر حول إيمان الغزي بالكرامات مثلاً : المصدر نفسه : ص ٣٤٢ ، ٥٩٦ ، ٦٧٤ .

(٧) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٤٨ .

وكان الغزي يحضر حلقات الذكر ، فقد ذكر حضوره لحلقات الصمادية (١) ، وجماعة المحيا (٢) وغيرها .

وقد انتقد بعض المعاصرين لنا الغزي لذلك ، واعتبروا إيراده تراجم بعض المجاذيب ، وبعض الكرامات مما يخل بالموضوعية العلمية ، فقال عنه أحدهم : (خذ مثالاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لأناس تستحي أن تعدهم من العامة ، لأن العامة أرقى منهم عقلاً وديناً . ولعمري ، أي دخل لكتاب في تراجم أعيان قرن أن يدرس في جملتهم أناس لا خلاق لهم ، خرقوا حدود الشريعة بدعواهم : خرق العادات ، وعبثوا بعقول العامة ، فسرت بدعهم إلى الخاصة . قل لنا بأبيك : أي داع للمؤلف أن يترجم أناساً من البله السخفاء ، أرباب الجذب ، مثل : أبكر اليمني المجذوب(٣) ، وأبي بكر بن المجنون (٤) ، ومروان المجذوب (٥) ، وعبد الله الكردي المجذوب (٦) ، وشعبان المجذوب (٧) ، ومحمد المجذوب(٨)

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٩٥ . والكواكب السائرة : ج٣ ، ص ١٨ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج٢ ، ص ١٢٨ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٣ ، ص ٩٣ . وليس فيها أنه « مجذوب » فليتأمل !

(٤) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ١١٨ .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٢٥٠ .

(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ١٥٥ . وليس فيها أنه « مجذوب » فليتأمل ! ولكن يوجد في نفس الصفحة ترجمة شخص اسمه « عبد الله المجذوب » ، فربما اختلط الأمر بينهما على الكاتب .

(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ٢١٤ . ومن الجدير بالذكر أنه توجد بالمصدر نفسه : ج٢ ، ص ١٥١ ترجمة لشخص آخر بهذا الإسم أيضاً .

(٨) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ٨٧ .

وعمر العتيبي المجذوب(١) ، وذي النون الكملاني المجذوب (٢) ، وأحمد أبو طاقية (٣) ، وفرج المصري المجذوب (٤) ، وخميس المجذوب (٥) ، وسويدان المجذوب (٦) وسويد المجذوب (٧) ، إلى غيرهم من المجاذيب والمجانين الذين هم أحرى بأن يجعلوا في دور المعتوهين من أن يحشروا في عداد العلماء العاملين ، أمثال : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي(٨)، والسيدة عائشة الباعونية (٩) وغيرهم ممن كانوا منار الأمة في ذلك القرن) (١٠) . ويبتعد هذا الناقد عن موضوعية العلماء عندما ينقلب نقده إلى هجوم على الغزي في قوله : (تالله إن شيخ الإسلام زكريا والسيدة الباعونية ، لايرضيان بأن يذكر اسمهما مع أسماء أولئك الذين قضي عليهم باختلال تراكيب أدمغتهم ، وقضي على الأمة بصنع

---

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ص ٢٢٩ . وليس فيها أنه « مجذوب » ، ولكنه مؤسس طريقة صوفية جديدة بدمشق ! ! .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ١٩٤ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ١٥٥ .

(٤) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٢٣٨ .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ١٩١ .

(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، : ص ٢١٣ .

(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه :ج١ ، ص ٢١٢ .

(٨) انظر عنه : لطف السمر : ص ١٤٣ ، ح١ .

(٩) هي عائشة بنت يوسف ، الشيخة العالمة ، العاملة المتصوفة الأديبة الشاعرة المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م . انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٢٨٧ .

(١٠) انظر : مجلة المقتبس ، دمشق ، المجلد ٥ ، سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، العدد ١٢ ، ص ٧٤٠ . (ولعل كاتب المقال محرر المجلة محمد كرد علي) . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : المقتبس .

علمائها أن يقدسوهم ، ويتباركوا بهم . فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله ، والخلل بما هو أشد منه عاراً) (١) . ثم يمضي هذا الناقد في هجومه قائلاً : (مانظن عاقلاً يرضى بأن يعد في الأولياء سويد المجذوب ، وهو باقرار المؤلف يتناول الحشيش فيغيب ويهذي (٢) ، ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين . وشيخنا – يقصد النجم الغزي – يقول للناظرين في كتابه : اعتقدوا لما اعتقد بهؤلاء الدخفاء)(٣) . وينتقل هذا الناقد من هجومه على الغزي إلى نقد كتابه « الكواكب السائرة » فيقول : (وعلى ذلك فالكتاب ليس من الكتب المنقحة ، لأن المؤلف لم يشتغل بعلم التاريخ اشتغاله بعلم الحديث،ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه) (٤) . وليت هذا الناقد وقف عند المجاذيب في نقده للغزي بل تعداه إلى ايراده تراجم فئات أخرى من المجتمع ، فقال مستنكراً : (وماذا تفيد الأمة ترجمة محمد ابن مبارك القابوني (٥) مثلاً الذي ترجمه بأنه « كان رئيساً في عمل الموالد ، ندي الصوت ، حسنه، بعيد النفس،عارفاً بالموسيقى،داخلاً ، إلا أنه كان عامياً يلحن . وكان أحد المؤذنين المشهورين بالجامع الأموي، ورئيس المؤذنين بالدرويشية (٦) والسيبائية (٧) . إن نفس القارىء

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٤٠ .

(٢) في الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٢١٢ مايلي : (وكان خير بك الجركسي كافل حلب يعتقده . . . فقيل له : إنه يأكل الحشيشة ، فأرسل أميناً اتبعه فإذا هو قد أخذ الحشيشة ووضعها في كمه ، فاحتوى على عقله حتى أحضره إليه ، وأشار إلى أن في كمه ما فيه ، فطلب منه خير بك أن يطعمه مما فيه فأبى، فصمم عليه فأخرج له شيئاً من الحلاوات ، ففتش كمه فاذا هو خال عن تلك الحشيشة ، فزاد اعتقاده فيه) .

(٣) انظر : المقتبس : ص ٧٤٠ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٧٤٠ .

(٥) انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٧٤ .

(٦) انظر عن الدرويشية لطف السمر : ص٩٨ ، ح٣ .

(٧) انظر عن السيبائية : المصدر نفسه : ص ٩٨ ، ح٢ .

تثلج إذا قرأت ترجمة علي بن ميمون (١) مثلاً ، وكان بعض أهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح ، وهو على جانب عظيم من العلم . فماذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر على التعريف بمثله وبغيره من العلماء ، واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم إلا تكبير حجم الكتاب وتلويثه بتلك الهنات) (٢) .

كذلك ينتقد هذا الكاتب الغزي في إيراده بعض كرامات الأولياء التي يعتقدها ، فيقول : (أما كرامات الأولياء التي ينسبها بعض أحبابهم لهم ، وهم لايدعونها على الأغلب ، على مانسبوا أموراً للجيلي (عبد القادر الكيلاني) والرفاعي وغيرهما من العلماء ، فإنها تدخل في باب خرق العادة . وهذه لاينقل أخبارها إلا من يحلمون بها في منامهم ويقظتهم ، فإذا كان البشر نسبوا إلى أناس عرفت ترجمتهم على مايجب أموراً لم يأتوا بها ، ولا قالوها ، أفما هم أحرياء أن يلبسوا مع ضعف المدارك على بعض الصالحين كرامات لم تخطر لهم على بال ؟) (٣) .

ويشعر هذا الناقد بأنه قد أفرط في نقده إلى حد قد لايكون مقبولاً ، فقال مبرراً ذلك : (ربما لايقع كلامنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون أن يحسنوا ظنهم بعباد الله . أما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق أن يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي ؛

---

(١) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٢٧١ . وهو فقيه قاض متصوف من مؤلفاته « كتاب غربة الإسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الروم والأعجام » ، وتوفي سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م .

(٢) انظر : المقتبس : ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٧٤١ .

فيختلط صالحهم بطالحهم ، وعاقلهم بمجنونهم ، بل لايرضى إلا أن يقدر كل واحد وما يعمل) (١) .

ونحن قد نكون مع الناقد في كثير من النقاط ، ولكن يجب ألا ينسى الناقد أن الغزي لايعبر عن هواه الخاص فقط فيمن ترجم من مجاذيب ، وإنما عن تيار قوي ، وفكر شعبي سائد ، لاتزال بعض آثاره قائمة حتى الآن . ونحن لانريد من جانبنا أن ندافع عن الغزي ، ولا عن معتقداته الصوفية الخاصة التي جعلته يدرج مثل تلك الأمور في كتابه ، ولكن نريد أن نشير إلى الأمور التالية :

١ – إن الموضوعية العلمية تقتضي من الناقد أن يوجه نقده إلى أي مؤلف بدون تهجم عليه .

٢ – قد تكون الآراء التي يبديها الناقد منسجمة مع الفكر العلمي الوضعي والعقلانية السائدة في عصرنا ، ولكن يجب ألا ينسى أن لكل مجتمع معتقداته ، ونمط تفكيره ، في كل مرحلة من مراحل تطوره . والغزي – إذا أهملنا معتقده الخاص – يعبر في ترجمته لأولئك المجاذيب عن تيار فكري قوي ، يشق طريقه وسط المجتمع. وهكذا فإن المعايير التي يستخدمها الناقد في النقد تبقى نسبية ، وخاصة بعصر أو مجتمع ما ، أو متأثرة بنظريات معينة فكرية يعتنقها . وبالتالي فإن الإسقاط المعاصر للتاريخ على حوادث وسير الرجال في الماضي ، إذا لم يأخذ بعين الاعتبار ماذكرناه ، قد يوقع الباحث أو الناقد ببعض الأفكار والآراء المغلوطة ، ولعل الرأي الذي يدعو المؤرخ أن يسعى في عمله إلى فهم محيطه ونفسه ،

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٧٤١ .

وأن يفسر الحاضر الذي يعيشه ، ويقدمه للآخرين (١) ، ينطبق إلى حد ما على مافعله الغزي .

ولعل هذا ماوعاه ناقد ثان للغزي ، فقال في وصفه للجزء الأول من كتاب « الكواكب السائرة » : (إن المترجمين في هذا الجزء يغلب عليهم أمران ، الأول : الاشتغال بدراسة الفقه . والثاني : الانقطاع للعبادة ، والفقهاء بين مدرسين ومؤلفين للحواشي والتعليقات ، والأولياء بين متصوفة ومجذوبين ومكاشفين ، ولهؤلاء غرائب : كرامات ، وخوارق : مواجدات . والمؤلف يرويها مطمئناً إليها ، داعماً لها) (٢) . ثم يسرد الناقد بعض هذه الكرامات الغريبة ، ويتابع بعد ذلك وصفه لقيمة هذا الكتاب فيقول : (وفي الكتاب إلى جنب هذا ، موضوعات تمس الحياة الاجتماعية ، ومن ذلك تعاطي بعضهم « الحشيش والكيف » ومنشأ شرب القهوة على يد أبي بكر الشاذلي العيدروسي (٣) ، وما صار إليه العلماء من اختلافات في ذلك . ثم أحوال المتصوفة والمتجردين ، وهي مبثوثة في مطاوي الكتاب . وإلى جانب ذلك كله فوائد تاريخية

---

(١) انظر : هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمه عن الانكليزية عبد الحميد العبادي ، القاهرة ١٩٤٤ م : ص ١٠ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : علم التاريخ .

(٢) انظر : مجلة الكاتب المصري ، المجلد ٣ ، السنة ١٩٤٦ م ، العدد ١٢ . مقال بشر فارس حول كتاب « الكواكب السائرة » : ص ٧٣٩ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الكاتب المصري .

(٣) هو أبوبكر بن عبدالله الشاذلي المعروف بالعيدروسي ، متصوف ، مبتكر القهوة بحسب تعبير الغزي . توفي في أوائل القرن العاشر الهجري . انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ١١٣ .

مثل قصة « أحمد باشا الطاغية » (١) في مصر . وبعد فالرأي أن ميزة هذا الكتاب في تصويره لجانب من الحياة العقلية والاجتماعية في عصره ، لافي سرده لرجال ليسوا في مقام الأولين) (٢) .

وعلى هذا فإن تعرض الغزي لتلك القضايا الصوفية — الشعبية ، وإيمانه بها ، يساعد الباحث على أن يستنبط صورة واقعية للحياة الفكرية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيش في وسـطه ، كما يفسر تأليفه الكتب في التصوف ، وهو « منبر التوحيد » الآنف ذكره . ويبدو أن الغزي بلغ مكانة مرموقة في التصوف لدى معاصريه ، بدليل وصفهم له بـ (أنه أحد الأبدال) وفي ذلك يقول كل من المحبي وأبي المواهب الحنبلي : (فقد أخبر بعض الثقات ، أنه سأل عن الأبدال بالشام ، فعد منهم ثلاثة ، أحدهم النجم) (٣) .

* * *

---

(١) هو أحمد باشا ، ولاه السلطان سليم الأول على مصر ، وجعلها له تيماراً ، فدخلها في ١٨ شوال ٩٢٩ هـ ، واستولى عليها وادعى السلطنة لنفسه فيها ، وأمر أن يخطب باسمه ، وأن تضرب النقود باسمه أيضاً. واستولى على قلعة الجبل في سنة ٩٣٠ هـ ثم اتهم بميله لعقائد الشيعة فثار عليه العساكر وقتلوه في ٢٩ ربيع الثاني سنة ٩٣٠ هـ/٧ آذار ١٥٢٤ م . انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر : الكاتب المصري : ص ٧٤٠ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب .

حياته الخاصة وسكنه :

تزوج النجم الغزي خلال حياته الطويلة ثلاث مرات : الأولى منها كانت ، وهو مايزال دون العشرين من العمر ، في حوالي عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥ م ، وكان ذلك بإحدى بنات شيخه الشيخ أحمد العيثاوي فأنجبت له غلاماً سماه محمداً ، ولقبه ببدر الدين (١) . ويبدو أن الحظ لم يحالفه في زواجه هذا ، إذ توفيت زوجته بالطاعون في عام ٩٩٦ هـ / ١٥٨٧ م . وعطف عليه شيخه ، وخفف من آلامه بتزويجه بابنته الثانية ، التي ولدت طفله الثاني الذي سماه « سعودي »(٢) . ولا نعرف مصير الزوجة الثانية ، إلا أننا نعرف أن النجم تزوج مرة أخرى بأم القاضي يحيى بن حميد (٣) ، وتوفي في منزلها (٤) .

ويبدو أن النجم الغزي لم يستقر في مسكن واحد طيلة حياته ، فقد سكن بالخلوة الحلبية ، شرقي الجامع الأموي، بشمال ، بعد أن تفرغ له عنها حسن باشا المعروف بشوربزي حسن (٥) بمال بذله له ، ويبدو أنه قطع بيته منها (٦) . ثم سكن أيضاً في جوار المدرسة الرواحية (٧) ، وأخيراً سكن في بيت زوجته الأخيرة أم القاضي يحيى بن حميد ، بزقاق الوزير ، الآخذ إلى سوق جقمق ، حيث توفي به (٨) كما أشرنا من قبل .

* * *

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١) .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٣١٣ — ٣١٤ .
(٣) لم يعثر على ترجمة له .
(٤) انظر : خلاصة الاثر : ج ٤ ، ص٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي:ق٢٧ب.
(٥) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٤٥) .
(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٤٢ .
(٧) انظر عنها : المصدر نفسه : ص ٧١٧ ، ح ٣ .
(٨) انظر : المصدر نفسه : ص ٧١٧ . وخلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ .

حجه :

نشأ النجم الغزي — كما رأينا — حافظاً لدينه ، تقياً وورعاً ، ومن ثم كان حريصاً جداً على أداء فروضه الدينية ومنها الحج . وهو لم يكتف بحجة واحدة ، بل سعى إلى الديار المقدسة اثنتي عشرة مرة خلال عمره الطويل (١) ، منها خمس مرات في شبابه (٢) ، وذلك خلال الأعوام التالية : ١٠٠١ ، ١٠٠٧ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٤ هـ (٣) . وكانت حجته الأولى ، وله من العمر أربعة وعشرون ، ثم انقطع عن الحج مدة اثنين وعشرين عاماً . ويفسر النجم لنا سبب انقطاعه هذا فيقول : (ثم قعدت عن ذلك — أي عن الحج — اثنين وعشرين عاماً ، لا إعراضاً عن النسك ولا إحجاماً ، ولكن لأفيد الناس على مافيّ من عوج . . . وكلما خطر لي بالحج خاطر أقول : ماأنا فيه عوض منه ظاهر ، حتى كان يوم الاثنين سادس عشري رجب الحرام تحرك الوجد والغرام إلى زيارة البيت الحرام ، وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام) (٤) .

ويستفاد من ترجمة ابن النجم « سعودي » أن والده حج كذلك في سنة ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٧ م (٥) ، وحول حجه ذكر ابن شاشو أيضاً : أن والده — والد ابن شاشو — (كان قد سافر معه — أي مع

---

(١) انظر : تراجم بعض أعيان دمشق : ص ١٠٣ .
(٢) انظر : رحلة النجم الغزي : ق١آ .
(٣) انظر : لطف السمر : ص٧ ، ٣٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ .
(٤) انظر : رحلة النجم الغزي : ق ٢ آ .
(٥) انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٢٠٩ .

النجم – مرة مع الركب الشامي لزيارة بيت الله الحرام ، فبعد وصوله إلى المزيريب (١) عرض للشيخ بعض الأمراض ، فعزم على الرجوع إلى الشام ، فحصل لوالدي – والد عبد الرحمن بن شاشو – بسبب فراقه ، ماأخطر بباله : أن لايفوز بتلاقه . فالتفت إليه الشيخ ، وقال له : خل عنك هذه الأوهام، أنا لا أموت في هذا العام ، فإنني اجتمعت بالخضر أو القطب ، فطلبت منه أن يدعو لي بتيسير الحج عدد الشهور ، وقد حججت إحدى عشر حجة ، وبقي واحدة لتمام العدد المذكور ، فكان كما قال . فحج بعد ذلك بعام . وأقام مدة قليلة من الأيام)(٢) .
وكانت آخر حجات الغزي في عام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م . وفيها توافد الناس عليه،وازدحموا بحيث كادوا يسدون عليه الطريق ، وأخذوا يطلبون منه الإجازة في الحديث ، وذلك لشهرته فيه كما أسلفنا ، فأجازهم . وعن ذلك يحدثنا كل من المحبي وأبي المواهب الحنبلي : أن الشيخ حمزة بن يوسف الدومي (٣) قد أخبر غير مرة ، أنه لما حج في سنة ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م كان النجم حاجاً في تلك السنة ،

(١) قرية من قرى حوران ، وهي أول مرحلة من مراحل الحاج الشامي ، تبعد نحو ١٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من دمشق ، وقد جرت العادة أن يمكث بها الحجاج بضعة أيام ليتخذوا الترتيبات النهائية للتموين وغيره ، وينتظم الجند المرافقون لأمير الحاج . ولهذا كانت تعتبر سوقاً تجارية في موسم الحج ، وبعد أن تبدأ القافلة في السير كان الناس الذين اصطحبوا أقاربهم من الحجاج لتوديعهم هناك أو بسبب التجارة يعودون إلى دمشق . انظر : حوادث دمشق اليومية : ص١٠ ، ح٢ .

(٢) انظر : تراجم بعض أعيان دمشق : ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٣) هو حمزة بن يوسف الدومي ، فقيه ، توفي سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م . انظر : سلك الدرر : ج٢ ، ص ٧٥ .

وهي آخر حجاته . وكذلك الشيخ منصور السطوحي المحلي (١) .
فقال – أي حمزة الدومي – : (وكنت في صحبة الشيخ منصور بخلوة له عند باب الزيادة ، إذا بحس ضجة عظيمة ، قال : فخرجت ونظرت وإذا بالشيخ النجم والناس حوله يقولون له : أجزنا ، ومنهم من يقول : هذا حافظ العصر ، ومنهم من يقول : هذا حافظ الشام ، ومنهم من يقول : هذا محدث الدنيا . فوقف عند باب الزيادة وقال لهم : أجزتكم بما تجوز لي روايته بشرطه عند أهله ، بشرط أنلايلحقنا أحد حتى نطوف . ثم مشى إلى المطاف ، فما وصل إليه وخلفه أناس أكثر من الأول ، فوقف وأجازهم كما تقدم . وقال لهم : بشرط أن لايشغلنا أحد عن الطواف . قال : فوقف الناس وطاف الشيخ ، قال : ولم يكن يطوف مع الشيخ إلا أناس قلائل ، كأنما أخلي له المطاف . فلما فرغ من الطواف طلبوا منه الإجازة أيضاً ، فأجازهم)(٢) .
ثم دعاه الشيخ منصور لضيافته ، فلبى النجم دعوته ، وحضر هذه الضيافة أيضاً عدد من العلماء ، وشريف مكة آنذاك « الشريف زيد»(٣) ولما انتهوا من الطعام ، جرى ذكر الساعة (فقال النجم بصوت مزعج، وقد جلس على ركبتيه ، وشرع يورد أحاديث الساعة بأسانيدها ، وعزوها لمخرجيها ، ويتكلم على معانيها حتى بهر العقول) (٤) . مما

---

(١) هو منصور السطوحي المحلي الشافعي، عالم زاهد متصوف ؛ توفي سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦ م . انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

(٢)انظر :خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي :ق ٢٧ آ .

(٣) هو شريف مكة ، زيد بن محمد الحسني ، تولى شرافتها عام ١٠٤١ هـ وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في سنة ١٠٧٧هـ / ١٠٦٦ م . انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١٧٦ .

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ آ – ق ٢٧ب .

جعل بعض العلماء الحاضرين والشريف زيد يطلبون منه الإجازة فأجازهم) (١) . وحديث الغزي هذا المفيد الممتع ، على مايبدو ، جعل الكثيرين من الحاضرين الشاكين بمدى سعة وعمق ثقافة الغزي يتأكدون من سعة علمه ، وقدرته العجيبة على الحفظ ،وفهمه العميق لما يعلم (٢) .

* * *

مرضه ووفاته :

اعترى النجم قبل موته بست أو سبع سنوات طرف فالج ، حتى كان لايتكلم إلا قليلاً ، وهذا ما جعل كل من أبي المواهب الحنبلي والمحبي يذكران أن حديثه بمكة عن « الساعة » كان كرامة له ، لابل جعلهم يعتقدان أنه من الأبدال (٣) ، وأن ماحدث له من الانكسار والسكوت في حادثة « حسين بن فرفرة المجذوب » (٤) لا يقدح في ولايته ، بل لعل ذلك كان من أسبابها (٥) .

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب .

(٤) هو حسين بن محمد المعروف بابن فرفرة الدمشقي المجذوب ، أحد المؤذنين بالمنارة الغربية في الجامع الأموي ، توفي سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م . انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١١١ .

(٥) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب . ويروي المحبي حادثة الغزي مع ابن فرفرة المجذوب بثوب أسطوري ، فيقول :=

ويبدو أن فالج الغزي كان خفيفاً ، بحيث وصفه كل من أبي المواهب الحنبلي والمحبي بأن « طرف فالج »، وبحيث لم يمنعه من القيام بفروضه الدينية كالحج في سنة ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م ، وزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين قبيل وفاته ، إذ ذهب إلى القدس بصحبة الشيخ إبراهيم الصمادي (١) ، شيخ الطريقة الصمادية بدمشق ، في جماعة من الناس ، ونزلا إلى الرملة ، وزارا تلك الأمكنة ، ثم عادا إلى دمشق . وقد تفرغ النجم بعد ذلك للعبادة ، وترك التأليف بعد أن شاخ وهرم(٢).

ووقع له قبل وفاته بيومين ، أنه طلع إلى بساتينه ، — أوقاف جده — واستبرأ ذمته من فلاحيه ، وطلب منهم المسامحة ، كما أشرنا من قبل . وفي اليوم الثاني دار على أهله : ابنته وبنتها وغيرهما ، وزارهم وأتى إلى منزله ، ببيت زوجته أم القاضي يحيى بن حميد ، بزقاق الوزير

=(واتفق لصاحب الترجمة — يقصد ابن فرفرة — من الكرامات مااشتهر أنه أتى لدرس النجم الغزي ، مفتي الشافعية ومحدث الشام في عصره على الاطلاق ، وكان يقرىء صحيح البخاري تحت قبة النسر ، من جامع بني أمية . فأخذ يورد كلاماً خالياً من الضبط ، ويسأل سؤالات خارجة عن المقصود . فقال له النجم : اسكت . فقال : بل أنت اسكت ، وقام مغضباً من مجلس الدرس . فاتفق أن النجم مرض بعد أيام ، واعتراه طرف من الفالج فأسكت ، وحضر الدرس وهو ساكت . ثم تقرب إلى خاطر صاحب الترجمة ، فانطلق لسانه بعد ذلك . وكان يقبل يد الحسين ، ويعتذر إليه بعدها ، ويوده) . انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١١٢ .

---

(١) هو ابراهيم بن مسلم الصمادي ، شيخ الطائفة الصمادية بدمشق بعد أخيه الشيخ عيسى ، توفي سنة ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٢ م . انظر : خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٤٨ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب .

الآخذ إلى سوق جقمق ، وصلى المغرب ، ثم جلس لقراءة الأوراد ، وأخذ يسأل عن أذان العشاء ، وأخذ في ذكر « لاإله إلا الله » وهو مستقبل القبلة . ثم سمع منه قوله : (بالذي أرسلك ، ارفق بي) فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً قد قضى نحبه (١) . وكان ذلك في يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخر (٢) ، سنة ١٠٦١ هـ / ٨ حزيران ١٦٥١ م ، عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام . ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان بدمشق (٣) . وقد رثاه جماعة من أهل دمشق ، منهم الأديب الشاعر محمد بن يوسف الكريمي (٤) بقصيدة طويلة مطلعها :

لمــــا لجنـــــات العلى   شــيخ الشــيوخ انتقــلا

وجعل تاريخ وفاته في بيت كامل ، جعله آخر بيت في القصيدة ، وهــو :

يـــانجم دين الله من   أفق دمشــق أفــلا (٥)

١٠٦١

* * *

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب – ق ٢٨ آ .

(٢) ذكر بروكلمان أن وفاة الغزي كانت في ١٨ جمادى الأولى . انظر :
Brockelmann, Carl. Geschichte Der Arabischen Litteratur, 2 Vols, Leiden 1943. Part II, P. 376.
سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : Brockelmann, G.

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق٢٧ ب .

(٤) هو محمد بن يوسف الكريمي الدمشقي ، أديب شاعر ، توفي سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨ م . انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٧٣ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٢٠٠ .

إخوته وأولاده :

لم ينبغ النجم الغزي وحده من هذه الأسرة ، المتأصلة الجذور بالعلم والمعرفة ، وإنما نبغ معه أكثر إخوته ، وتبؤوا المنزلة الاجتماعية الرفيعة في دمشق ، التي أهلتهم لذكر سيرهم في التاريخ ، وهم :

أخوه «أحمد» الذي ولد بدمشق سنة٩٣١هـ / ١٥٢٤م،وتلقى تعليمه الأول على والده ، ولم يكتف بما أخذه عنه من العلم ، بل تابع تثقيف نفسه على يد جماعة من كبار علمائها ، وعلماء مصر . ولم يلبث أن درّس كأبيه وأجداده في عدد من المدارس في دمشق ، وولي إمامة الشافعية الأولى بالجامع الأموي وتصوف ، ونبغ في النظم ، ومن مؤلفاته الشعرية « منظومة في أسماء الكواكب الثابتة » وغيرها ، وتوفي في حياة والده سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م (١) .

ومن إخوته النابهين أيضاً « أبو الطيب » الذي أكثر المحبي من الثناء عليه ، ووصفه بأنه : (الأديب الشاعر ، المفنن المشهور ، أوحد الزمان ، ونادرة العصر والأوان . كان أبلغ الشعراء ، وأدقهم نظراً . وشعره من أجود الشعر رونقاً وديباجة) (٢) . وقد درس هو الآخر بمدارس دمشق ، ثم عرض له عارض سوداوي اختلت معه أحواله في عام ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م ، ولازمه هذا العارض حتى وفاته في سنة ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م (٣) .

---

(١) انظر ترجمته في الكواكب السائرة:ج٣ ، ص ١٠٠ . وتراجم الأعيان : ج١ ، ص ٢٧ .
(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج١ ، ص ١٣٥ .
(٣) انظر عنه : لطف السمر : ص ٥٩ ، ح٢ .

ومن إخوة النجم أيضاً أخوه « زكريا » وقد ولد في عام ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، وطلب العلم على جماعة من علماء عصره بدمشق . وكان فقيهاً ، تصدر للتدريس والإفتاء ، وأم بالجامع الأموي في الصلاة الأولى بمحراب الشافعية سنين عدداً ، وتوفي في سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م (١) .

وكذلك أخوه « إبراهيم » ، وهو الآخر فقيه ، تلقى العلم على جماعة من علماء دمشق ، وأمّ بالشافعية في الجامع الأموي ، مشاركاً لغيره في الإمامة ، ولايعرف تاريخ وفاته ، إلا أن النجم أشار إلى أنه كان حياً سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م (٢) .

أما أخوه « كمال الدين » فقد رافقه في حضور دروس والده البدر في السنوات الثلاث السابقة لوفاة والده (٣) ، ولا يعرف تاريخ وفاته(٤) .

وفي هذا الجو العلمي الرفيع لأسرة الغزي عاش أولاد النجم ، كما عاش هو وإخوته في السابق ، ورشفوا من معين والدهم العذب النمير ، ومن بحر علم علماء دمشق ، مما أهلهم لأن يصبحوا منارات علم تشع بالصلاح والعرفان ، وكان أولهم :

---

(١) انظر ترجمته في لطائف المنة : ق ٣١ب .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٦٧٠ – ٦٧٢ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٠ .

(٤) وللنجم إخوة آخرون لم يشتهروا هم : بهاء الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦ م . انظر : شرف الدين موسى الأنصاري ، ذيل قضاة دمشق حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة ، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ضمن كتابه « قضاة دمشق » ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٩٥٦ م : ص ٣٣٢ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : ذيل قضاة دمشق . وأخوه « رضي الدين » الذي لايعرف شيء عنه . انظر : لطف السمر : ص١٤٤ .

« بدر الدين محمد » الغزي ، سَمِيُّ جده ، الذي ولد في سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٧ م ، وتلقى العلم على يد جماعة من علماء عصره بدمشق ، حتى برع وفضل ، إلا أن المنية عاجلته في حياة والده في سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م (١) .

وثانيهم « سعودي » الذي ولد في عام ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م ، وتعلم كأخيه على يد جماعة من كبار علماء دمشق حتى نبه وبرع ، وتصدر للتدريس . ولما توفي والده صار مفتياً للشافعية بدمشق من بعده ، ودرس مكانه في المدرسة الشامية البرانية ، وتحت قبة النسر بالجامع الأموي ، وتوفي سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (٢) .

أما ثالثهم وهو « ضياء الدين محمد » فيحدثنا والده عنه بأنه : توفي مطعوناً ، وهو طفل صغير في سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م (٣) . وقد أشار كل من المحبي وأبي المواهب الحنبلي إلى وجود بنت له زارها في نفس اليوم الذي توفي فيه (٤) .

وخلاصة القول : إن رجالات البيت الذي انبثق منه النجم الغزي ، واحتضنه متعلماً وعالماً ، كانوا بأصولهم وفروعهم « رؤساء العلم وكبراءه ، وشهرة بيتهم لاتحتاج إلى بيان»(٥) . بحسب تعبير المحبي .

* * *

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١) .

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٢٠٩ .

(٣) انظر : لطف السمر : ص ١٣ .

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ٢٠٠ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٧ ب .

(٥) انظر : خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٢٠٩ .

تلاميذه :

تمتع النجم كما رأينا آنفاً بثقافة موسوعية متينة ، أهلته لأن يصبح العلم الذي يشار إليه بالبنان ، وأن يكون المورد الذي يستقي منه كل راغب في العلم ، ومستزيد منه . وقد وصف المحبي ذلك وصفاً أدبياً رقيقاً بقوله : (والنجم انعقدت العشرة عليه ، وسعت وفود العناية مسرعة إليه . . . هو الذي به يقتدي المقتدي ، وبسمته يهتدي المهتدي . . . :

هو النجم يهدي جميع الورى ... فمن دونه البدر والشمس دون
وقد صار في الفضل حيث انتهوا ... وحيث انتحوا فيه يقتدون
إذا ظلمة الغي ألوت بهم ... أضاء فبالنجم هم يهتدون... الخ

شغل بالإفادة أيامه ولياليه ، ونظم على جيد الأيام فرائده ولآليه) (١) . ووصفه ابن شاشو كذلك بقوله :

(النجم ابن البدر شمس الهدى ... ضاءت به فضلاً سماء العيون
واسترشدت بالنور أهل الحجا ... من هديه الماحي دياجي الغيون(٢)..الخ

انفرد بعلو الإسناد بآبائه وأجداده ، وعمّ سائر العباد فيض مدده وإمداده ، بخواطر سلمت من الشوائب ، وأنفاس دعوات تكفلت بنيل المطالب . إذا أخذ البخاري وشرع يمليه ، قلت ذلك فضل الباري من شاء يؤتيه . أو غيره من الأسانيد ، لم تَر ثَمّ غير سامع مستفيد .

---

(١) انظر : نفحة الريحانة : ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٢) جمع « غين » ، وهو العطش أو الغيم . انظر : القاموس المحيط (مادة : غـين) .

أو تكلم على الألفاظ ، أخجل وجوه الحفاظ . فما الجامع الكبير غير صدره ، وما الكوكب المنير غير فكره ، وما مشكاة الأنوار غير آرائه ، ولا ربيع الأبرار غير وصفه وثنائه . وما الإصابة والتقريب ، من منا يمليه بقريب. سبحان من منحه المواهب اللدنية وخصه، بالخصائص والأخلاق النبوية) (١) .

وهكذا قصده الطلبة من كل مكان ، حتى نأى الحصر عنهم لكثرتهم كما أسلفنا القول ، فقد أخذوا عنه طبقة بعد طبقة إلى وفاته(٢). ومما ساعده على توسيع دائرة إفادته العلمية ، وتكاثر طلابه ، امتداد عمره من ناحية ، وتدريسه المبكر من ناحية أخرى . وقد تخرج على يده عدد كبير من العلماء ، نبه ذكرهم،وطار صيتهم ، ومن هؤلاء :

١ – الفقيه المتصوف الواعظ إبراهيم بن أحمد الصمادي ، الذي أخذ عن النجم الحديث والفقه ، وأجازه الغزي بالإفتاء ، وتوفي سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م (٣) .

٢ – والفقيه إبراهيم بن حسن الكوراني الشافعي المتوفى سنة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ م (٤) .

٣ – والأديب المقرئ إبراهيم بن منصور المعروف بالفتال المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦ م (٥) .

---

(١) انظر : تراجم بعض أعيان دمشق : ص ١٠٢ .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٩٩ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج١ ، ص ٤٩ .

(٤) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج١ ، ص ٥ .

(٥) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٥١ . والورد الأنسي:ق ٦٤ آ.

٤ ـ والفقية أبو بكر الكردي الشافعي المتوفى سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م (١) .

٥ ـ والأديب الشاعر السيد أحمد بن علي الصفوري لحسيني الشافعي ، أعاد له درسه في الحديث بصحيح البخاري ، تحت قبة النسر بالجامع الأموي ، وتوفي سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣ م (٢) .

٦ ـ والفقيه القاضي أحمد بن كمال الدين البكري الصديقي المتوفى سنة ١١١٧هـ / ١٧٠٥ م (٣) .

٧ ـ والفقيه أحمد بن محمد بن سويدان الحنفي المتوفى سنة ١١٣٠ هـ / ١٧١٧ م (٤) .

٨ ـ والفاضل أحمد بن محمد بن محمد ، شهاب الدين بن الفرفور الأطروش ، قرأ على النجم شيئاً من النحو ، وكان حياً في سنة ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م (٥) .

٩ ـ والفقيه المتصوف اسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١ م (٦) .

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٨٦) .

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٣) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج١ ، ص ١٤٩ . ومنتخبات التواريخ : ج٢ ، ص ٦١٩ .

(٤) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج١ ، ص ١٦٨ . والورد الأنسي : ق ٦٦ ب . ومنتخبات التواريخ : ج٢ ، ص ٦١٩ .

(٥) انظر ترجمته في الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ١٢٧(ضمن ترجمة محمد بن الفرفور) .

(٦) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج١ ، ص ٤٠٨ .

١٠ — والفقيه تاج العارفين بن عبد الجليل الحمصي الشافعي ، قرأ عليه في المنهاج ، والألفية وغيرهما ، وتوفي سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م (١) .

١١ — والفقيه الأديب القاضي ثم المفتي حسين بن محمود العدوي الزوكاري الشافعي المتوفى سنة ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م (٢) .

١٢ — والفقيه حمزة بن يوسف الدومي المتوفى سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م (٣) .

١٣ — والفقيه خليل بن زين الدين الإخنائي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥ م (٤) .

١٤ — والفقيه الأديب النحوي رمضان بن موسى العطيفي الحنفي المتوفى سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م (٥) .

١٥ — والفقيه الفرضي زين العابدين بن زكريا الغزي العامري الشافعي — ابن أخ النجم — المتوفى سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١ م (٦) .

١٦ — والفقيه المفتي سعودي بن محمد الغزي العامري الشافعي - ابن النجم - أخذ عنه الحديث والفقه ، وتوفي سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (٧) .

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٣٤) .
(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١١٦ .
(٣) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٢ ، ص ٧٥ .
(٤) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ١٣٥ .
(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ١٣٥ .
(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ١٩٣ . ولطائف المنة : ق٣٢ب .
(٧) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٢٠٩ .

١٧ - والصوفي الواعظ السيد سليمان بن عبد القادر بن أحمد ابن سليمان القادري المتوفى سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م (١) .

١٨ - والمفتي صادق بن روح الله الشرواني الحنفي ، مفتي الديار الرومية ، استجاز له والده من النجم، وتوفي سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م (٢) .

١٩ - والمحدث المقرىء عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (٣) .

٢٠ - والفقيه الفرضي الأديب النحوي المفتي عبد الرحمن ابن زين العابدين الغزي المتوفى سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م (٤) .

٢١ - والنحوي الناسك المعمر عبد الرحمن بن محيي الدين السليمي المعروف بالمجلد المتوفى سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م (٥) .

٢٢ - والفقيه المتصوف المفسر عبد الغني بن اسماعيل النقشبندي القادري المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م (٦) .

٢٣ - والفقيه المحدث عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي المتوفى سنة ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م (٧) .

---

(١) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٢٨٣ . والورد الأنسي : ق ٦٠ ب .

(٤) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٢ ، ص ٢٩٣ .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٣٢٧ . ولطائف المنة : ق ٤٧ ب .

(٦) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٣ ، ص ٣٠ . ولطائف المنة : ق ٤٩ آ .

(٧) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٢ ، ص ٤٦٧ . والورد الأنسي : ق ٦٢ آ .

٢٤ — والفقيه الخطيب عبد القادر بن يوسف الحلبي الحنفي ، نزيل المدينة المنورة الشهير بنقيب زاده ، المتوفى سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م (١) .

٢٥ — والفقيه المفتي عبد الكريم بن سعودي بن النجم الغزي ، قرأ على جده في الفقه والحديث ، وتوفي سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م (٢) .

٢٦ — والفقيه الأديب السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني المعروف بابن حمزة الحنفي ، نقيب الأشراف بدمشق ، لم يؤرخ المرادي وفاته ، ويبدو أنه توفي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (٣) .

٢٧ — والمدرس بالمسجد الحرام عبدالله بن محمد التاشكندي الشهير بعباسي الشافعي ، استجاز النجم وتوفي سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣م (٤).

٢٨ — والأديب الفقيه المؤرخ فضل الله بن محب الدين محمد الحموي الحنفي ، والد المؤرخ المحبي المشهور توفي سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م (٥).

٢٩ — والفقيه الواعظ الأخباري محمد بن أحمد الأسطواني الحنفي ، قرأ الفقه على النجم ، وتوفي سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م (٦) .

٣٠ — والعالم العامل محمد بن بركات المعروف بالكوافي الشافعي المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م (٧) .

---

(١) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٣ ، ص ٦١ .
(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٣ ، ص ٦٤ . ولطائف المنة : ق ٥٣ آ .
(٣) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج ٣ ، ص ٦٦ .
(٤) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٧٠ .
(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٣ ، ص ٢٧٧ .
(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه: ج٣ ، ص ٣٨٦ .والورد الأنسي : ق ٦٤ب.
(٧) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٤٠٤ . والورد الأنسي : ق ٦٥ ب .

٣١ — والفقيه الخطيب محمد بن تاج الدين المحاسني الحنفي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ / ١٦٦١ م (١) .

٣٢ — والفقيه الأديب محمد بن عبد الباقي المشهور بأبي المواهب الحنبلي ، قرأ على النجم الحديث والألفية في المصطلح للعراقي ، وأخذ منه إجازة خاصة بعد الإجازة العامة ، وحضر دروسه في المدرسة الشامية البرانية في شرح « جمع الجوامع » في الأصول ، وتوفي سنة ١١٢٦ هـ / ١٧١٤ م (٢) .

٣٣ — والفقيه محمد بن عبد اللطيف المحبي الشهير بشقير المتوفى سنه ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١م (٣) .

٣٤ — والفقيه الأصولي محمد بن عثمان الصيداوي الشافعي ، وهو آخر من يروي عن النجم بالسماع والإجازة الخاصة ، توفي سنة ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٤ م (٤) .

٣٥ — والفقيه الواعظ محمد بن علي المعروف بالكاملي ، خاتمة أصحاب النجم بالسماع والإجازة الخاصة ، المتوفى سـنة ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م (٥) .

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٣ ، ص ٤٠٨ . والورد الأنسي : ق ٦٢ ب .

(٢) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٣ ، ص ٦٧ . ولطائف المنة : ق٥٥آ .

(٣) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٤ ، ص ١٥ .

(٤) انظر ترجمته في المصدر السابق : ج٤ ، ص ٣٦ . ومنتخبات التواريخ : ج٢ ، ص ٦٣٣ .

(٥) انظر ترجمته في سلك الدرر : ج٤ ، ص ٦٧ . ولطائف المنة : ق ٥٦ ب . وديوان الإسلام : ق ٧٠ ب .

٣٦ – والمحدث الفقيه الخطيب الأخباري الأديب الشاعر محمد ابن علي المكتبي الشافعي المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م (١) .

٣٧ – والصوفي محمد بن عمر العباسي الخلوتي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م (٢) .

٣٨ – والسيد محمد بن كمال الدين المعروف بابن حمزة الحسيني الحنفي ، نقيب الشام ، حضر دروس النجم في الحديث ، وسمع عليه شرح التبصرة للحافظ العراقي وأجازه بها ، وبسائر تآليفه ، وتوفي سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م (٣) .

٣٩ – والفقيه الأخباري محمد بن محمد المناشيري الصالحي الشافعي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م (٤) .

٤٠ – والمحدث المفسر الفقيه الأصولي محمد بن محمد بن أحمد العيثاوي المتوفى سنة ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م (٥) .

٤١ – والصوفي محمد ميرزا بن محمد المعروف بالسروجي الميداني المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م (٦) .

٤٢ – والأديب الشاعر محمد بن نور الدين المعروف بابن الدرا الشافعي المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٤ م (٧) .

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج٤ ص ٧٣ .
(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ، ص ١٠٣ .
(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ص ١٢٤ .
(٤) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٢٠٠ .
(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ص ٢٠١ .
(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ .
(٧) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ٢٤٩ .

٤٣ — والفقيه محمد بن يحيى الملقب بنجم الدين الفرضي المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م (١) .

٤٤ — والصوفي مصطفى بن زين الدين بن عبد القادر الشهير بابن سوار الشافعي ، شيخ المحيا بدمشق ، أخذ الحديث عن النجم ، وروى عنه الكتب الستة وغيرها ، وصار معيداً لدرسه العام بصحيح البخاري تحت قبة النسر ، بالجامع الأموي منذ سنة ١٠٥٦ هـ / ، وتوفي سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (٢) .

٤٥ — والأديب الشاعر مصطفى بن عبد الملك (وقيل عثمان) البابي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠ م (٣) .

٤٦ — والفقيه الصوفي نور الدين الدسوقي الشافعي المتوفى سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م (٤) .

ويلاحظ على طلاب النجم الغزي الأمور التالية :

١ — إن أكثرهم دمشقيون أو نزلاء دمشق ، والقليل ممن أخذ عنه كان من غيرها من البلدان الأخرى كالقسطنطينية وحلب والحجاز وغيرها .

٢ — إن أكثرهم قد حضر دروسه العامة في الحديث في صحيح البخاري ، تحت قبة النسر ، والقليل منهم من درس عليه في الفقه والعربية والأصول ، أو في المدارس التي درس بها كالشامية البرانية .

---

(١) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٢٦٥ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٣٧٢ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٣٧٧ .

(٤) انظر ترجمته في لطائف المنة : ق ٥٨ آ .

٣ — إن هؤلاء الطلاب قد اشتهروا فيما بعد ، إما في التدريس أو الإمامة أو الخطابة أو الحديث أو الفقه أو الأدب والشعر ، أو التصوف ، أو غير ذلك . وهذه الشهرة هي التي دفعت بالمؤرخين إلى تسجيل تراجمهم. أما من لم يشتهر من طلابه ، وهذا شأن الأكثرية الساحقة منهم ، فقد طوتهم صحائف التاريخ في زوايا النسيان .

٤ — إن الطلاب الذين درسوا على النجم كانوا من مختلف المذاهب السنية الأربعة : الشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي .

* * *

مؤلفاته* :

لم يعمل الغزي في التدريس والوعظ ، والإمامة والخطابة ، والإفتاء فحسب ، بل توج كل ذلك بالكتابة والتأليف . وقد أمد المكتبة العربية بعديد من مؤلفاته العلمية التي تقدر بـ (٥٣) مؤلفاً (١) . وهي تمثل مختلف جوانب ثقافته التي ألمحنا إليها سابقاً ، وتدل على غزارة عطائه الفكري ، ودأبه على العمل بلا كلل أو ملل . وقد وصف المحبي هذه الغزارة بقوله : (وتآليفه كاثرت رمل النقا ، وأربت على الجواهر في الرونق والنقا) (٢) . وكثير منها كان على نمط التأليف الشائع في ذلك العصر ، كالحواشي والشروح والتعليقات والنظم والاختصار وغيره ، وبعضها تفرد فيه

* وردت مؤلفات الغزي متناثرة في المصادر التي أوردناها في نهاية الكتاب مع صفحاتها تحت عنوان (مصادر ترجمة الغزي) فلتراجع هناك . وقد أشرنا في الهامش فقط إلى المؤلفات التي تفرد بذكرها أحد هذه المصادر أو أكثر .

(١) عدا التقاريظ الشعرية الواردة في لطف السمر ، وعددها (٢) .

(٢) انظر : نفحة الريحانة : ج١ ، ص ٥٤١ .

النجم بطرق بعض الموضوعات الجديدة كما في كتابه « حسن التنبه لما ورد في التشبه » الآتي ذكره . ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤلفات لم تصلنا كلها ، وما وصلنا منها هو أقل من النصف بقليل ، ويقدر بـ (٢٦) مؤلفاً . ويمكن تصنيف هذه المؤلفات ضمن الزمر التالية (١) :

آ — في التاريخ :

١ — الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة — في التراجم . يوجد منه نسخة في الظاهرية برقم (٤١ — تاريخ) ، وقد قام الدكتور جبرائيل سليمان جبور بتحقيقه ونشره بالاعتماد على نسخة الظاهرية هذه ، نسخة الجامعة لأمركية ، وهي منقولة عن نسخة الظاهرية ، ونسخة المدينة المنورة ، ونسخة الأزهر . ومن الجدير بالذكر أن هناك نسخاً أخرى مخطوطة منه، يبدو أن المحقق لم يطلع عليها إذ توجد نسختان في دار الكتب المصرية ، الأولى برقم (١٢٠٦) (٢) والثانية برقم (٣٤٠١) ، وقد تمت كتابتها سنة ١٠٩٥ هـ (٣) . وعلى مايبدو ، أنها أقدم النسخ المعروفة . وهناك نسخة في المتحف البريطاني برقم (٩٣٨)(٤) ، وقد أشار بروكلمان إلى وجود نسخة ثانية في الظاهرية بدمشق برقم

---

(١) صنف المحبي مؤلفات الغزي إلى قسمين : الأول ، ويشمل مؤلفاته حتى سن السابعة والعشرين ، والتي ذكرها الغزي نفسه في كتابه « بلغة الواجد » ووافقه على ذلك أبو المواهب الحنبلي . والثاني ويشمل تلك التي ألفها بعد هذه الفترة من العمر .

(٢) انظر : دار الكتب المصرية ، فهرس الكتب التي وردت للدار ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠م :ج٥ ، ص ٣١١ — ٣١٢ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : دار الكتب المصرية .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج٥ ، ص٤٢٤ ملحق .

(٤) انظر : Brockelmann, G. part II P. 376

(٧٦) ، ولكننا لم نعثر عليها، ونسخة أخرى في عمان برقم (٨٤) (١) . كما يوجد مختصر للكتاب في برلين عنوانه (نيرات الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة) برقم (٩٨٩١) (٢) . ولم يشر المحقق إليه أيضاً .

ولدى مكتبة شستر بيتي في دبلن عاصمة إرلندة نسخة من « الكواكب السائرة » برقم(٣٧٠٨)(٣) ومنه نسخة أيضاً في مكتبة طوب قابي سراي باستانبول . عاصمة تركية ، وهي كالتالي :

ـ المجلد الأول ، ويحتوي الطبقتين الأولى والثانية تحت الرقم 1286 H. 6511.

ـ والمجلد الثاني : يحتوي الطبقة الثالثة والذيل برقم 1220 E. H. 6513(٤) وقد ورد خطأ في وصفه ، إذ ذكر أنه يحتوي على الطبقة الثانية فقط ؟!

٢ ـ ذيل الكواكب السائرة المسمى « لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر » ، وهو الذي قمنا بتحقيقه ، ووصفه وتحليله (٥) .

---

(١) انظر : Borckelmann, Carl. Geschichte Der Arabischen Litteratur, Supplementband, 3Vols, Leiden 1037:part II, p. 402
سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : Borckelmann, S.

(٢) Ahlwardt, Kurzes verzeichniss der arabischen handschrifen, Berlin, A. W. schade's 1885, Vol. Ix, P. 360, 361.

(٣) انظر : المورد (العراقية) ، بغداد ، المجلد ٣ ، العدد الثاني : ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ . مقال : كوركيس عواد ، ذخائر التراث العربي في مكتبة شستربيتي .

(٤) انظر : Karatay, Fehmi Edhem; Topkapi Sarayi Muzesi Kutu Phanesi, Arapca yazmalar Katalogu, 4Vols , Istanbul 1962-1969. Part III, P. 575-576.

(٥) انظر التعريف به في الفصل الثاني الآتي .

٣ — بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد . ويبدو أن النجم قد ألفه على مراحل ، إذ يذكر الأنصاري أن النجم أوقفه في ٤ محرم سنة ٩٩٩هـ (على مصنف له يشتمل على عشرة أبواب في : نسب والده ، وعدة شيوخه ، وذكر من قرأ عليه ، ومصنفاته . وذكر أنها تفوق على المائة ، منها خمسون في الفقه . وذكر مولده ووفاته ، وفضائله ، وسنده في الحديث ، وسماه بـ « الدر اللامع بأنوار البدر الساطع » يدخل في خمسة كراريس ، وقد أحسن فيه كل الإحسان) (١) . وهذ يعني أن النجم قد غير اسم كتابه في مدى خمس سنوات ، كما يدل على أنه أدخل فيه — فيما بعد — ترجمته الذاتية ، وقائمة بمؤلفاته حتى سن السابعة والعشرين من عمره ، أي حتى سنة ١٠٠٤ هـ . وقد وصفه صاحب « لطائف المنة » في ترجمته للبدر الغزي فقال : (وقد أفرد ولده نجم الدين محمد الغزي ترجمته بتأليف على أربعين باباً ، فجاء في مجلد ضخم سماه « بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد » (٢) . — مفقود — .

٤ — هداية النجم المضي في ذكر من أفتى وخير الأنام حي (٣) — مفقود .

ب — في الرحلات :

١ — العقد المنظوم في الرحلة إلى الروم (٤) ، وذكره المحبي بعنوان « العقد المنظوم في رحلة الروم (٥) » وذلك في عام ١٠٣٢ هـ — مفقود .

---

(١) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٣٣ ب .
(٢) انظر : لطائف المنة : ق ٣٠ ب – ق ٣١ آ .
(٣) انظر : الورد الأنسي : ق ٥٨ ب .
(٤) انظر : لطف السمر : ص ١٨٠ .
(٥) انظر : خلاصة الاثر : ج٤ ، ص١٧١ .

٢ — رسالة في رحلة النجم إلى بعلبك سنة ١٠٣٣ﻫ (١) — مفقودة .

٣ — رسالة في رحلة النجم الغزي إلى الحج (٢) .

جـ — في الحديث الشريف :

١ — إتقان مايحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن (٣) — في الحديث الشريف . وهو يشتمل على : الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة ، مع بيان درجة كل حديث . منه نسخة في المكتبة البلدية ، بالاسكندرية ، برقم (ن — ٤١٨ — ج) (٤) .

ومن المفيد هنا آن نشير إلى كتابين يتعلقان بهذا الكتاب ورد ذكرهما في فهرس المؤلفين لمخطوطات الظاهرية ، ونسبا إلى النجم الغزي ، إلا أن الاطلاع عليهما أثبت عدم صحة نسبتهما إليه . الأول : كتاب في الأحاديث المشتهرة برقم (عام — ٨٥٨٤) . وقد جاء في وصف بأنه (زيادات على المقاصد الحسنة والدرر المنتثرة) ، وقد قام بإفراد هذه

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٦١٧ .

(٢) انظر التعريف به في ص 14 من هذه الدراسة .

(٣) لعله هو الكتاب الذي ذكره صاحب خلاصة الأثر : ج ٣ ، ص ٢٤٦ في ترجمة غرس الدين الخليلي المتوفى سنة ١٠٥٧ ﻫ / ١٦٤٧ م بقوله عنه : (صاحب كتاب « كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس » ، ألفه في الأحاديث الموضوعة . . . وقد سبقه إلى هذا الوضع جماعة منهم الزركشي والسيوطي ، وألف فيه النجم الغزي الدمشقي كتابه « إتقان مايحسن في الأحاديث الجارية على الألسن » . وورد اسمه في الورد الأنسي : ق ٥٨ آ (اتقان ما يحسن في الاحاديث الدائرة على الالسن) .

(٤) انظر : أحمد أبوعلي ، المكتبة البلدية ، فهرس الحديث النبوي الشريف ، الاسكندرية ١٣٤٤ ﻫ / ١٩٢٦ م : ص ٣ . (وهي نسخة في مجلد مكتوبة بقلم عادي في حلب سنة ١١٦٧ ﻫ) .

الزيادات بالتأليف « إبراهيم بن سليمان بن محمد الجينيني » (١) . ولعل أفضل مايوضح المقصود من هذا الكتاب ماورد في مقدمته التالية :

(وبعد فإن العلامة الأوحد ، محدث زمانه ، وفريد عصره ، شيخ شيوخنا ، الشيخ نجم الدين الغزي الدمشقي العامري — تغمده الله برحمته — قد جمع كتاباً في الأحاديث المشتهرة ، كتاباً حافلاً سماه بـ « إتقان مايحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن » جمع فيه بين تأليف الزركشي ، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ، والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة للسخاوي (٢) وزاد عليها بعض أحاديث . وقد أردت إفراد مازاده في هذه الكراريس ، لكونه كتاباً حافلاً ، وأصوله موجودة عندي — والله الموفق) (٣) . وفي نهاية الكتاب يذكر أنه فرغ منه سنة ١٠٩١ هـ ، والنسخة بخط مفردها .

والثاني : كتاب أحاديث منتقاة من كتاب الإتقان برقم (عام — ٨١٠٤) ، وبالرجوع إلى المخطوطة الواردة بهذا الرقم ، وجدنا أن

---

(١) هو ابراهيم بن سليمان الجينيني الحنفي ، فقيه ، أديب ، مؤرخ ، توفي بدمشق ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م . انظر : سلك الدرر : ج ١ ، ص ٦٠

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي ، فقيه ، حافظ ، محدث ، من مؤلفاته : الضوء اللامع — في التراجم ، والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة ، ووصفه الغزي بأنه « أجمع وأتقن من كتاب السيوطي المسمى الجواهر (كذا) المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، وفي كل منهما ماليس في الآخر »وتوفي سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٥٣ .

(٣) انظر : إبراهيم بن سليمان الجينيني ، كتاب في الأحاديث المشتهرة ، مخطوط في الظاهرية برقم (عام — ٨٥٨٤) : ق ٢ ب . والمنتخب : ص ٣٦٨ وفيه عنوانه « الزيادات على المقاصد الحسنة والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » برقم (عام — ٨٥٨٤) .

عنوانها هو « الجد الحثيث في بيان ماليس بحديث » ، وفتشنا عن اسم مؤلف هذه المخطوطة ، فلم نعثر عليه فيها ، وإنما عثرنا على إشارة في مقدمته على أنه من أحفاد النجم وفي ذلك يقول : (أما بعد ، فلما كان الكتاب المسمى بـ « إتقان مايحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن » لجدنا شيخ الاسلام نجم الدين الغزي العامري...) (١) . لكن الاستاذ محمد ناصر الدين الألباني صاحب كتاب «المنتخب من مخطوطات الحديث» الموجودة بالظاهرية ، أورد في كتابه هذا عنوان الكتاب المذكور السابق ، وذكر أنه من تأليف « أحمد بن عبد الكريم بن سعودي (بن نجم الدين الغزي) المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ، ووصفه بقوله : (هو مختصر كتاب جده نجم الدين الغزي المسمى بـ « إتقان مايحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن » وقـال : إنـه في الظاهرية برقم (عام — ٦٦١١) (٢) . وبالاطلاع عليه تحت هذا الرقم وجدنا أنه يطابق المخطوطة الأولى ذات الرقم (عام — ٨١٠٤) ، وبناء عليه فإنه يوجد في الظاهرية نسختان من هذا المخطوط . وقد وصفه مؤلفه في مقدمته فقال عن جده نجم الدين الغزي بأنه ألف (كتاباً كمل في بابه ، وفاق على أترابه ، يحتوي على بيان ما دار من الأحاديث على الألسن وما يصح منها ، وما يضعف ، وما يحسن، وعلى ما لم يرد عن سيد البشر ، لكنه ورد في الأثر ، وما هو كذب موضوع ، ومختلق مصنوع . فأحببت أن أنتقي منه القسمين

---

(١) انظر : أحمد بن عبد الكريم الغزي ، الجد الحثيث في بيان ماليس بحديث ، مخطوط في الظاهرية برقم (عام — ٨١٠٤) : ق ١٩٩ب . سيذكر هذا المصدر كما يلي : الجد الحثيث .

(٢) انظر : المنتخب : ص ٣٦٧ . وكذلك ذكر المرادي قبله في ترجمة أحمد بن عبدالكريم الغزي ، بأنه اختصر كتاب جده الوارد ذكره أعلاه . انظر : سلك الدرر : ج ١ ، ص ١١٧ .

الأخيرين – أعني ماورد في الأثر ، وما هو كذب عليه صلى الله عليه وسلم . . . ليعلم أن ماعداهما قد ورد في السنن . غير أنه مقسم إلى صحيح وضعيف وحسن ، فهو وإن لم يصحح جلّه ، لكنه ورد في السنة كله) (١) . وعلى هذا فالكتاب المذكور هو في الأحاديث الموضوعة والآثار ، مفرداً من كتاب النجم « إتقان مايحسن . . . » ، وهذا ينفي ماوصفه به كل من المرادي والألباني بأنه « مختصر له » .

د – في التفسير (٢) :

١ – مجالس في تفسير سورة الإسراء أملاها سنة ٩٩٨ هـ – مفقودة.

٢ – مجالس في التفسير إلى آخر سورة طه بين سنتي ٩٩٩ – ١٠٠٠هـ، ويبدو أنه يقصد من سورة الإسراء إلى آخر سورة طه ، وهي السور التالية: الكهف ، مريم ، طـه – مفقودة .

هـ – في الفقه :

١ – تحفة الطلاب – في الفقه ، وهو شرح منظومة والده في ضبط شأن القاعدة الفقهية « ماكان أكثر عملاً وأشق ، فهو أكثر في الثواب » – مفقود .

٢ – تحفة النظام في تكبيرة الإحرام – في الفقه ، وهو « شرح منظوم » لأبيات أبي الوفا العبدري الحموي في شروط تكبيرة الإحرام . ولعل هذا الكتاب هو الذي وردت الإشارة إليه في ترجمة أبي الوفا (٣)

---

(١) انظر : الجد الحثيث : ق ١٩٩ ب .

(٢) في الورد الأنسي : ق ٥٨ ب : المجالس التفسيرية في مجلد حافل .

(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٩٤) .

الآنف الذكر ، في كتاب « لطف السمر » ، إذ يقول النجم : (له أبيات في شروط تكبيرة الإحرام ، سألني في شرحها ، فشرحتها له) (١) — مفقود .

٣ — الدرة المنيرة في شروط التكبيرة — في الفقه ، وهو « شرح منثور » لأبيات أبي الوفا العبدري في شروط تكبيرة الإحرام (٢) — مفقود .

٤ — رسالة في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٣) — مفقودة .

٥ — شرح منظومة خصائص الجمعة (٤) ، منه نسخة في الظاهرية بخط المؤلف برقم (عام — ٥٢٤٤) وفي بروكلمان ورد اسمه « الفوائد المجتمعة » ، ووصفه بأنه رجز عن خصائص الجمعة ، ألفه النجم في سنة ١٠٠٤ هـ ، وقال بأنه يوجد نسخة منه في برلين برقم (٣٨١٢) (٥) . ولعله هو الذي ذكره المحبي على لسان النجم : (ونظمت خصائص الجمعة في منظومة سميتها « اللآلىء المجتمعة » (٦) .

٦ — نظم فرائض المنهاج — في الفقه — مفقود .

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٦٦ .

(٢) انظر : اسماعيل باشا البغدادي ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الطبعة الثالثة، جزءان ، طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م : ج ١ ، ص ٤٦١ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : إيضاح المكنون .

(٣) انظر : الأعلام : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

(٤) ورد عنوانه في شيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٦ب : « خصائص الجمعة » .

(٥) انظر : Brockelmann; G. Part II, 376 وقد تابعه على ذلك : جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ : ج ٣ ، ص ٣١٧ ، وزاد بأن له شروحاً في برلين .

(٦) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٣ .

و- في علوم اللغة العربية :

١ - البهجة - مختصر في النحو - مفقود .

٢ - التحفة في النحو ، ألفه في سنة ٩٩٤ ﻫ (١) - مفقود .

٣ - الحلة البهية في نظم الأجرومية - في النحو . وقد اقتدى النجم في نظمها بوالده لشرح الأجرومية - مفقود .

٤ - شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام - في النحو . يوجد منه نسختان في الظاهرية ، الأولى برقم (عام - ٥٣٧٦) ، والثانية برقم (عام - ٨٥٧٧) .

٥ - شرح القواعد لابن هشام - مفقود .

٦ - قطعة على التوضيح لابن هشام - مفقودة .

٧ - قطعة على الشافية لابن الحاجب - مفقودة .

٨ - المنحة النجمية في شرح اللمحة البدرية - منظومة في أربعة آلاف بيت ، شرح فيها منظومة والده في النحو ، وقد نظمها في سنة ٩٩٧ ﻫ - مفقودة . ومن الجدير بالذكر أن حفيده أحمد بن عبد الكريم الغزي ، السابق الذكر ، قد ألف شرحاً عليها (٢) .

٩ - منظومة في النحو - مائة بيت ؛ مفقودة .

١٠ - شرح لامية الأفعال لابن مالك - في التصريف (وهو شرحان ، الأول منهما منظوم من بحر الأصل وقافيته) (٣) - مفقود .

---

(١) انظر : زجر الاخوان : ق ١١١ آ .

(٢) انظر : سلك الدرر : ج ١ ، ص ١١٧ .

(٣) انظر : عبد السلام الشطي ، ترجمة النجم الغزي الملحقة بمخطوطة « لطف السمر » الموجودة في مكتبة شستربيتي الآتي وصفها : ص ١١٣٣ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الشطي .

١١ — منظومة في التصريف والخط — مائة بيت ؛ مفقودة .

١٢ — شرح المختصر المسمى بالتحقيق في علم العربية ، يوجد نسخة منه في الظاهرية برقم (عام ٥٨٠٥) .

١٣ — شرح منظومة ابن الشحنة — في علوم البلاغة . ويبدو من التقريظ الشعري الذي نقله الغزي لنا في كتابه « لطف السمر » أنه ألفه وهو دون العشرين سنة (١) — مفقود .

١٤ — نظم شرح محب الدين محمد الحموي الحنفي على منظومة محب الدين بن الشحنة في المعاني والبيان (٢) — مفقود .

ز — في الكتابة والخط :

١ — شرح كتاب اللآلىء المبدعة في الكتابات (٣) المخترعة لجده رضي الدين . ويدل على ذلك ماورد في لطائف المنة ، في ترجمة جد النجم (محمد بن محمد رضي الدين) وهو : (وله منظومة في علم الخط سماها « اللآلىء المبدعة في صنعة الكتابة المخترعة » وقد شرحها حفيده النجم) (٤) — مفقود .

---

(١) انظر : لطف السمر ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

(٣) في خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٣ . وقد وهم الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، محقق كتاب الكواكب السائرة ، فظنها « الكنايات » . انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : ع — مقدمة . بينما قرأها المطران يوسف الدبس ، في كتابه « تاريخ سورية ، ٨ مجلدات ، بيروت ١٨٩٣ م : ج ٧ ، ص ٢٣٧ . « الكائنات » . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : تاريخ سورية . وفي الورد الأنسي : ق ٥٨ ب ورد عنوانه « شرح اللآلىء المبدعة في صنعة الكتابة المخترعة » .

(٤) انظر : لطائف المنة ، ق ٢٩ آ . ويؤيد ذلك ماورد أيضاً في شيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٤ ب في ترجمة جد الغزي « رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي » .

ح – في الأدب والأخلاق والحكم والنصائح والزهد والتقاريظ والشعر :

١ – تحبير العبارات في تحرير الإمارات ، يوجد ثلاث نسخ منه في الظاهرية ، الأولى بخط المؤلف برقم (عام – ٨٩٩٧) ، والثانية برقم (عام – ٨٥٧٩) ، والثالثة برقم (عام – ٦٦٣٦) . وقد نقل المحبي عنه بعض الفقرات التي تدل على نهج الغزي في تأليفه (١) . وقد ذكر بروكلمان أن الغزي ألفه في سنة ١٠٥٣ هـ (٢) .

٢ – التحفة الندية في شرح اللامية الوردية المسماة بـ « نصيحة الإخوان » – في الأدب . فرغ من تأليفه في ١٤ شعبان عام ١٠٤٩ هـ . يوجد خمس نسخ منه في المكتبة الظاهرية : الأولى برقم (عام – ١١٣٠٢) ، والثانية برقم (عام – ٨٤٤٧) والثالثة برقم (عام – ٤٨٥١) ، والرابعة برقم (عام – ٨٦٤٦) ، والخامسة برقم (عام – ٥٨٠٥) . كما يوجد نسختان منه في المكتبة الخديوية بالقاهرة ، قسم المجاميع : الأولى برقم (مجموعة – ٦٢ ، وأول ٦٣) (٣) والثانية برقم (مجموعة – ٩٧و٩٨) (٤). وكذلك يوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية برقم (مجموعة ٩٧ م) (٥) .

---

(١) راجع : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٥ . فهو يلخص الفكرة فيه بشكل حكمة أو موعظة أو غيرها ، ثم يورد أمثلة عليها من واقع الحياة ، أو مما رواه السابقون من الأخبار ، ثم ينظم ذلك في عدد من الأبيات .

(٢) انظر : Brockelmann, G. Part II, P. 376.

(٣) انظر : أحمد الميهي ، ومحمد الببلاوي ، فهرست الكتب العربية المحفوظة بالمكتبة الخديوية المصرية، الطبعة الأولى ، ٧ أجزاء ، القاهرة ١٣٠٥ – ١٣٠٨ م : ج ٧ ، ق ١ ، ص ٩٩ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : الكتبخانة الخديوية .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ج ٧ ، ق٢ ، ص ٥٨٢ .

(٥) انظر : دار الكتب المصرية : ج٣ ، ص ٤٨ .

٣ — تقريظ شعري للنجم على شرح منظومة والده البدر الغزي في الكبائر والصغائر لمحمد بن يوسف المقدسي . وقد أشار النجم إليه في كتابه لطف السمر (١) — مفقود .

٤ — تقريظ شعري للنجم على كتاب علي الطرابلسي (٢) في الفرائض. أورده بكامله في كتابه « لطف السمر » (٣) .

٥ — حسن التنبه لما ورد في التشبه ، وقد ورد اسمه في خلاصة الأثر ، وهدية العارفين ، وتاريخ سورية « التنبيه في التشبيه» (٤) . أما في شيوخ أبي المواهب الحنبلي ، والأعلام فقد ورد تحت عنوان « التنبه في التشبه (٥) » — في الأخلاق . وقد وصفه كل من أبي المواهب الحنبلي والمحبي بقولهما : (وهو كتاب بديع في سبع مجلدات « في قطع النصف ، لم يسبق إلى تأليفه» — العبارة للمحبي — ، وهو يذكر ما ينبغي للإنسان أن يتشبه به من أفعال الأنبياء والملائكة والحيوانات المحمودة ، وما يتشبه به من اجتناب مايذم فعله (٦)). وهذا الوصف يتطابق مع الوصف الوارد في « فهرس المؤلفين بالظاهرية » . منه عدة أجزاء في شستربيتي ، ولدى الظاهرية منه مايلي :

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ١٦٤ .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢١٧) .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٥٠ — ٥٥١ .

(٤) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٥ ، وهدية العارفين : ج ٢ ، ص ٢٨٥ . وتاريخ سورية : ج ٧ ، ص ٢٣٧ .

(٥) انظر : شيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٥ آ . والأعلام : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

(٦) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٥ . وشيوخ أبي المواهب الحنبلي : ق ٢٥ آ .

آ ــ الجزء الأول : يوجد منه ثلاث نسخ ، الأولى برقم (عام ــ ٩٠٣٠) ، والثانية برقم (عام ــ ٨٥٨٥) ، ويبدو أنها بخط المؤلف ، وقد انتهى منها في سنة ١٠٢٤ هـ ، والثالثة برقم (عام ــ ٤٠٥٤) .

ب ــ الجزء الثاني : ويوجد ثلاث نسخ منه : الأولى برقم (عام ــ ٨٥٨٦) ، وهي بخط المؤلف وقد انتهى منها في سنة ١٠٢٦ هـ ، والثانية برقم (عام ــ ٣٨٩٠) . والثالثة برقم (عام ــ ٦٣٩٦) ، وعليها خط المؤلف .

جـ ــ الجزء الثالث : ويوجد نسخة واحدة منه برقم (عام ــ ٣٢٧٧ ، أدب ــ ١٠٧) .

د ــ الجزء الرابع : يوجد نسخة واحدة منه برقم (أدب ــ ١٠٨) .

هـ ــ الجزء الخامس : يوجد نسخة واحدة منه برقم (أدب ــ ١٠٩) .

و ــ الجزء السادس : يوجد نسخة واحدة منه برقم (أدب ــ ١١٠) .

ز ــ الجزء السابع : يوجد نسخة واحدة منه برقم (أدب ــ ١١١) .

ويبدو من الوصف الموجود في فهرس المؤلفين بالظاهرية ، أن المؤلف ابتدأ تأليف كتابه هذا في سنة ١٠٠٠ هـ ، وأنه انتهى منه في سنة ١٠١٠ هـ . ثم مازال يصححه ويراجعه ويضيف إليه حتى عام ١٠٣٨ هـ .

٦ ــ الرسالة الكريمة في رد الزلزلة العظيمة (١) ــ مفقودة .

٧ ــ زجر الأخوان عن إتيان السلطان ، يوجد نسخة واحدة منه بخط المؤلف ، على مايبدو ، في الظاهرية برقم (أدب ــ ٣٦) . وقد ذكر بروكلمان له رقمين : الأول (٨٠) ، والثاني (٣٦) في الظاهرية (٢) ، ولم نعثر إلا على النسخة ذات الرقم الثاني .

٨ ــ شرح البردة (٣) ــ مفقود .

٩ ــ عقد الشواهد ــ في الأخلاق والعظات (٤) . منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية برقم (١٠٨١ شعر ، تيمور) .

١٠ ــ عقد النظام لعقد الكلام ــ في الأدب ، وهو نظم لبعض مقولات السلف الشهيرة في النصيحة والزهد وأشباههما بعد إيرادها . يوجد نسخة واحدة منه في الظاهرية برقم (عام ــ ٨٩٩٩) . وقد نقل المحبي منه بعض الفقرات التي تدل على نهج المؤلف في كتابه(٥) .

١١ ــ قصيدتان للنجم في برلين برقم (٧٩٨٢) (٦) .

١٢ ــ النجوم الزواهر ، بشرح جواهر الذخائر ، وهو شرح

---

(١) انظر : هدية العارفين : ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢) انظر : الأعلام : ج ٧ : ص ٢٩٢ . وانظر أيضاً :
Brockelmann, S. Part II, P. 402

(٣) انظر : الشطي : ص ١١٣٤ / هـ وفيه : أنه وقف له على كتابين هما : شرح البردة ولامية ابن الوردي .

(٤) انظر : الأعلام : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

(٥) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٤ . فهو يورد عدداً من الأقوال حول فكرة معينة ، ثم ينظمها في عدد من الأبيات .

(٦) انظر : Brockelmann; G. Part II, P. 376

لأرجوزة والده في الكبائر والصغائر ، وبآخره منظومة فيها زيادة على منظومة والده . وفي « السلطانية المقدسية » شرح لرضي الدين المقدسي على « جواهر الذخائر » أيضاً (١) .

١٣ — نظم النجم لرسالة قلائد العقيان في مورثات الفقر والنسيان لإبراهيم الناجي ، وهو غير نظم جده رضي الدين . لدى الظاهرية نسخة منه برقم (عام — ٥٥٧٠) ، ويبدو أنه هو النظم الذي أشار إليه في لطف السمر (٢) .

١٤ — نظم الكبائر والصغائر ، منه في الظاهرية نسخة واحدة برقم (عام — ٥٥٧٠) .

١٥ — نظم كتاب مارواه الأساطين في عدم الدخول على السلاطين(٣). — مفقود .

١٦ — هطلات الهوامع ، وزجلات السواجع — في منظوماته(٤) ، مفقود .

---

(١) انظر : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الرابع ، مقال : خزائن الكتب العربية ، نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف ، ص ٤١١ . والأعلام : ج ٧ ، ص ٢٩٢ . والورد الأنسي : ق ٥٨ آ وفيه اسمه « جلا الخواطر بشرح جواهر الذخاير (كذا بالأصل) في الكبائر والصغائر ، وهي منظومة والده البدر) .

(٢) لطف السمر : ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٣) ورد في خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٣ على لسان الغزي : (ونظمت كتاب رواة الأساطين في عدم الدخول على السلاطين للسيوطي) . وتابعه على ذلك محقق الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : ع — مقدمة . والتصويب من الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ إذ قال فيه المؤلف : (وقد نظمت هذا الكتاب في منظومة لطيفة حافلة ، وزدت على ماذكره زيادات شريفة) ، والورد الأنسي : ق ٥٨ ب .

(٤) انظر : هدية العارفين : ج ٢ ، ص ٢٨٥ . ولعله هو الذي أشار إليه صاحب الورد الأنسي : ق ٥٨ ب بقوله : (وديوان شعره في مجلدات) .

١٧ — الهمع الهتان في شرح أبيات الجمع للشيخ علوان (١) (علي بن عطية الحموي) — مفقود .

١٨ — منظومات في فوائد متفرقة ، نقل المحبي إحداها ، وهي في آداب عيادة المريض (٢) .

١٩ — المقصورة : مشتملة على النصائح والمواعظ والأمثال في أربعة عشر ألف بيت (٣) — مفقود .

ط — في الطب :

١ — المختار — وهو اختصار لكتاب المنهل الروي في الطب النبوي للسيوطي (٤) — مفقود .

ي — في التصوف :

١ — منبر التوحيد ومظاهر التفريد في شرح جمع الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد (٥) .

٢ — الرسالة المحمدية في الرد عن السادة السعدية (٦) — مفقودة .

---

(١) أورد الغزي أبيات الشيخ علوان في الكواكب السائرة: ج ٢، ص ٢٠٨ . وصاحب خلاصة الأثر في ترجمته له : في ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٢) راجع : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٧ .

(٣) انظر : الورد الأنسي : ق ٥٨ ب .

(٤) ورد عنوانه في شيوخ المواهب الحنبلي : ق ٢٦ ب ، والورد الأنسي : ق ٥٨ب «المختار من طب المختار » . وفي هدية العارفين : ج ٢ ، ص ٢٨٥ « المختار في اختصار الطب النبوي » .

(٥) انظر التعريف به : ص ١٤ ح٢ من المقدمة .

(٦) انظر : الورد الأنسي : ق ٥٨ آ .

٣ — كتاب حافل جمع فيه أحكام الطريق (١) ، مفقود .

وقال النجم في كتابه « بلغة الواجد » إنه كان عازماً على تأليف كتاب حافل في الفقه (٢) . وله غير ذلك من الفتاوي — نظماً ونثراً — التي لو دونت بلغت مجلدات (٣) .

ويذكر الغزي أن بعض مؤلفاته كان استجابة لطلب بعض الأفاضل ، فمثلاً قال في سبب تأليفه كتاب « الهمع الهتان » : (وقد التمس مني بعض الأفاضل الصلحاء ، أن أكتب لهذه الأبيات شرحاً لطيفاً ، فكتبت عليه تأليفاً منيفاً ، لم آل (في الأصل : أر) فيه ترتيباً وتصنيفاً ، وسميته بـ « الهمع الهتان في شرح أبيات الجمع للشيخ علوان » (٤) . وكذلك يذكر عن سبب تأليفه كتابه « تحفة النظام » السابق ذكره (٥) .

وقد نسخ النجم لنفسه كتباً كثيرة ، ونسخ (٢٩) مصحفاً ، وأوقفها ، مع اشتغاله بالتآليف الكثيرة السابقة (٦) .

* * *

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ق ٥٨ ب .

(٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٣) انظر : الورد الأنسي : ق ٥٨ ب — ٥٩ آ .

(٤) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٥) انظر : ص ١١١ من هذه المقدمة .

(٦) انظر : الورد الأنسي : ق ٥٩ آ .

الغزي المؤرخ

لقد اتضح لنا من ترجمتنا للغزي وثقافته ، أنه كان مدرساً لامعاً ، ومفكراً خاض عديداً من شعاب المعرفة ، ومؤلفاً في أبواب كثيرة منها . وإذا كان قد اشتهر في عصره بأنه « حافظ العصر » و« محدث الشام » و « خاتمة حفاظ الشام » كما أسلفنا ، مما يدل على استحواذ الحديث والعلوم الدينية عليه ، فما هو ياترى موقعه من التأريخ ؟ في الحقيقة ، يمكن للمتتبع لمؤلفات الغزي الوفيرة أن يرى أن الغزي قد أدلى دلوه في ميدان التاريخ ، وخاصة ماكان منه في ميدان الطبقات والتراجم والرحلات ، بل ان الغزي نظر إلى نفسه على أنه من المؤرخين ، إذ قال : (وأنا أرجو الله تعالى أن يجعلنا ممن شكر مسعاه من المؤرخين)(١).

وفي الواقع طرق الغزي ميدان التاريخ ، وهو شاب ، عن طريق كتابته سيرة والده « بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد » ، مما يدل على نزعته المبكرة نحو التأريخ للأفراد ، وتابع خطه هذا في كتابيه الكبيرين « الكواكب السائرة » و « لطف السمر » . ولكن هل كان الغزي فيما كتب مؤرخاً علمياً حقاً ، أم مجرد إخباري يسجل أحداث عصره عبر تراجم الأشخاص ؟ قد يقال إن من الصعب تطبيق أسس المنهجية العلمية المعاصرة على الغزي ، وهو ابن القرن العاشر والحادي عشر الهجري / السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، والمنهجية التاريخية هي ابنة القرن الثالث عشر والرابع الهجري / التاسع عشر والعشرين الميلادي ؟ قد يكون هذا صحيحاً ، ولكن هناك أموراً

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٤ .

وخطوات تبقى شبه ثوابت يتبعها المؤرخ في كل عصر، عفواً أو قصداً ويحكم على مدى صلاحية تأريخه من خلالها مهما كان زمنه . فحتى يكون مؤرخاً علمياً لا بد أن تتوفر فيه الصفات الأساسية التالية :

أولاً ـ خلفية ثقافية تاريخية متينة تكون بمثابة أرضية يتحرك عليها المؤرخ بثقة وثبات .

ثانياً ـ تكوين خلقي قوي وصلب ، تدعمه عقلية قادرة ، وذهن متفتح .

ثالثاً ـ اتباعه المنهجية العلمية للبحث التاريخي بصورة عفوية أو مقصودة .

أما حول الصفة الأولى ، وهي خلفيته الثقافية التاريخية ، فقد تحدثنا عنها في بحث « ثقافة الغزي » المستمدة من علماء عصره ، ومن مطالعته الكتب الوفيرة ، ورحلاته ، ومشاركته الفعلية في بعض أحداث مجتمعه السياسية والاجتماعية ، والتي تبدت محيطة شاملة ، غزيرة وعميقة ، مما يدل على أن « بنيته الثقافية » بنية تؤهله كي يكون مؤرخاً محيطاً بشتى تفاعلات المجتمع في الماضي والحاضر ، ومدركاً لقضاياه ، ولاسيما أنها توضعت في فكر ذكي ، شحذته منذ وقت مبكر دراسة مستعمقة لعلم الحديث ورجاله ، وطرائقه النقدية في الجرح والتعديل ، مما أنضج لديه القدرة على المحاكمة السليمة المنطقية ، ودربه على النقد والترتيب والتنظيم السليم .

ومثلما اتحدت تلك البنية الثقافية مع عقلية متفتحة ، فإنها تلاقت واندمجت مع تكوين خلقي متين . فقد عُرف عن الغزي من مترجميه ومواقفه ، أنه كان إسلامي القيم ، تقياً ، ورعاً ، ضابطاً للنفس ،

محباً للخير والعلم والعمل المثمر ، مندفعاً نحو مايراه حقاً بحزم وصلابة ، دون أن يثنيه عن ذلك حسد الحاسدين ، أو تقصير المقصرين ، أو تواكل المتواكلين ، بل ولا نصح المحبين كما لاحظنا في ترجمة حياته .
ويدلل الغزي على ذلك في مطلع كتابه « الكواكب السائرة » فيقول : (واعلم أنه لم يبعثني على تأليف هذا الكتاب وغيره . . . . أولويتي بهذا الشأن . . . ولكني لما رأيت إيثار الراحة والدعة ، والجد والدأب قد غلب في هذا العصر وصار دأباً لأكثر أهل الفضل والأدب ، بادرت إلى انتهاز هذه الفرصة ، وصرفت من شباب العمر أوفر حصة ، فألفت في كثير من الفنون . . . ولم أبال بتغبير الحسدة في وجوه الحسان ، من أبكار الأفكار . ولم أتأخر علماً مني بأن الحسد ينقطع بعد نزول الحمام) (١) . وصفات الغزي الخلقية هذه ، مع خلفيته الثقافية المشار إليها سالفاً ، أبعدته عن الانحراف وراء هوى النفس ، إلى حد كبير ، ودعمت حرصه على تقويم من حوله تقويماً أميناً ، كأمانته في تقويم المحدثين . وهذه من الثوابت التي على كل مؤرخ في كل زمان ومكان أن يتحلى بها ، بل هي العمود الرئيسي في بنيته مؤرخاً . وقد دلل الغزي على ذلك مثلاً في وصفه لشيخه القاضي محب الدين الحنفي — وهو شيخه الثاني الذي تأثر به تأثراً كبيراً بعد شيخه أحمد العيثاوي — بالظلم والميل عن الحق ، تبعاً لأهواء الآخرين بقوله : (فسمع شيخنا الدعوى ، وحكم بقتله — أي قتل ناصر بن عبدان (٢) نقيب الشيخ أحمد بن سليمان (٣) — وكان يمكنه الاعتذار عن سماعها ،

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٧ – ٨ .
(٢) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٦٩) .
(٣) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٠٨) .

والحكم فيها . إلا أنه — فيما قيل — استميل ، فشنق ابن عبدان في أوائل سنة ثمان بعد الألف . وكنت إذ ذاك في الحجاز ، فلم أحضر هذه الكائنة ، والظلم فيها والعصبية ظاهران) (١) .

وما قد يقال عن الغزي في قضيتين هما :

١ .- نزاعه مع بعض زملائه من العلماء عند تدريسه في الجامع الأموي كمحمد بن المنقار، ومحمد الداوودي ، وإبراهيم بن الطباخ ، كما أسلفنا ، مما قد يجعله ينحاز إلى نفسه ويتبع هواه ، فإن ماتحدث به هو نفسه، وما أورده كل من البوريني والمحبي عنهم في تراجمهم ، من أن سبب منازعتهم له ليس خاصاً به وحده ، بل يعود سببه إلى طبيعتهم المفطورة على حب النزاع مع الآخرين ينفي ذلك (٢) .

٢ .- نزاعه مع محمد الميداني ، السابق ذكره ، بسبب توجيه المدرسة الشامية البرانية عنه وإعطائها للميداني وسعي الغزي في استعادتها منه ، لم يمنعه من إنصافه ، وترجمته ترجمة أمينة وصادقة إلى حد ما ، وكان في وسعه أن يتغاضى نهائياً عن ترجمته .

وقد تجلت أمانة الغزي في حديثه عن مساوىء العثمانيين وظلمهم ، وتفشي الرشوة بين قضاتهم وحكامهم مما يدل على جرأته ، وشعوره بمسؤوليته في قول الحق ، ونقله بصدق وأمانة إلى الأجيال القادمة ، مهما ترتب على قوله هذا من تبعات ، كما يدل على عدم خوفه من العثمانيين . هذا الخوف الذي يعقل ألسنة الكثيرين عن قول الحق ، ومحاربة الظلم (٣) .

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٧٧ .

(٢) انظر : بحث « علاقته بمعاصريه من العلماء » من هذه المقدمة .

(٣) انظر : بحث « نظرة الغزي السياسية ومدى مشاركته . . . . الخ » ، من هذه المقدمة .

وإذا ما بحث المرء في مدى موضوعية ماكتبه الغزي ، ووازن بين التراجم التي قدمها هو ومعاصرون له كالبوريني لرأى أن الغزي كان في معظمها حيادياً موضوعياً ، بل إنه لم يعمل على تسويغ مواقف باطلة ، وأعمال فاسدة لمن له علاقة صميمة به ، بل ولم يهمل تدوينها بدعوى أن ذلك قد يسيء إلى علاقته معهم ، أو على الأقل يعتبر تجريحاً في عدالتهم ، وأصدق مثال على ذلك وصفه للقاضي مصطفى بن بستان بأنه (كان يتناول في قضائه ، حتى قيل : إنه أول من تظاهر بالرشوة من قضاة دمشق الروميين) (١) ، ثم يصف علاقته به ، وإحسان هذا القاضي إليه فيقول : (ومع ذلك كانت لقمته قريبة ، وله علينا إحسان ، وهو أول من وجه لي وظيفة ، وكان له علينا نظر تام) (٢) . وهذا الوصف لصلته بهذا القاضي لم يسبغه على غيره من القضاة ، مما يدل على مدى رابطته الوثيقة به ، ويدل أيضاً على أن إحسان ذلك القاضي إليه ، لم يمنعه من وصفه بـ « تناول الرشوة » ، لا بل بأسوأ من ذلك إذ جعله (أول من تظاهر بها من قضاة دمشق الروميين) .

ومهما يقال عن تحيز الغزي في نزاعه مع العلماء الذين سبق ذكرهم ، وعن تعصبه في موقفه من « يحيى الكركي » فإنه يبقى أقرب إلى الأمانة والموضوعية ، ونعود فنؤكد بأن التصاقه الشديد بعلم الحديث ورجاله ، وما يستتبع ذلك من دراسة لرواته وأحوالهم : من عدالة وضبط ، وجرح وتعديل ، لابد أنه قد جعل الأمانة في إيراد الخبر جزءاً مكيناً من بنيته الفكرية والخلقية ، وعادة مستحكمة لديه . ومع هذا ، فالغزيّ العالم المحدث إنسان ، له ككل إنسان ميوله ، وعواطفه ، ونزعاته التي قد يكون من العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، ضبطها داخل قواعد وقوالب صارمة من الموضوعية إلا إذا فقد إنسانيته وذاته .

(١) انظر : لطف السمر : ص ٦٦٠ .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٦٦٠ .

منهجيته في البحث التاريخي :

لقد رأينا أن شخصية الغزي قد تكونت تكويناً صالحاً ليكون مؤرخاً. والآن إذا ماتابعنا خطوه في المنهجية التي اتبعها في طرح تراجمه ، فإننا ، في الواقع ، لابد لنا من تحليل موقعه من الخطوات الأساسية التقليدية التي تتكون منها هذه المنهجية ، وبعد ذلك لابد لنا من التعرف على مدى اقترابه أو ابتعاده عنها ، بصورة عفوية ، ولا نقول مدى تمثله لهذه الخطوات ، وممارسته لها ، لأن تلك الخطوات قننت واستخدمت بعد عصره . ولذلك فمن العبث الأكيد تقويمه على أساس تمثله وممارسته لها . بل من الواجب تبين مدى ماحققه بعفوية من هذه المنهجية في مؤلفاته التاريخية .

فإذا سألنا ، هل الموضوع الذي طرقه الغزي في التاريخ جديداً ، ويتفق مع شروط الاختيار الصحيح من حيث توافر « الجدة » فيه ، و « الطرافة » و « عدم الابتذال » ؟ لرأينا أن الغزي أدرك بفطرته في الواقع ، قيمة الجدة في الموضوع الذي اختار الكتابة فيه . وهو « تراجم أعيان القرن العاشر وأوائل الحادي عشر » . وعقب على ذلك الاختيار بقوله : (وإني طالما كنت أتشوق إلى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من أهل المائة العاشرة : من العلماء الأنجاب ، فلم أجد من تعرض لهذا المعنى . أو دخل في هذا الباب) (١) . وعلى هذا فقد ألف فيه كتبه الثلاثة « بلغة الواجد » و « الكواكب السائرة » و « لطف السمر ». والكتابة في التراجم موضوع قديم - حديد : قديم لأن الكتابة فيه مطروقة منذ زمن بعيد . وجديد في اختيار الشخصيات المترجم لها ،

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٥ .

فهذه ليست قديمة ، بل متجددة في كل زمن ، وخاصة الشخصيات المعاصرة للمؤرخ التي تحتاج إلى تقييد تراجمها حتى لايندثر ذكرهم مع مرور الأيام . وقد تنبه علماؤنا الأقدمون إلى أهمية الكتابة في التراجم ، بل ليس هناك أمة من الأمم فاقت عنايتها بسير رجالاتها الأعلام من أمتنا العربية الاسلامية (١) .

ولما كانت الأغلبية المطلقة من التراجم الإسلامية ، أجزاء من مجموعة أكبر ، كأن تكون أجزاء من كتب الطبقات ، أو الأسر ، أو الحوليات حيث تبدو بعض الملاحظات عن التراجم متصلة بالسنة التي توفي فيها شخص معين (٢) . أو خاصة بتراجم عامة لبلد أو قطر ، أو لتراجم عصر أو قرن من الزمان ، فإنه كان على الغزي أن يختار بين هذه الطرق في الكتابة ، وخاض أول تجربة في كتابة التراجم عندما دوّن ترجمة واحدة منفردة هي ترجمة والده في مؤلفاته « بلغة الواجد » ، ثم عندما أراد التوسع في الكتابة التاريخية اختار أسلوب الطبقات إطاراً يرصف في داخله تراجمه بحسب خطة معينة جديدة . فمفهوم

---

(١) كان من أوائل من ألف في التراجم ووصلنا كتابه الإمام البخاري ، صاحب الصحيح المشهور المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م وتبعه في ذلك كثيرون منهم : ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، وابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م ، وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م ، والسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م وغيرهم كثيرون . انظر مثلاً : المصدر نفسه : ج ١ ، ص : آ-ب من مقدمة الكتاب ، وج ٣ ، ص ٣٤٧ (من جدول التصحيحات) له .

(٢) انظر : فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغداد ١٩٦٣ م : ص ١٤٥ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : علم التأريخ .

مدة الطبقة لدى الغزي يختلف عن مفهوم من سبقه من كتاب الطبقات كابن سعد (١) — أول من ألف في الطبقات بعد الواقدي (٢) — في كتابه « الطبقات الكبرى » وغيره . وقد عرفت الطبقة بأنها : « أناس يرجعون إلى طبقة أو صنف في تعاقب زمني للأجيال » (٣) . وقد حاول أصحاب المعاجم أن يحددوا بالضبط طول مدة كل طبقة ، فارتأى بعضهم أن مدة الطبقة عشرون سنة ، وارتأى آخرون أن طول مدة الطبقة قد يكون عشر سنوات أو أكثر ، مستندين في ذلك إلى حديث ينسب إلى الرسول محمد (ص) جاء فيه : (تتكون أمتي من خمس طبقات ، كل واحدة منها أربعون سنة) (٤) . وكل هذا لم يثن الغزي عن أن يكون له مفهومه الخاص عن مدة الطبقة ، إذ حدد مدتها بـ«ثلاث وثلاثين » سنة . ويبدو أن هذا التحديد فني لاغير لتسهيل الدراسة . وقد يكون للعوامل الدينية الكامنة في نفسه أثر في هذا التحديد ، ويدل على ذلك مارواه أبوهريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال لفقراء المهاجرين من حديث طويل: (ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم . . . قالوا : بلى يارسول الله،قال : «تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً

---

(١) هو محمد بن سعد ، كاتب الواقدي ، محدث ، مؤرخ ، توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م . انظر : نور الدين حاطوم وزملاؤه ، المدخل إلى التاريخ ، دمشق ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م : ص ٢٣٠ ، ٢٣٧ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : المدخل إلى التاريخ .

(٢) هو محمد بن عمر الواقدي المدني ، محدث ، فقيه ، مؤرخ توفي ببغداد سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م . انظر : المصدر نفسه : ص ٢١٠ .

(٣) انظر : علم التأريخ : ص ١٣٣ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ١٣٣ .

وثلاثين ») (١) . وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المائة : لاإله إلا الله ، وحده لاشريك لـه ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) (٢) . وغيرها . ولعل هذا الاستنتاج لتحديد مدة كل طبقة ، يبدو أقرب لنفسية الغزي من غيره . ذلك أن الغزي كان بإمكانه تقسيم كتابه « الكواكب السائرة » إلى أربع طبقات مثلاً ، مدة كل منها « خمسة وعشرون عاماً » ، مستخدماً في ذلك العوامل السياسية ، إلى حد ما ، والتي كانت أحداثها تجري في أرض الشام في تلك الفترة . فقبيل نهاية الربع الأول من القرن العاشر الهجري — أي في عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦ م — سقطت الدولة المملوكية أمام جحافل الجيوش العثمانية المتقدمة ، وضم العثمانيون بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها . . . مما يدل دلالة واضحة على بداية مرحلة جديدة ستمر بها المنطقة . وكان باستطاعة الغزي أن يستثمر هذا الأمر في تقسيم طبقاته ، ويدعم هذه الفكرة وفاة السلطان سليمان القانوني في سنة ٩٧٤ هـ ووفاة السلطان مراد الثالث في سنة ١٠٠٣ هـ ، مما يساعد، إلى حد ما ، على التحديد لفترة كل طبقة بمدة خمسة وعشرين عاماً . ولكن الغزي بميوله الدينية انصرف عن ذلك ، وذهب إلى اعتبار مدة كل طبقة ثلاثاً وثلاثين سنة ، لا في كتابه « الكواكب السائرة » فحسب ، بل في « ذيله » أيضاً .

---

(١) انظر : شرف الدين يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت (بدون تاريخ) : ص ٤٩٧ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : رياض الصالحين .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٤٩٧ — ٤٩٨ .

وقد جمع الغزي في مؤلفيه السابقين بين أسلوب التأليف في الطبقات، والسير بالطريقة المعجمية في ترتيب التراجم المتحصلة لديه ضمن كل طبقة ، وهذا ما سهل عليه تحديد الفترة الزمنية — بشكل تقريبي — للشخصيات التي لم يعثر على تاريخ وفاتها ، فذكرها ضمن الطبقة التي من الممكن أن تكون قد توفت فيها ، أو توفت فيها فعلاً ، فمثلاً « منصور المنشد » ذكر الغزي أنه توفي في أوائل حدود الطبقة الثالثة (١) وهكذا...

وإذا ماتابعنا الخطو في مفاهيم الغزي الأخرى ، فإننا نرى أن مفهوم « الأعيان » عنده ، يختلف بعض الشيء عن مفاهيم أصحاب التراجم الآخرين كابن الحنبلي والبوريني والمحبي وغيرهم ، الذين جعلوا كتبهم تراجم للأعيان ، كما يتضح من عناوين كتبهم « در الحبب في تاريخ أعيان حلب » و « تراجم الأعيان من أبناء الزمان » و « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » على الترتيب . وقد حدد الغزي مقصوده بالأعيان في ترجمة محمد الجباوي (٢) بقوله : (وبالجملة فقد كان من أفراد الدهر ، ومحاسن العصر . . . لايتأخر عنه أعيان البلد . يقصد أعيان دمشق . : علماؤهم ورؤوس جنادهم)(٣) . وقال في مقدمة «كتابه الكواكب السائرة» : (إن الله تعالى جعل في كل قرن سابقين من هذه الأمة إلى ورد مناهل بره ، واختص من كل عصر مقربين من الأعيان والأئمة ، أطلعهم على لطائف سره . فهم نتائج الدهر التي طلعت بطوالعها السعود في كل زمان .

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢١٥ .

(٢) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٢) .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٩ .

ووسائط العقود التي نظمتها يد القدرة في كل حين من الأحيان ، بحيث إن الأزمنة تنقضي فلا يبقى من آثارها سوى أخبار هذه الطائفة وآثارها)(١).
ثم نقل عن رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله : (مثل أمتي مثل المطر ، لايدرى أوله خير أم آخره) وعلق عليه قائلاً : (ولا شك أن العلماء هم مظنة هذه الخيرية ، وهم أحق الناس بالتفضيل لوجود الأهلية) (٢) . وقال أيضاً : (وإني طالما كنت أتشوق إلى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين ، من أهل المائة العاشرة من العلماء الأنجاب) (٣) . وعلى هذا فالأعيان في مفهوم الغزي ، هم العلماء على الأغلب ، أو (السابقون من الأمة الإسلامية إلى ورد مناهل بر الله تعالى) (٤) وقد ضم الغزي إلى هؤلاء العلماء الأعيان (نبذة من تراجم أعيان التخت العثماني ، ووفيات أعيان الملك السلطاني ، ممن اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان) (٥) . كما أضاف إليهم أيضاً (ماتيسر من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ، ليتم نظم الكتاب في قلائد عقيانه وسلوكه) (٦) . وقد أهمل الغزي عن قصد « أعيان » فئات من المجتمع ، على الرغم من وصفه بعضها بالأعيان ، كالجيش والصناع والتجار وغيرهم ، لأنه كان ينظر إلى تلك الفئات نظرة خاصة ، ويدل على ذلك قوله : (وهذا الكتاب ــ يقصد « لطف

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٣ .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٤ .
(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٥ .
(٤) انظر : المصدرنفسه : ج ١ ، ص ٣ .
(٥) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٦ .
(٦) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٦ .

السمر » - لايليق بذكر البلوك باشية ونحوهم ، وإن كانوا أعياناً في أنفسهم) (١) ، وقوله في وصف كتاب « در الحبب » لابن الحنبلي (وهو كتاب في مجلد ضخم ثخين ، يشتمل على الغث والسمين . والتافه والثمين . وربما طوّل فيه بعض التراجم بما لاتعلق له بالمرام ، وليس له بفن التاريخ التئام . وربما أكمل الأسماء ، لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش أو تاجر ، أو مغن أو مطنبر ، أو عاشق أو معمار ، أو غيرهم من العوام . فانتخبت منه تراجم بعض أعيان كتابه ، وضممتها إلى كتابي ، وأعرضت عما لم يقع اختياري عليه ، مما أتى في بابه ، حسبما قضى به تمييزي وانتخابي) (٢) . وهكذا نرى أن مفهوم « الأعيان » لدى الغزي ، كما يظهر من كتابيه يختلف عن مفهومه عند ابن الحنبلي . ونستطيع أن نعدد الأعيان ، إلى حد ما ، الذين ينطبق عليهم مفهوم الغزي كما يظهر من كتابيه « الكواكب السائرة » و « لطف السمر » بأنهم : العلماء والفقهاء والقراء والمحدثون والحفاظ والمدرسون والقضاة والأدباء والشعراء ورؤساء المؤذنين والمنشدون وقراء المولد النبوي والموقتون والشهود والمتصوفة بكل فئاتهم ، وأضاف إليهم الغزي السلاطين والمتولين على الجامع الأموي وغيره من الجوامع والمدارس ، وبعض الباشوات والآغوات وخاصة « باشوات » دمشق ، وغيرهم . أما بقية أعيان فئات المجتمع الأخرى كالتجار وأرباب الحرف والصنائع وغيرهم فقد اعتبرها من العوام ، على مامر معنا في وصفه لكتاب ابن الحنبلي آنفاً ، أو من الأعيان الذين

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٦١٠ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٦ .

لايليق ذكرهم بكتابه ، وإن ذكر بعضهم مثلاً ككيوان الطاغية (١) وكنعان بن عبدالله البلوك باشي (٢) فذلك لأسباب خاصة بينها أثناء ترجمته لهم في كتابه « لطف السمر » .

ومن هذا نرى أن الغزي اختار موضوعاً لكتابه التاريخي جديداً وطريفاً ، بل وإنه في « لطف السمر » أخذ تلك التراجم المعاصرة التي يحرص الناس المعاصرون على تتبع أخبارهم ، ولاسيما في ذلك الوقت الذي لم يكن قد عرف الصحافة بعد . ومن هنا تاتي أهمية كتابه هذا . ولكن قد يقول قائل : إن المنهجية التقليدية البحث التاريخي ،وهي منهجية المدرسة الوضعية ، تقضي بألا يختار المرء موضوعاً لبحثه إلا بعد مضي نصف قرن من الزمن عليه على الأقل ، وذلك حتى يكون موضوعياً ، لاتتحكم فيه الانفعالات والأهواء النفسية عند معالجته لمختلف جوانبه . فكيف يؤرخ الغزي لمعاصريه ، ويعرض لأحداثهم القريبة منه ، والجارية على أرض وطنه في كتابه « لطف السمر » الذي قمنا بتحقيقه ، وهو عرضة للانفعال بها ؟ أليس في هذا خللاً بالمنهجية التقليدية البحث التاريخي ؟ إن الإجابة على ذلك تقتضي الفصل بين كتابه الأول « الكواكب السائرة » الذي قد تنطبق عليه شروط المدرسة الوضعية ، وبين كتابه « الثاني » « لطف السمر » الذي – كما قلنا – يترجم فيه لأشخاص معاصرين له ، ويذكر أحداثاً ضمن تراجمهم معاصرة أيضاً ، لم يمض عليهاتلك الفترة من الزمن ،لا بل كان بعضها يجري وهو يؤلف كتابه هذا ، مما يدل على أنه انفعل بتلك الأحداث وتأثر بها ، وهذا مما قد

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٥٠) .
(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (٢٤٩) .

يقلل من أهميتها التاريخية . ولكن أليس إذا أرجأ المؤرخ كتابة سير معاصريه ، وتسجيل الوقائع التي حدثت في عصره إلى فترة نصف قرن من الزمن يعرض هذه السير والوقائع إلى النسيان، وخاصة في عصر لم تعرف فيه الصحافة كما أسلفنا ؟ وبالتالي إذا أراد المرء أن يعطي صورة واضحة عنها ، فإن صورته تكون باهتة ، ضعيفة مفككة ، لاتفي بالغرض المطلوب . وعلى العكس من ذلك فإنه إذا سجل تلك السير والوقائع والأحداث في وقتها المناسب ، كشاهد عيان — إذا كانت ملكاته العقلية وحواسه سليمة — فإن صورته التي يقدمها لنا ، تكون صورة حية قوية مترابطة . صحيح أنه قد يكون هناك مجال التاثر أو التأثير ، وهذا ماحدث للغزي ، بل وأظهره في سياق تراجمه ، كتنميه مقتل كيوان مثلاً كما أسلفنا ، ولكن تبقى الصورة التي يقدمها كشاهد عيان وثيقة هامة لمن يأتي بعده ، يستطيع من خلالها النفوذ إلى الحقيقة ، إذا ماأستخدم مبدأ الشك التاريخي والنقد الموضوعي الحوادث والتراجم المقدمة له . ومن خلال هذا المنظور ، نستطيع أن نرى أهمية كتابه « لطف السمر » فهو فيه ليس ناقلاً عن غيره ، أو جامعاً لتراجم من سبقه ، كما فعل في جزء كبير من « الكواكب السائرة » ، بل هو منشىء لأغلبية تلك التراجم من جديد ، مبدع لها ، اعتماداً منه على مشاهداته الخاصة وخبراته ، وسماعاته الشخصية . وهذا مايجعل ، في الواقع ، شخصيته فيه بارزة ، واضحة المعالم ، أكثر من كتابه « الكواكب السائرة » الذي اعتمد في معظمه على مصادر لمؤرخين سابقين . فهو كان المحور الرئيسي الذي تدور حول معظم تلك التراجم ، التي يتحدث إليها وتتحدث إليه ، ويبادلها التعاطف والود، أو التحاسد والعداء . ولذلك يمكننا القول : إن هذه التراجم

تعكس لنا في كثير منها صورتين : الأولى ، صورة الأشخاص الذين ترجم لهم ، والثانية : صورته هو من خلال تلك التراجم . إلا أن هذا لايطعن موضوعيته في أغلبية ماقدم ، ولا يفقد كتابه قيمته التاريخية ، بل يبقى كما قال المحبي عنه بعد نقده له (إنه أجاد كل الإجادة في هذا الجمع على كل حال) .

مصادر بحثه التاريخي :

وإذا ماتابعنا بحثنا عن مدى اقتراب الغزي من خطوات منهج البحث التاريخي ، فإنه لابد لنا من التعرف إلى مصادره في كتابه . في الواقع ، إذا كان الغزي قد قدم لكتابه « الكواكب السائرة » بثبت بمصادره (١) على غرار مايفعله المؤرخ المنهجي المعاصر ، فإنه لم يفعل ذلك في كتابه « لطف السمر » ، إلا أن المتتبع بدقة لتراجمه ، وماذكره ضمنها عن مصادره ، يتضح له أنه اعتمد على المصادر الآتية :

١ ـ مشاهداته ومعايناته الخاصة ، وتتبعه لسير الأحداث ، وحياة الأشخاص الذين عاصرهم وعاش معهم .

٢ ـ الرواية الشفوية ، أي من سماعاته من الأشخاص المعمرين الثقات الذين عاصروا تلك الأحداث ، وأولئك الأعيان ، وعاشوا معهم ، فرووا له مشاهداتهم ، أو علاقاتهم مع أولئك الأعيان ، أو وصفوهم له .

٣ ـ المصادر المكتوبة لمؤرخين سابقين أو معاصرين له . ويمكن حصر هذه المصادر في الذيل بما يلي :

(١) راجع مصادره التي اعتمدها في كتابه الكواكب السائرة في : ج ١ ، ص ٥ ـ ٦ .

« در الحبب في تـــاريخ أعيـــان حلب » (١) لرضي الدين إبراهيم ابن محمد المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م ، و « ذيل در الحبب » (٢) لعمر العرضي المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م ، و « مفاكهة الخلان » أو « إعلام الورى »(٣) لمحمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ، و « الطبقات الوسطى » (٤) لعبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م ، و « تاريخ الخلفاء » (٥) لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، و « العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان » أو « تذكرة الإخوان في حوادث الزمان » (٦) لعبد القادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م ، و « تهذيب الأسماء واللغات » (٧) لمحيي الدين يحيى ابن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م .

وكان الغزي حريصاً على استقصاء مصادره السابقة ، والدلالة عليها ، ولذلك فقد استخدم عدة أساليب التنويه بها ، فمثلاً استخدم للدلالة على مشاهداته الخاصة التعابير التالية : « أنا رأيته » و « رأيت

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٢٩٣ ، ٥٨٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٨٩ .

(٣) انظر : لطف السمر : ص ٢٩٣ ، ٥٨٩ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٧٩ .

(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٢٠ .

(٧) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨١ ، ١٨٢ .

الشيخ » و « ووقفت له على مؤلف سماه » . . . إلخ . واستخدم الدلالة على سماعاته التعابير الآتية « حدثني بذلك شيخنا » و « حدثني والده » و « حدثني بعض أصحابنا » و « حدثتني والدتي » و « أخبرني شيخنا » و « بلغني » و « فيما بلغنا » و « حكي » و « حكى صاحبه » و « قال الوالد » و « قيل » و « ذكر لي » و « سمعت » و « شاع الخبر » الخ . . . واستخدم في الدلالة على مصادره المكتوبة بعض التعابير مثل : « ذكره شيخ الاسلام الوالد في فهرست طلبته » و « ذكره شيخنا القاضي محب الدين الحنفي في رحلته إلى مصر » و « قرأت بخط الشيخ » و « ما أوردته في نسبه هو ما قرأته بخطه » . . . إلخ .

وكان الغزي يؤمن بأهمية المصادر المكتوبة ويستقصيها في كل حادثة تقع له ، فمن ذلك أنه بحث عن كل المصادر التي تتحدث عن قبر معاوية بن أبي سفيان (١) (ر ض) ليتأكد من قول سمعه من أحد العلماء (٢) . وكان هذا القول خلاف المشهور ، ولما لم يعثر على ماذكره ذلك العالم ، أرسل إليه يطلب منه إرشاده إلى المصدر الذي اعتمد عليه في قوله (٣) .

وإذا كان الغزي لم يستطع أن يأخذ عن مصادر مكتوبة دائماً ، واضطر إلى الاستقاء من الرواية الشفوية فلأنه كان يدون لمن عاصرهم ، ومن ثم لم يكن قد أتيح للمؤرخين الترجمة لهم ، فقد يكون هو الأول الذي أعلم عنهم .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية ، وأول خلفائها المشهورين ، توفي سنة ٦٠ ﻫ /٦٨٠ م . انظر : الأعلام : ج ٨ ، ص ١٧٢ .

(٢) هو محمد الميداني ، انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٥٥) .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨١ — ١٨٢ .

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على هذه المصادر ، وكيفية استخدام الغزي لها ، نلاحظ أن الغزي استخدمها في الواقع ، لأن أصحابها كانوا غالباً شهود عيان للوقائع التي يؤرخون لها ، وثقات ، وخاصة في مصادره المتأخرة في « لطف السمر » ، مما يدل على حسن اختياره للمصادر ، وتحقيقه المنهج العلمي في ذلك .

هذا عن مصادر الغزي المكتوبة ، أما مصادره الأخرى كالسماعية مثلاً ، فتعتمد هي الأخرى على أناس معاصرين للأحداث وثقات ، ولا شك أن أكثرهم كان من محيط الغزي نفسه : شيوخه ، وزملائه من العلماء ، وتلاميذه ، وأصحابه ، وأقاربه ، وغيرهم . ويدل على ذلك ماذكرناه آنفاً مثل : « حدثني شيخنا » و « حدثني بعض أصحابنا » . . . الخ .

أما حول مشاهدات الغزي الخاصة ، فقد تجلت بصورة جلية في كتابه « لطف السمر » ، الذي وصف فيه معاصريه معتمداً على نفسه ، بصورة رئيسية ، كشاهد عيان للحوادث والرجال . ولما كان الغزي قد عرف بالأمانة والصدق والابتعاد عن الهوى إلى حد كبير ، فإن كتابه يعتبر من الوجهة التاريخية وثيقة هامة معاصرة لتلك الفترة .

النقد والتحقيق لديه :

إذا كان الغزي مؤمناً .. كما ذكرنا — بقيمة المصادر التاريخية ، وأهميتها في نقل الحوادث والتراجم ، فإنه لم يستخدم هذه المصادر استخداماً أعمى ، بل استخدم فكره المدرب على نقد الحديث ورواته ، في نقدها . وبيان مواضع الخطأ والصواب فيها ، ثم أخذ منها مايتفق

مع مارآه حقيقة ، ومع منهجه في العمل . فقد نقد — كما أشرنا سالفاً — نقداً عاماً كتاب « در الحبب » لابن الحنبلي (١) ، وجرحه ، وبيّن انجرافه وراء الهوى في ترجمته لمنصور بن عبد الرحمن ، خطيب السقيفة ، فقد قال : (ثم ذكر — يقصد ابن الحنبلي — كلاماً يقتضي الطعن عليه ، وإضافة أمور غير مرضية . وكذلك عادة ابن الحنبلي في هذا التاريخ ، بأدنى شبهة يهتك من المترجم ستراً ، ولايكاد يقيم لمن يحتمل حاله التأويل عذراً) (٢) . ومن الأمثلة أيضاً على ممارسته للنقد التاريخي ، ماأظهره من نقد وتصحيح لطريقة الشعراني في إيراد تاريخ الوفاة ، فقد اتهمه بعدم الدقة في تثبيت الزمن باليوم والشهر والسنة ، ومما قاله في هذا المضمار (كانت وفاة الشيخ أمين — يقصد محمد بن النجار الدمياطي ، أمين الدين — صاحب الترجمة . . . ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، وقال الشعراوي : سنة تسع وعشرين . وهو تقريب منه على عادته الغالبة في طبقاته ، والأول أصح ، حرره الحمصي (٣) في تاريخه ، ويؤيده ماذكره ابن طولون ((٤) . ويلمح الباحث من الأمثلة السابقة حس الغزي النقدي (٥)

(١) انظر : ص ١٣٣ من هذه المقدمة .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢١١ .

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن محمد الحمصي الشافعي الفقيه الخطيب المحدث المؤرخ القاضي المتوفى سنة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م انظر : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٤) انظر : المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٥) قد لا يوافق الباحث المعاصر على جميع انتقادات الغزي ، وخصوصاً نقده لكتاب « در الحبب » لا بن الحنبلي ، وذلك لأن ابن الحنبلي قدم لنا معلومات هامة عن فئات من المجتمع هامة ، اعتبرها الغزي من العوام الذين لا يستحقون الذكر في كتابه كالمعماريين والمغنين والنجارين والتجار وغيرهم .

ليس لمجموع مصادره فقط ، بل لما تحويه من مادة تاريخية ، كما تثبت لجوءه إلى موازنة المصادر ببعضها الوصول إلى الحقيقة ، فهو لايعتمد مصدراً واحداً ، مهما عرف صاحبه بالعلم ، بل يسعى إلى مجموعة مصادر .

تركيبه التاريخي واصطفاؤه الحقائق التاريخية :

تعتبر هذه المرحلة أصعب المراحل في العمل التاريخي ، وهي التي يحكم بموجبها على مستوى المؤرخ وقدرته الابداعية . فكيف ركب الغزي مجموع كتابه ؟ وكيف ركب معطياته ضمن الترجمة الواحدة ؟ لقد أسلفنا القول بأن الغزي قد اختار نهجاً لكتابيه هو « أسلوب الطبقات » فكان كتابنا هو الرابع إذا مانظر إلى الكتابين وحدة واحدة . ولقد بينا أن أسلوب الطبقات هو أسلوب من أساليب التصنيف الزمني للأحداث التاريخية ، فالغزي في تركيبه الأولي لكتابه إذا اتبع نمطاً معيناً من التصنيف الزمني ليس هو بنظام الحوليات ، الذي يبقي الأحداث التاريخية مشعثة ، وإنما نظام جديد جمع فيه ضمن طبقة واحدة تراجم أولئك الأشخاص الذين توفوا خلال ثلاث وثلاثين عاماً. فكأنه قسم أحداث القرن الواحد إلى ثلاث مراحل ، دون أن يبتر بين جزء وآخر ، إذ أن حياة الشخصية بين طبقتين تكون رابطة بين المرحلتين، ومن ثم فترابط الأحداث يبقى متواصلاً ومستمراً . والشيء نفسه يقال عن الطبقة الرابعة أو الذيل ، فهي تحافظ على الالتحام بين أحداث القرن العاشر والحادي عشر الهجري . ولعل هذا هو ماأحس به الغزي عندما جعل كتابه « لطف السمر » طبقة رابعة لكتاب «الكواكب السائرة» ، إذا قال : (فهذا ذيل على كتابي المسمى بالكواكب السائرة ، بمناقب

أعيان المائة العاشرة ، ألفته لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف . وكانت طبقة الأعيان المندرجين فيها رابعة لطبقات ذلك الكتاب) (١) .

وبعد هذه المرحلة من التركيب العام لكتابيه ، يعود فيوجد تركيباً آخر ضمن هذا التركيب العام فيرتب تراجمه ضمن الطبقة الواحدة ترتيباً أبجدياً بعد تقديم من اسمه محمد . وقد شرح الغزي خطته هذه التي اتبعها في كتابيه « الكواكب السائرة » و « لطف السمر » في مطلع كتابه الأول فقال : (وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم أسماء المحمدين على ترتيب حروف المعجم ، الواقعة في أوائل أسماء المترجمين) (٢) . (وإني أعين اسم المترجم ، واسم أبيه ، وبعض أجداده على ترتيب الحروف على حسب التيسير . ومن لم أظفر باسم أبيه جعلت ترجمته باعتبار الوضع الأخير ، وأذكر اسم المترجم ، ولقبه ، وكنيته ، في الأكثر ، وقد أقتصر على واحد منها حيث لم أطلع على غيره ولم أعثر) (٣) . أما الأشخاص الذين لم يظفر الغزي بأسماء آبائهم ، فقد أخر تراجمهم في كل حرف إلى نهايته ، وفي ذلك يقول : (باب ذكر المحمدين ، الذين لم أعثر على أسماء آبائهم من أهل هذه الطبقة ، وهي الأولى ، وكذا أفعل في كل طبقة ، وفي كل حرف أؤخر من لم أعرف أسماء آبائهم إلى آخر الحرف) (٤) .

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٣ — ٤ .
(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٧ .
(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧ .
(٤) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧٣ .

وقبل الانطلاق إلى الحديث عن تركيب الغزي للمعطيات حول الشخصية التي يترجم لها ، لابد من التساؤل ، كيف واجه مشكلة انتقاء الحقائق والشخصيات التي ترجم لها ؟ يبدو أن الغزي قد تأثر في معالجته لهذه المشكلة بنشأته الدينية ، وتربيته الخلقية . ويتجلى هذا الاصطفاء لدى الغزي في ناحيتين ، أولاهما : اصطفاؤه الشخصيات التي يترجم لها جمعاً من مصادره المختلفة سواء أكانت مكتوبة أو مسموعة ، وقد يضع الغزي قارئه في الصورة عندما يقول في حديثه عن كتاب « در الحبب » لابن الحنبلي (فانتخبت منه تراجم بعض أعيان كتابه ، وضممتها إلى كتابي ، وأعرضت عما لم يقع عليه اختياري ، مما أتي به وليس في بابه ، حسبما قضى به تمييزي وانتخابي . لأني وضعت هذا الكتاب على أسلوب أهل الحديث والإتقان ، ولم أرسمه كيف اتفق ، ولا على أي وضع كان) (٥) .

والثانية : اصطفاؤه الأحداث والمادة العلمية التي ضمنها تلك التراجم المنتقاة . وفي ذلك يقول : (ومما اصطلحت عليه في هذا الكتاب ، أني مهما وجدته من المكارم لبعض أهل التراجم ، أثبته في ترجمته بالإيراد الجازم ، ومن اشتهرت عنه الديانة ، وذكر عنه شيء مما يخالف الصيانة ، تركت نقله بالكلية ، أو ذكرته بالصيغة التمريضية ، أو نسبته إلى قائله ، وتبرأت من حقه وباطله . ومن ثبت عنه شيء يخل بقبول روايته ، أو اشتهر عنه مايدعو إلى نفي عدالته ، أشرت إلى حاله ، ولم أستقص في التعيين ، أو بينت بعض حاله منسوباً إلى بعض

(١) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٦ .

الناقلين) (١). وبعد أن بينا خطة الغزي في الاصطفاء ، فإننا نقول: إن هذه المشكلة التي واجهها الغزي ليست جديدة ، بل هي قديمة قدم التاريخ نفسه . وهي وإن كانت في صورتها هذه تشكك في التاريخ وتهز يقين المؤرخ ، لكنه يبقى هناك دائماً غاية في « الاصطفاء » ألا وهي الوصول إلى الحقيقة . فإذا ما ابتعد عنها المؤرخ تحقيقاً لمآربه الشخصية ، أو مآرب أسرته،أو قومه أو غير ذلك فإنه حينئذ يصبح لاعلمياً وبعيداً عن الموضوعية والحياد العلمي ، ومجانباً للحق ، ومائلاً إلى أهوائه ونزعاته أو نزعـــات الآخرين . وفي الواقع تبقى موضوعية المؤرخ ، وبنيته الخلقية ، ونظرته للحياة ، هي التي تدفعه دائماً وأبداً للسعي إلى الوصول للحقيقة العلمية في اصطفائه ، تحقيقاً لأشواقه الداخلية نحوها .

والآن إذا ماتابعنا خطونا في الحديث عن التركيب لدى الغزي فإننا نصل إلى تركيبه للمعطيات حول الشخصية التي يترجم لها ، فهو بعد أن يذكر اسم الشخص المترجم ، واسم أبيه ، ولقبه وكنيته ، وما إلى ذلك — كما أسلفنا القول — فإنه يذكر في معظم الأحوال بعد ذلك وظيفة الشخص التي اشتهر بها من بين وظائفه الأخرى كالقاضي والمفتي والباشا والمدرس . . . الخ . ويذكر أيضاً مذهبه « شافعي أو حنفي أو مالكي أو حنبلي » وبعد ذلك يتعرض إلى ذكر بلده الذي ينسب إليه ، ثم البلد الذي عاش فيه — إن عرف ذلك — ثم يأتي على ذكر مولده — إن عرفه — وهذا يعني أنه يعطي معلومات مكثفة عن المترجم له في صدر ترجمته تعرف الإنسان به ، ثم بعد ذلك تختلف تفاصيل كل ترجمة تبعاً لنوع وظيفة صاحبها أو عمله . فتراجم العلماء

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧ .

مثلاً – وهم يشكلون الأكثرية الساحقة لكتابيه – (فأكثر ماتحويه تفاصيل تراجمهم قصص تربيتهم ، والشيوخ الذين درسوهم ، والأماكن التي زاروها ، وبعض الأحاديث التي رووها ، وذكر المدارس والبقاع التي درّسوا بها ، وبعض مؤلفاتهم التي اشتهروا بها . أمـا تراجم الشعراء والأدباء ، فتهتم بالقصص الطريفة عن حياتهم ، وبعض منجزاتهم الشعرية والأدبية) (١) . أما السلاطين والباشوات والقضاة والمتولون وغيرهم ، فإن تفاصيل تراجمهم غالباً ماتذكر بعض صفاتهم الخلقية ، والأماكن التي تولوها وبعض الأحداث الهامة التي وقعت في عهدهم ، إلى غير ذلك من الأمور . وينهي الغزي بعد ذلك تراجمه عادة بذكر وفياتهم ، وأماكن دفنهم في أكثر الأحيان ، وعن ذلك يقول : (وأحدد وقت الميلاد والوفاة في الغالب ، وقد لاأظفر بتحديد ذلك فأقربه بعبارات تناسب . وما وجدته في هذا الكتاب من تحديد المواليد والوفيات ، مما يخالف كلام الغير ، فاعتمده فاني حققته عن الثقات) (٢) . ولا يخلو كلام الغزي ، عن تحديد المواليد والوفيات من مبالغة ، فهو قد أخطأ في تحديد مواليد ووفيات عدد من الأشخاص الذين ترجم لهم في كتابيه .

وخلاصة القول : إن تركيب الغزي للمعلومات والتفاصيل التي تدور حول كل شخصية مركزة ودقيقة وشاملة إلى حد ما ، بحيث إن حذف بعض المعطيات منها قد يؤثر على الصورة التي يرسمها للمترجم لـه .

---

(١) انظر : علم التاريخ عند المسلمين : ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٧ .

وإذا ماتابعنا سيرنا في بحث عملية التركيب التاريخي ، فإننا نصل في النهاية إلى أهم مرحلة فيها ألا وهي « التعليل » — أي البحث عن أسباب الوقائع ومسبباتها ، وتفسيرها تفسيراً علمياً ، وإيضاحها للناس . وفي الواقع ، لن نجد عند الغزي تعليلاً للأحداث والوقائع حسب التفسيرات الحديثة المختلفة : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . . . الخ . بل نلمح عنده بعض التعليلات التي تمر عرضاً ، وبصورة عفوية ، في خلال وصفه لسير بعض الأشخاص الذين يترجم لهم ، بحيث نستطيع بواسطتها تلمس عمق نظرته أحياناً إلى الأحداث والوقائع ، وبحثه عن أسبابها ومسبباتها ، ومدى ترابطها . أو بالعكس من ذلك ضحالة نظرته وسطحيتها . وفي الواقع ، إن بعض التعليلات التي أوردها تشعر المرء بأهمية التعليل عنده ، فمثلاً على ذلك : واقعة القبض على الأمير محمد بن منجك ، واعتقاله المسمى في ذلك العصر بـ « الترسيم » فإن الغزي يذهب إلى أن سبب اعتقال هذا الأمير ليس هو السبب الظاهري الذي أشاعته الدولة عنه ، بل هو يكمن خلف ذلك. والسبب الحقيقي ، في رأيه ، هو أنه من أتباع الصدر الأعظم سنان باشا وابنه محمد باشا ، اللذين كانا سابقاً واليين على دمشق ، وغضبت عليهما الدولة في تلك الفترة من الزمن (١) . بينما لايذكر المؤرخ المعاصر له ، وهو شرف الدين موسى الأنصاري في كتابه « نزهة الخاطر » إلا السبب الظاهري ، وهو أن مالاً كان متبقياً عليه بعد توليته السابقة للتكية السليمانية ، ومقداره ثلاث وأربعون ألف سلطاني (٢) . أما عدم تعمق الغزي في التعليل

---

(١) انظر : لطف السمر : ص ٧١٦ .

(٢) انظر : نزهة الخاطر : ق ٣٨٧ ب .

فيبدو في عدة مجالات ، وعلى سبيل المثال مافسر به سقوط الدولة المملوكية ، فقد جعل من الحادثة الأخلاقية التي أمر السلطان قانصوه الغوري لأجلها بضرب بعض العلماء حتى الموت ، وأمره بشنق بعض المتهمين بالحادثة ، وعزله لقضاته الأربعة ، سبباً في زوال الدولة المملوكية ، وانحلال أمرها ، إذ قال مانصه (وكانت هذه الواقعة سبباً لتكدر دولة الغورية ، وتبادل (كذا في الأصل ولعل الصواب : وتبادر) انحلال ملكه ، حتى قتل بعد سنتين بمرج دابق) (١) .
فهو هنا لم ينفذ إلى الأسباب الحقيقية التي أدت إلى سقوط الدولة المملوكية ، كالأسباب الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، من تدهور في الأحوال الاقتصادية في الدولة ، وانحطاط الجيش المملوكي ، وانحلال أنظمته ، والصراعات السياسية بين المماليك ، وتذمر الرعية (٢) . . . الخ ، بل عزاه ضمناً إلى سبب ميتافيزيقي قد يكون عقاب الله للغوري على فعلته مع العلماء الذين هم ورثة الأنبياء كما أسلفنا . وقد كان لإيمان الغزي بالكرامات ، واهتمامه بها أثر كبير في ضعف التعليل العلمي العقلاني عنده ، فعلى الرغم من بعض التعليلات والتفسيرات العقلانية هنا وهناك إلا أن التعليل الغيبي — الميتافيزيقي هو الغالب لديه ، فقد فسر مثلاً اكتشافه عقرباً كبيرة تحت وسادته ، تفسيراً غيبياً — ميتافيزقياً ، إذ ربطه بزيارة أحد معارفه العلماء الأتقياء ، وعد ذلك كرامة له . وفي ذلك يقول : (وزارني — يقصد موسى السندي — (٣) في منزلة ذات حج (٤) في أوائل صفر

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ١١٤ .
(٢) راجع تلك العوامل في « بلاد الشام ومصر » : ص ١٩ — ٢٤ .
(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٦٨) .
(٤) انظر عنها : المصدر نفسه : ص ٣٠٥ ح ٢ .

سنة إحدى عشرة ، وكنت قد اضطجعت للقائلة ، وكنت حريصاً عليها لقرب الرحيل ، وتعذر النوم في المسير . فزارني ولم يغلب علي النوم ، وأنا مسجى برداء ، فلم أنهض له إيذاناً بأني نائم ، وقلت في نفسي : يجلس ثم يقوم من عندنا في شأنه) وبعد ذلك يتابع حديثه قائلاً : (فقلت في نفسي : أما تستحي من الله تعالى أن رجلاً صالحاً يزورك في الله ، ولاينال غرضاً من زيارتك ؟ أي جفاء فوق هذا ؟ فقعدت وسلمت عليه ، ورفعت الوسادة ، فإذا تحتها عقرب كبيرة ، فقتلناها . وعلمت أن ذلك كرامة لذلك الرجل .) (١) . وفي الواقع أثرت تربية الغزي الدينية في هذا الاتجاه في التعليل لديه ، بل في مجموع بنيته الفكرية ، وما كان في ذلك إلا ابن مجتمعه وبيئته .

وخلاصة القول يتبين للباحث من العرض السابق لمنهجية البحث التاريخي لدى الغزي ، وضوح رؤياه التاريخية ، ونمو إحساسه الزمني ، في بحثه عن تاريخ ولادة كل شخصية ووفاتها ،وتتبعه لذلك على الرغم من بعض السهو هنا وهناك ، على نقيض المؤرخ المعاصر له ، وهو البوريني الذي يذكر تاريخ الولادة أو الوفاة إن تحقق من ذلك ، وإلا فإنه يهملهما(٢) . كما يتجلى إحساسه الزمني أيضاً في تقسيمه الفترة الزمنية التي يتحدث عنها إلى فترات . أما نمو إحساسه المكاني ، فيمكن أن يلاحظه المرء في تحديده لمواقع الأمكنة القريبة منه بدقة كالمدارس والمساجد في دمشق مثلاً ، إذ يقول عن المدرسة البادرائية أنها (داخل بابي السلامة والفراديس) (٣) و (المدرسة الحجازية بسوق الجوخ ، بالقرب من باب البريد) (٤) . وغيرهما .

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٧٤ .
(٢) انظر : تراجم الأعيان : ج ١ ، ص ٤ .
(٣) انظر : لطف السمر : ص ٢٩ .
(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٧٠ .

أسلوبه :

إن المتتبع لأسلوب الغزي في تراجمه يرى بأنه يتناسب مع الموضوع الذي اختاره ، فنلاحظ أن صياغته التعبيرية مختصرة إلى حد ما ، لاتميل إلى التطويل الممل ، ولا الاختصار المخل . ويحدثنا عن ذلك بقوله : (إنه سلك مسلكاً متوسطاً بين طريقتي الإيجاز والإطناب) ، لأنه على حد تعبيره (أقرب لتناول المقتصدين ، وأنفع لمن يريد الكشف عن أحوال المترجمين) (١) . ولقد صاغ معطياته ، على الأغلب ، وهو الدارس للغة العربية وعلومها ، والمالك لناصيتها ، والشاعر الأديب ، بأسلوب واضح إلى حد كبير ، يؤدي الحقيقة بدقة ، ودون تحريف . وأسلوبه ليس أسلوباً أدبياً بليغاً في الواقع كأسلوب البوريني ، إلا أنه يتمشى مع الكتابة التاريخية ، فهو لم يغرق في الصنعة البديعية التي شغف بها كتاب ذلك العصر ، والعصور التي سبقته كمعاصره شهاب الدين أحمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م مثلاً (٢) ، وإنما استخدم أسلوب الكتابة العادي ، الذي يجري فيه القلم على سجيته بلا تكلف . ففي الغالبية العظمى من تراجمه لانجد أثراً للصنعة البديعية ، ولكن قد نجدها في بعض التراجم التي تحتمل ذلك كترجمة مصطفى ابن تنكز (٣) ، الذي استخدم فيها السجع مثلاً ، مظهراً قدرته التامة على امتلاكه ، وخاصة في وصف مجلس إنشاده في أحد البساتين ، مما يدل على إحساس موسيقي رفيع ومرهف لديه (٤) .

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص ٥ .

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٣٣١ . وانظر مؤلفاته التي نذكر منها : ريحانة الألبا ، وخبايا الزوايا .

(٣) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٢٦٤) .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٦٦٣ — ٦٦٦ .

وقد استعمل الغزي بعض المفردات والألفاظ والاصطلاحات التركية والفارسية الشائعة في عصره ، مما دفع ببعض نقاده المعاصرين لنا إلى اعتبار دخول هذه الألفاظ والمفردات دلالة على ركاكة أسلوب رجال ذلك العصر ، ومنهم الغزي ، ومن هؤلاء النقاد نذكر بشر فارس الذي قال معلقاً على كتاب « الكواكب السائرة » (ومن فوائده — أي فوائد الكواكب السائرة — أيضاً ، أنه يبذل لنا صورة من أسلوب الإنشاء في ذلك العصر ، وهو في الجملة ركيك قد داخلته ألفاظ عامية وأعجمية) (١) . وفي الحقيقة قد يكون استعمال الغزي لتلك المفردات ، لأنه لم يجد مفردات عربية تؤدي معناها الاصطلاحي بدقة ، فماذا يضع من كلمة تؤدي معنى التيمار مثلاً ؟ أو لأن تلك المصطلحات قد انتشرت في المجتمع العربي الشامي آنذاك انتشاراً أصبح من العسير معه استخدام غيرها لأداء المعنى المطلوب بدقة ، وحتى يفهمها القارىء . ومن هذه المفردات التي استعملها نذكر « الينكجرية » و « الخواجا » و « التيمار » و « الدانشمندية » وغيرها . إلا أن هذا لايمنع من ملاحظة بعض ركاكة في الأسلوب هنا وهناك ، لاتؤدى الحقيقة خلاله بجلاء ، أشرنا إلى بعضه خلال التحقيق . وبالإضافة إلى هذا ، فإن الغزي قد وقع في بعض الهنات النحوية ، كقوله مثلاً : (توفي سنة اثنين . . .) عوضاً عن (اثنتين) وغيرها ، وهي هنات قليلة ، لايمكن التعميم منها بوصف أسلوب الغزي بالضعف والركاكة . ذلك لأن المطلع على مؤلفاته العديدة ، يجد مقدرة في استخدامه اللغة ، وتمالكه لناصيتها سواء في نثره أو شعره . وإذا ما تبدت الركاكة — كما أسلفنا — في

(١) انظر : الكاتب المصري : ص ٧٤٠ .

بعض التراجم أو جوانبها ، فقد يرجع هذا إلى سرعة الكتابة ، وعدم التنقيح لقلة توافر الوقت لديه ، لتهذيب ماكتب من كتب كثيرة ، وفي مجالات عديدة . أما مايقال عن الضعف العام الذي أصاب اللغة والأسلوب ، لعدم استخدامها لغة رسمية في الدولة ، ولانتشار اللغة التركية بين صفوف المثقفين ، فقد يكون لهذا الأمر أثره ، إلا أنه يبقى ضعيفاً عند المتملكين لناصية اللغة العربية ، والدارسين للتراث العربي الإسلامي ، والحافظين للقرآن الكريم ، ومنهم الغزي .

ويمكن القول إن العرض عند الغزي يتسم على العموم بالتقرير للحقائق التاريخية ووصفها ، وقلما يستخدم فيها طريقة الحوار مع القارىء ، هذه الطريقة التي تجعل من الصورة المقدمة حية متحركة ، وإن كان يلونها بين آن وآخر بقصة أو ملحة .

ويجب ألا يغفل عند الحديث عن العرض والأسلوب ، إدخال الغزي الشعر بغزارة في تراجمه ، سواء أكان له ، أو للمترجم ، أو لغيره ، وذلك على عادة مؤرخي ذلك العصر والعصور التي سبقته ، بل يمكن القول : إن التاريخ العربي نشأ والشعر جزء من مقومات العرض فيه . وهو وإن كان يضفي أحياناً بعض الحياة على الأسلوب والترجمة نفسها ، إلا أنه يكون بتراً أحياناً في تسلسل الفكرة التاريخية ، ونقلاً من حقيقة وصفية إلى خيال ، ماعدا اللهم الشعر ذو الطابع التاريخي الذي يصف حادثة أو شخصية وصفاً حقيقياً ودقيقاً ، كشعر الغزي في كيوان الطاغية ، وحسن باشا المعروف بشوربزي حسن ، ويوسف بن كريم الدين وغيرهم .

وخلاصة القول إن الغزي ابن عصره في كثير من مجالات الفكر والحياة والأسلوب . فإذا ماقيس بالنسبة لذلك العصر أو الذي سبقه ، فإنه مما لاشك فيه بأنه مؤرخ موسوعي الثقافة ، سعى جهده ماستطاع إلى ذلك سبيلاً ، للوصول إلى الحقيقة (١) . وبهذا الهدف والمسعى خلف لنا وللمكتبة العربية إنتاجاً ثراً يقدم بإخلاص وأمانة ماكان يجول في ذاته : وفي المجتمع من أحداث ووقائع ، وبذلك كان مورداً تاريخياً غنياً لنا ، يمكن استقاء معلومات وافية ، وأقرب ماتكون إلى الحقيقة عن عصره الذي مازال حتى الآن محاطاً بكثير من الضباب والغموض .

* * *

(١) أما إذا قيس الغزي بمعايير عصرنا فإنه لا يعدو كونه سيرياً إخبارياً فقط .

الفصل الثاني

وصف النسخ المخطوطة ومنهج التحقيق ومحتوى الكتاب

تمكنت بعد جهد من الوقوف على ثمان نسخ مخطوطة لهذا الكتاب هي :

١ — مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

٢ — مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام « عارف حكمت » بالمدينة المنورة .

٣ — مخطوطتان في دار الكتب المصرية .

٤ — مخطوطة المكتبة التيمورية .

٥ — مخطوطة (رامبور Rampur) في الهند .

٦ — مخطوطة شستر بيتي في دبلن عاصمة ارلندة .

٧ — مخطوطة طوب قابو سراي في استانبول .

١ . نسخة الظاهرية :

هذه المخطوطة محفوظة بـ « المكتبة الظاهرية » بدمشق ، وهي مسجلة فيها تحت الرقم (٤١ / تاريخ) و (عام — ٣٤٠٦) . وهي نسخة تامة تقريباً لاتنقصها إلا ترجمتين اثنتين هما : ترجمة « محمد بن التنوري الميداني »(١)، التي أشير إليها في الفهرس الوارد في أول المخطوطة ، إلا أنها لم ترد في متن المخطوطة، وترجمة « حسين المنداوي الصفوري »

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم ٥٦

التي أشير إلى أول كلمة منها وترك مكان الترجمة فارغاً . وهذه النسخة مجموعة في مجلد واحد مع كتاب « الكواكب السائرة » بأجزائه الثلاثة ، وتأتي بعد خاتمة جزئه الثالث ، وقد جاء ترقيمها مسلسلاً مع « الكواكب » من (ق ١٦٦ب وحتى ق٢١٧ آ) ماعدا اللوحات الخمس الأولى التي جاء ترقيمها منفرداً هكذا : ق ١ ، ق ٢ ، الخ . . . ومن الواحد . فهي تقع إذاً في (٥١) ورقة، وورقها من النوع الجيد الذي لايزال بحالة حسنة ، وقياس الورقة كبير نسبياً (٣١ × ٢٠,٧) سم . والقسم المكتوب بطول (٢٤) سم وعرض (١١,٥) سم ، وعدد السطور في كل صفحة منها (٤٥) سطراً ، لاتزيد ولا تنقص ، إلا إذا ترك الناسخ فراغاً للدلالة على البياض الموجود في النسخة التي ينقل عنها . ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٨) كلمة ، قلما تقل عن (١٥) كلمة ، أو تزيد عن (٢٠) كلمة ، باستثناء الشعر الذي وضع الناسخ كل ثلاثة أشطر منه في سطر واحد على الأغلب ، ونادراً ماوضع شطرين أوأربعة أشطر فيه . وكان يضع بين كل شطر وآخر نقطة حمراء . والمخطوطة مكتوبة بخط رقعي عادي .

وتمت كتابة هذه النسخة في ١٣ صفر سنة ١١٦٢ هـ / ٣ شباط ١٧٤٩م بيد « محمد بن عبد اللطيف الحنبلي « الذي لاندري الكثير عنه، إلا أننا وجدنا اسمه بصفته ناسخاً على مخطوطة أخرى في المكتبة الظاهرية، وبخطه نفسه ، هي مخطوطة « الجد الحثيث في بيان ماليس بحديث » لمؤلفها « أحمد بن عبد الكريم الغزي » المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م . وهي نسخة جيدة كتبها الناسخ المذكور في سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥م(١) .

(١) انظر : محمد ناصر الدين الألباني ، المنتخب من مخطوطات الحديث (الموجودة بالمكتبة الظاهرية) دمشق ١٩٧٠ م : ص ٣٢٧ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : المنتخب .

وهذا يدل على أنه كان متقدماً في السن عندما نسخ « الكواكب السائرة » و « لطف السمر » ، ويبدو أن صنعته كانت النسخ . وكأني بالناسخ كان يريد الاقتصاد في الورق ما أمكنه ذلك ، فكتب الكلمات متقاربة جداً ، حتى لتكاد تلتصق ببعضها ، كما دون الشعر كل ثلاثة أشطر في سطر واحد .

ويوجد في النسخة بياض في بعض المواضع أشرنا إليه في مكانه ، كالبياض الوارد في ترجمة « محمد بن فواز » (١) وكأنه ترك ذلك الفراغ مكاناً لبعض المعلومات التي قد يحصل عليها ، ليعود فيملأه بعد استكمالها .

وتتميز هذه النسخة بكتابة أسماء الأعلام في الهامش ، كل إلى جانب ترجمته ، بالإضافة إلى كتابتها في صدر الترجمة باللون الأحمر ، إلا فيما ندر . وهي تهمل علامات الترقيم إلا لداع بياني كالسجع ، أو انتهاء الجملة أو الفقرة . وغالباً مايشير الناسخ إلى بداية الفقرة الجديدة بوضع خط قصير أحمر فوق أول كلمة منها . وقد تفردت هذه النسخة بوضع فهرس للتراجم في أولها استغرق ثلاث صفحات ، وقد أعطى الناسخ لكل ترجمة في هذا الفهرس رقماً ،

وقد احتفظت هذه المخطوطة بالورقة الأولى منها ، وهي تحمل على وجهها الأول عنوان الكتاب مكتوباً بالخط النسخي العادي ، وقد ورد على الصورة التالية :

(كتاب ذيل الكواكب السائرة ، بمناقب أعيان المائة العاشرة المسمى

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر ، برقم (٥٧) .

لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر . تأليف الشيخ العلامة نجم الدين محمد بن بدر الدين ابن رضي الدين محمد بن رضي الدين محمد أيضاً ابن أحمد الغزي العامري الشافعي الدمشقي ، تغمده الله برحمته . آمين) .

ويبدأ نص المخطوطة بما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي . الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه ، القابض على كل عبد من عباده بعد استيفاء عمله . . . .) . وينهيها فجأة بأبيات من قصيدة طويلة له ، دون أن يشير إلى تاريخ فراغه من تأليفه ، على عادة المؤلفين في ذلك العصر . وآخر بيت في القصيدة يختم هذه النسخة هو :

« فهل ترى ما قد مضى مغنياً   عنك فتيلاً أيها المسرف» .

ويأتي الناسخ ليسطر أسفل الأبيات مايلي : (وقد وافق الفراغ من كتابة هذا الذيل المبارك ليلة الأحد ثالث عشر صفر الخير سنة اثنتين وستين ومائة وألف ، على يد العبد الضعيف محمد بن عبد اللطيف الحنبلي . غفر الله تعالى له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين أجمعين . آمين . ام) . وإلى الجهة اليسرى من اللوحة الأخيرة المذكورة يوجد ختم والي دمشق عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م ،ثم ختم المكتبة الظاهرية وسكه (المكتبة العمومية بدمشق الشام) . وفي أسفل ذلك مايلي : (نسخه محمد كامل السمسمية) ثم (قد اطلع فيه الفقير إلى ربه عبد الفتاح بن السيد الشريف عبدالله بن الشريف عبد الرحيم الخطيب القادري الحسني ، غفر له ، آمين) . ثم (نسخة الفقير إلى الله هاشم أحمد الخطيب) . ثم أيضاً (قد تشرف بالنظر لهذا الكتاب المبارك ، وطالع فيه خادم معالي العلماء محمود بن صالح الخطيب القادري الحسني ، رضي عنهما الملك الغني . آمين) .

وهذه النسخة أوقفها الحاج محمد باشا ، والي الشام بسنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ م على طلبة العلوم ، وشرط ألا يخرج هذا الكتاب من مكانه إلا لمراجعته (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الناسخ سار في كل من كتابي « الكواكب السائرة » و « لطف السمر » على إملاء واحد ، نلخصه محقق « الكواكب السائرة » بقوله (ومن خصائصها — أي مخطوطة الكواكب السائرة ، ومخطوطة الذيل المجموعتين في مجلد واحد ، بقلم الناسخ المذكور كما أسلفنا أن الناسخ حين يثبت الهمزة يثبتها في موضعها ، أو قرب رأس الألف فوق الحرف السابق لها في أغلب الأحيان ، فنشأ مثلاً يكتبها هكذا : نشـئا ، ولم تهمل كتابة الهمزة إلا في بعض الأسماء المنسوبة مثل : علائي (يكتبها : علاى) والمخففة مثل : وفا بدل (وفاء) ، أو يبدلها الناسخ أحياناً بمدة في مثل : قضاء يكتبها : قضآ ، ويخففها بياء في أكثر الكلمات التي تقع فيها الهمزة مكسورة الحركة مثل : فائق ، وطوائف ، وحقائق ، وشرائع فيكتبها : فايق ، وطوايف ، وحقايق،وشرايع) (٢) . (وأكثر — أي الناسخ — من

---

(١) انظر ، الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : و — مقدمة . وانظر أيضاً : الورقة الأولى من مخطوط الكواكب السائرة في الظاهرية ، تحت الرقم (عام — ٣٤٠٦) ، ق ١ آ ، والتي يشمل الوقف فيها الذيل أيضاً ، وقد جاء فيها بعد عبارة الوقف ، وخاتم الوالي المشار إليه أعلاه ، وخاتم المكتبة الظاهرية ماصورته باللون الأحمر (نظر فيه ونسخة محمد صادق فهمي ابن السيد أمين المالح . غفرالله لهما وللمسلمين ، سنة ١٣٢٧ هـ) وباللون الأسود أسفل منها (١٣٣٩ هـ مرة ثانية) . ثم جاء أسفل ذلك باللون الأحمر (نظر فيه ونسخه محمد كامل ابن السيد محمد السمسمية الحسيني ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا لهم بالخير ، ولجميع المسلمين . في شهر شوال سنة ١٣٥٦ هجرية) .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : و — مقدمة .

استعمال الحركات لاسيما في الشعر ، وكثيراً ما يضع ضمة فوق الحرف الذي يسبق الواو كـ «محمُود ، وأبُو العباس ، وذُو» ، ويضع خطاً بطول ثلث سنتمتر أو أكثر - بالحبر الأحمر - فوق بعض الكلمات التي تقع أول العبارات مثل : ثم ، وكان ، وقال . وهو يثبت نقطاً للياء الأخيرة ، وللألف المقصورة في أغلب الأحيان) (١) . كما أنه كان يكتب بعض الكلمات بصورة واحدة إلا ما ندر مثل : اسماعيل ، والقاسم ، ومعاوية ، وتعالى . يكتبها : اسمعيل،والقسم ، ومعوية، وتعـآ .

(ومن خصائص هذه النسخة أيضاً : أن دعاء الرحمة فيها على الميت هو عبارة : « رحمة الله تعالى ») (٢) وقد يزيد عليه أحياناً كلمتي (رحمة واسعة) ونادراً مايقتصر على (رحمه الله) وحدها . وفي بعض الحالات النادرة نلاحظ أن المؤلف لاينهي الترجمة بهذا الدعاء ، وقد يكون ذلك لاشتهار صاحبها بالظلم والعدوان ، ومجانبة العدل والإنصاف مثلاً ، كتراجم « كنعان بن عبدالله » البلوك باشي ذات الرقم (٢٤٩) و « كيوان الطاغية » ذات الرقم (٢٥٠) ، و « يوسف بن كريم الدين » وهي آخر ترجمة وغيرها .

وفي الواقع فإننا اعتمدنا هذه المخطوطة في التحقيق ، لأنها تؤلف النسخة الكاملة للكتاب ، ماعدا الترجمتين الساقطتين منها ، والتي سبقت الإشارة إليهما آنفــاً . وقد اســتدركنا الأولى من النسخة الثانية

(١) المصدر نفسه : ج ١ ، ص : و - مقدمة .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص : و - مقدمة .

وهي مخطوطة المدينــة المنورة وأثبتناها في موضعهــا ، وألحقنا الثــانية بالاستدراكات لتأخر وصول نســخة طوب قابي سراي التي استدركناها منها . . وقد رمزنا إلى هذه المخطوطة أثناء التحقيق بالرمز (ظ) .

* * *

٢ ـ نسخة المدينة المنورة :

في مكتبة « شيخ الاسلام عارف حكمت» بالمدينة المنورة،مسجلة فيها تحت الرقم (٥٤٩ / تاريخ) . ولدى « معهد إحياء المخطوطات العربية » نسخة مصورة عنها ومسجلة فيه تحت الرقم (١١٩٢ / تاريخ) . وقد حصلنا على مصورة عنها (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ عمر رضا كحالة قد ذكر في كتابه « المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة » وجود مخطوطة لكتاب « لطف السمر » . وصفحاتها (٢٢٨) صفحة . في مكتبة « شيخ الاسلام عارف حكمت » بالمدينة المنورة أيضاً ، إنما تحت الرقم (٢٠٣ / تاريخ) (٢) . فسعينا إلى مراسلة المكتبة المذكورة لتصوير هذه المخطوطة علّها تكون غير النسخة المصورة من قبل معهد المخطوطات

---

(١) انظر : فؤاد سيد ، فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٢٥٢ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : فهرس المخطوطات المصورة .

(٢) انظر : عمر رضا كحالة ، المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة ، دمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م : ص ٨١ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : كحالة ، المنتخب .

المصورة » ولما لم يصلنا أي جواب عمدنا إلى مراسلة بعض المعارف هناك ليتم تصويرها أو وصفها ، وقد ذكر لنا أخيراً وجود مصورة عنها في (مكتبة الرياض) تحت الرقم (ف ١٠) ، وعن هذه المصورة استطعنا الحصول على مصورة ، ولما قابلنا ما جاء فيها مع النسخة الأولى وجدنا أن النسختين عبارة عن نسخة واحدة ، إنما ذكرت بأرقام مختلفة .

وتضم مخطوطة المدينة المنورة ،التي حصلنا عليها من «معهد المخطوطات العربية المصورة » (١١٤) ورقة ، اعتمدنا في وصف مقاسها على ماجاء في « فهرس المخطوطات المصورة » لبعد الأصل عنا ، وعدم تمكننا من الاطلاع عليه . فقد جاء فيه أن مقياس الورقة (١٥ × ٢٢ سم) (١) . وتحتوي كل صفحة (٢٧) سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٠) كلمات . والعدد لا يزيد عن اثنتي عشرة ولا يقل عن ثماني إلا في القليل النادر ، باستثناء الشعر الذي كتبه الناسخ كل شطرين من البيت في سطر واحد بخلاف مخطوطة الظاهرية . وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي جميل متقن ، معروف وسائد في القرن الثاني عشر الهجري ، وقد بدا أكثر وضوحاً من خط مخطوطة الظاهرية الرقعي . فالناسخ في هذه المخطوطة لم يكن ، على مايبدو ، يهمه التوفير في الورق والاقتصاد كناسخ الظاهرية بقدر ماكان يهمه وضوح الكلمات وصحتها وإتقان كتابتها .

وناسخ هذه المخطوطة مجهول الهوية ، فهو لم يشر إلى اسمه في آخر المخطوطة على عادة النساخ ، ولعل السبب في ذلك هو عدم إتمامه

(١) انظر : فهرس المخطوطات المصورة : ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

لها : فقد ترك ترجمة كاملة هي الأخيرة دون تدوين ، وكذلك حوالي نصف الترجمة التي قبلها تقريباً ، ولأسباب غير معروفة . وهي بالتأكيد ليست نتيجة نقص في الورق ، فهناك ورقات بيضاء فائضة في آخرها ، بل إن الناسخ ترك نصف الصفحة الأخيرة بدون كتابة وقد يكون السبب سفراً مفاجئاً عرض له أو وفاة أو غير ذلك .

فهذه النسخة كاملة إذاً ماعدا الترجمة الأخيرة ونصف التي قبلها كما أسلفنا القول ، بالاضافة إلى سقوط ثلاث تراجم منها هي ترجمة «حاتم بن أحمد» (١) ، وترجمة «صالح بن أحمد الرملي» (٢) وترجمة «حسين المنداوي الصفوري» (٣) . وقد خلت أوراقها من الترقيم ، واستعاض الناسخ عنه بالتزام التعقيب في آخر الصفحات ، حيث يكتب أول كلمة من الصفحة التي تليها ، جرياً على عادة السلف في ضبط التتابع في القرآن الكريم وفي تدوين المخطوطات العربية القديمة . ويوجد فيها بياض في بعض مواضع منها ، يتفق مع البياض الوارد في نسخة الظاهرية ، إلا أنه قد يختلف عنه أحياناً في الحجم ، على ماسنذكره في حينه .

ولم يكتب الناسخ أسماء الأعلام في الهامش كما فعل ناسخ الظاهرية ، بل اكتفى بكتابة صدر الترجمة بخط أكبر بقليل من خط المتن ، وبصفة خاصة في اسم صاحب الترجمة واسم أبيه ، وإذا لم يعرف اسم أبيه فنسبته . وينهي كل ترجمة بوضع دائرة منقوطة هكذا(٠) قد تكون نوناً ، مشيراً بذلك إلى الحرف الأول من كلمة (نهاية) .

---

(١) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (١٣٨) .

(٢) انظر ترجمته في المصدر نفسه برقم (١٧٢) .

(٣) انظر ترجمته في الاستدراكات .

كما يبدأ كل ترجمة من أول السطر ، مما يتيح للقارىء معرفة بداية الترجمة ونهايتها بسهولة .

ويهمل الناسخ علامات الترقيم إلا لداع بياني كالسجع ، ويثبت نقطاً للياء الأخيرة والألف المقصورة في أغلب الأحيان ، إلا أنه يخفف الهمزة في أكثر الكلمات التي تقع فيها الهمزة مكسورة الحركة مثل : الفائق ، الخلائق ، السائرة ، أئمة . . . يكتبها : الفايق ، الخلايق ، السايرة ، أيمة . . والكلمات التي تقع الهمزة فيها مضمومة أو الحرف الذي قبلها مضموماً مثل : المؤرخين ، مؤلف ، يؤمل . . يكتبها : المورخين ، مولف ، يومل . . . شأنه في ذلك شأن ناسخ مخطوطة الظاهرية ، كما يحذفها أحياناً من أواخر بعض الكلمات ، ويثبتها في بعضها الآخر مثل : الأربعاء ، الثلاثاء ، قضاء ، قباء ، وفاء . . . يكتبها : الأربعا ، الثلا ثا ، قضا ، قبا ، وفا . . .

وتحوي الورقة الأولى من المخطوطة ، على وجهها الأول مايلي :

١ — العنوان ، وقد جاء على الشكل الآتي : (كتاب الذيل للمرحوم النجم الغزي ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته . ام) . وهو مكتوب بالخط النسخي .

٢ — ذكر اسم مستصحب المخطوطة وصاحبها ، فقد سطر : (استصحبه محمد خيري ابن السيد محيي ، غفر الله لهما . م (من) كتب السيد مسعود المدرس . (أعقبها كلمات غير مفهومة) ثم توقيعه . وفي أسفل ذلك (غفر له . سنة ١٢٢١ هـ) / ١٨٠٦ م .

٣ — طرة كبيرة تحتوي على وقف المخطوطة ، وقد استطعنا قراءة الكلمات التالية منها في المصورة :(من وقف العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ، من ذرية الرسول الكريم ،عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ،بشرط أن لايخرج عن خزانته ، والمؤمن محمول على أمانته ، ١٢٢٦) .

وتبتدىء هذه المخطوطة بما ابتدأت به مخطوطة الظاهرية (١) ، وتنتهي بما يلي من ترجمة « يوسف بن مكتوم » التي لم يتمها الناسخ : (وكان يتظاهر بمحبة النساء ، لكنه لم يعهد عليه سوء ، وإنما كان يتشوق إليهن حلالاً لوتيسرن . وتزوج في دمشق ولم يولد له . وكان ساكنا عند الشيخ يوسف) . وقد وضع في نهاية النصف الأسفل من الصفحة ، الذي لم يتمه الناسخ ، وفي الوسط ، طرة تحتوي على وقف المخطوطة المشار إليه في الورقة الأولى .

وبمقارنة ظاهر هذه النسخة مع ظاهر نسخة الظاهرية يلاحظ مايلي :

١ — أن ناسخ مخطوطة المدينة المنورة قد نسخ الذيل كتاباً مستقلاً عن كتاب « الكواكب السائرة » ، بينما ضم ناسخ مخطوطة الظاهرية « الذيل » مع « الكواكب » في مجلد واحد كما ألمعنا آنفاً .

٢ — لايوجد فهرس لهذه النسخة ، ولم تكتب أسماء الأعلام في الهامش المقابل للترجمة كما في مخطوطة الظاهرية ، مما يغلب على الظن : أن ناسخ الظاهرية هو الذي أضاف ذلك ، أو أنه نقله من أصل مفهرس ومعنون هو غير الذي نقله عنه ناسخ مخطوطة المدينة المنورة .

---

(١) انظر : ص ١٥٦ من هذه المقدمة .

٣ – تتضمن ترجمة « محمد التنوري الميداني » التي أشار إليها ناسخ مخطوطة الظاهرية في فهرسه ، مما قد يدل على أن ناسخ مخطوطة الظاهرية قد أخذ الفهرس من الأصل الذي ينسخ عنه ، وليس من النسخة التي كتبها .

٤ – هناك اختلاف بسيط في ترتيب بعض التراجم ، فهناك تقديم وتأخير ، لايتعدى بضعة تراجم ، أشرنا إليه في موضعه عند التحقيق .

٥ – فيها ترجمة مكررة مرتين ، وهي ترجمة « محمد بن بيري » ذات الرقم (٣٤) .

٦ – يوجد بها بياض مقداره صفحتان في ترجمة « تاج الدين عبد الوهاب القطان الحموي » ذات الرقم (٢١٤) . بينما مقداره سطران في نسخة الظاهرية .

٧ – استدراك ناسخ الأماكن السهو والسقط التي وقع بها ناسخ مخطوطة الظاهرية ، ووقوعه بالمقابل بسهو وسقط آخرين ، مما يتيح للمحقق استدراك الثغرات التي وقع بها أحد الناسخين .

٨ – يضع ناسخ مخطوطة المدينة المنورة النقط على الحروف منفصلة عن بعضها البعض كالنقطتين والثلاث بينما يضعها ناسخ الظاهرية متصلة : فالنقطتان يرسمهما على شكل خط أفقي صغير ، والنقاط الثلاث بخط أفقي صغير وفوقه نقطة . وأحياناً يصغر طول النقطتين ، فتبدوان كالنقطة الواحدة أو يطيل النقطة الواحدة قليلاً فتبدو كالنقطتين المتصلتين ، مما يوقع القارىء ببعض الالتباس في قراءة بعض الكلمات ، بينما تبدو الحروف مع نقاطها أكثر وضوحاً في نسخة المدينة . وقد

أدى اتصال بعض هذه النقط المثبتة على شكل خط أفقي صغير ببعض الحروف إلى عسر قراءة بعض الكلمات ، وتصحيفها في بعض الأحيان من قبل النساخ، الذين جعلوا من نسخة الظاهرية أصلاً لهم ينسخون عنه . فقد تبدت مثلاً عبارة (القراءة في المصحف) لناسخ مخطوطة دار الكتب المصرية (ج) التي سيأتي وصفها ، بأنها (القاضي المصنف) ، وذلك لإهمال الناسخ لهمزة كلمة (القراءة) على قاعدة التخفيف في كتابتها التي يتبعها من ناحية : ولإلصاق النقاط ببعض الحروف من ناحية ثانية ، ولتصحيفه في الكلمتين التاليتين (في المصحف) ليحدث تناسباً في المعنى بينها وبين الكلمة السابقة لها . كما أن كلمة (الغزي) تراءت له (الغريمي) . بينما أشار محقق « الكواكب السائرة » أن كلمة (الغزي) تراءت لناسخ مخطوطة « الكواكب السائرة » التي تملكها الجامعة الأميركية ببيروت ، والمنقولة بدورها عن نسخة الظاهرية على أنها (الغرسي) (١) .

ولما كانت هذه المخطوطة غير مأخوذة من الأصل الذي أخذت منه « مخطوطة الظاهرية » فقد اعتبرناها « نسخة ثانية » أساسية معتمدة ، ورمزنا لها بحرف (د) . وأجرينا المقابلة بينها وبين نسخة الظاهرية .

* * *

٣ – نسختا دار الكتب المصرية :

آ – نسخة دار الكتب المصرية (ج) :

هذه المخطوطة محفوظة في « دار الكتب المصرية » (٢) بالقاهرة ، ومسجلة فيها تحت الرقم (١٣٤٥ / تاريخ) وقد حصلنا على مصورة

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ١ ، ص : ذ – مقدمة .

(٢) انظر : دار الكتب المصرية : ج ٥ ، ص ٣١٨ .

عنها . ولدى الاطلاع عليها وجدنا أنها نسخة منقولة عن نسخة منقولة بدورها عن مخطوطة الظاهرية ، إذ كتب الناسخ في نهايتها مايلي : (وقد وجد في النسخة المنقول منها هذا الكتاب مانصه في الأصل : « وقد وافق الفراغ من كتابة هذا الذيل المبارك ليلة الأحد ثالث عشر صفر الخير ، سنة اثنتين وستين ومائة وألف ، على يد محمد بن عبد اللطيف الحنبلي . غفر الله له ولوالده وللمسلمين ، آمين » .

كتبت وإني موقن أن راحتي ستفنى ويبقى الخط بعدي بمدة
فيا أيها القاري سألتك دعوة لكاتبه في ظهر غيب برحمة

تــم

بقلم الحقير إلى ربه المانح ، محمد صادق فهمي بن السيد أمين المالح ، المقيم بالمكتبة الظاهرية لأجل النسخ خاصة . غفر الله له ولوالديه ، ولمن تسبب بإيصال الخير إليهما وللمسلمين . وكان الفراغ يوم الخميس ، الخامس والعشرين من جمادى الأولى ، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية . في ٢٥ جماد أول سنة ١٣٣٩ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين والمسلمين . م) (١) .

وجاء في الصفحة التي تليها مايلي : (وقد فرغت من نسخه ليلة الأحد المباركة ، خامس صفر الخير ، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية ، في ٥ صفر سنة ١٣٤٢ « الموافق ١٧ أيلول ١٩٢٣ م » . بقلم كاتبه الفقير عبد الحكيم مصطفى رشوان ، الحنفي المذهب ،

---

(١) يتفق هذا مع ماورد في الورقة الأولى من الكواكب السائرة ، الوجه الأول من اللوحة الأولى ، السالف ذكره في ص ١٥٧ ، ح ١ من هذه المقدمة .

الفيومي المولد ، طالب علم بالقسم الثانوي للأزهر الشريف . ونسخته لذمة دار الكتب الملكية . وهذا الكتاب من « مكتبة أحمد باشا تيمور تحت ١٤٢٠ تاريخ ، وأسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، ويحبب أهل العلم في عبده وابن عبده ، كاتب هذا بخطه وقلمه « عبد الحكيم مصطفى رشوان » الحنفي . غفر الله له ، آمين) . ثم وردت كلمة المدقق للمخطوط على الأصل المنقول عنه ، ثم توقيعه « حبيب » . وفي الجهة اليسرى ، في أسفل الصفحة خاتم دار الكتب المصرية .

وتضم المخطوطة (١٨٦) ورقة ، رقمت ترقيم صفحات فبلغت (٣٧٢) صفحة ، ومتوسط عدد السطور في كل منها (٢١) سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (٩) كلمات ، لايزيد عن (١١) كلمة ولا ينقص عن (٧) كلمات إلا نادراً ، باستثناء الشعر فإن الناسخ كتب كل شطري بيت على سطر واحد .

والمخطوطة مكتوبة بخط نسخي جميل ، وقد أهمل الناسخ علامات الترقيم كأسلافه إلا المداع بياني . وقد قلد الناسخ ناسخ مخطوطة الظاهرية في وضع أسماء الأعلام في الهامش مقابل تراجمهم . إلا أن روح العصر قد طغت عليه ، فيما يبدو ، أو على ناسخ مخطوطة التيمورية التي ينقل عنها ، فقام غالباً باختصار هذه الأسماء ، فمثلاً : محمد بن محمد الداود المقدسي ، ومحمد بن العلمي . . . الخ يكتبها : محمد الداوودي ، ومحمد العلمي . . . وفي بعض الأحيان يبقي الأسماء كما وردت في مخطوطة الظاهرية . ويوجد اختلاف بسيط أحياناً بين مخطوطة الظاهرية وهذه المخطوطة في عبارة الترحيم الواردة في نهاية كل ترجمة تقريباً ، فنجد ناسخ مخطوطة دار الكتب المصرية يزيد من عنده على عبارة (رحمه الله تعالى) كلمتي (رحمة واسعة) في كثير من التراجم .

كما يضع عبارة (رحمه الله تعالى) أو (رحمه الله تعالى رحمة واسعة) لبعض التراجم التي أهمل ناسخ الظاهرية وضعها ، إما لأنه لم يجد ذلك في الأصل الذي ينسخ عنه ، أو لأنه اضطره انتهاء السطر فلم يتسع لهذه العبارة فحذفها اقتصاداً للورق كما أشرنا سابقاً . وقد يزيد الناسخ علي عبارة الترحيم في أحيان نادرة كلمة (آمين) .

ويراعي الناسخ أسلوب الكتابة المعاصرة في إثبات الهمزات في مكانها ، فمثلاً : الفائق ، الخلائق ، السائرة ، المائة ، المؤرخين ، مؤلف ، قضاء ، الوفائي . . . يكتبها كما أوردناها هنا بدون تخفيف إلى ياء أو حذف لها .

ويبدو أن هذه النسخة قد دققت على فترات مختلفة من قبل عدة مدققين ، الأول منهما اسمه كما يظهر من توقيعه « مصطفى دردير ». وقد استخدم عبارة (نظر طبق الأصل) أو اختصاراً (طبق الأصل) وذيلها بتوقيعه ، وتاريخ التدقيق الذي قام به في ٢٥ / ٨ / ١٩٢٣ م و ١٦ / ٩ / ١٩٢٣ م وهذا يدل على أن التدقيق كان يتم قبل انتهاء نسخ المخطوطة كاملة ، على فترات . ودقق الثاني بقية المخطوط ، ويتضح من توقيعه أن اسمه « حبيب » ، وكان يضع عبارة (طبق الأصل) ثم يوقع بدون تاريخ . ويبدو أن التدقيق الأخير تم عقب انتهاء الناسخ من نسخ المخطوطة مباشرة .

ولما كانت هذه المخطوطة منقولة عن نسخة ، منقولة هي بدورها عن نسخة الظاهرية كما أشرنا من قبل ، فإننا لم نعتمد عليها في التحقيق ، وإنما أشرنا إليها بالرمز (ج) حين يفيد استخدامها في حالات قليلة استعملت فيها .

ب ـ مخطوطة دار الكتب المصرية (ب) :

ذكر مؤلف « فهرس دار الكتب المصرية » أنه يوجد نسخة في دار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، مسجلة فيها تحت الرقم (٣٤٠٢) . وصفها بأنها : (نسخة في مجلد واحد ، مأخوذة بالتصوير الشمسي ، بقسم التصوير ، بمطبعة دار الكتب المصرية ، عن نسخة مخطوطة بخط « الحاج إبراهيم بن محمد المؤذن » التي فرغ من كتابتها في يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر رجب ، سنة ١١٠٨ هـ . يليها ترجمة المؤلف للشيخ « عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطي الحنبلي » ، منقولة من « الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي » لكمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن العامري الدمشقي الشهير بابن الغزي المتوفى سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م . وهي بخط جامعها في اليوم السابع من شهر ذي الحجة ، سنة ١٢٧٧ هـ / ١٧ حزيران ١٨٦١ م .) (١) .

ويبدو من ذلك الوصف أنها أقدم النسخ المعروفة حتى الآن ، وقد حاولنا الحصول عليها بشتى الوسائل والسبل ، لكننا لم نظفر بطائل .

* * *

٤ ـ نسخة التيمورية :

لم تشر كتب الكشافات إلى هذه المخطوطة بصورة منفردة ، وإنما أشير إليها عرضاً في « فهرس دار الكتب المصرية » خلال وصف مخطوطة دار الكتب المصرية (ج) ، فقد ورد في نهاية هذه المخطوطة كما أشرنا سابقاً : (نقلها ـ أي ناسخ مخطوطة دار الكتب المصرية (ج) ـ من

---

(١) انظر : دار الكتب المصرية : ج ٥ ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ (م) .

نسخة مؤرخة في سنة ١٣٣٩ هـ ، محفوظة بمكتبة صاحب السعادة « أحمد تيمور باشا » بالقاهرة ، رقمها (١٤٢٠) (١) كما أشير إليها في « فهرس الخزانة التيمورية » بشكل عابر في ترجمة شيخ النجم الغزي « محب الدين محمد الحموي الحنفي » حيث أتى فيها أن : (ترجمته – أي لشيخ النجم المذكور – في لطف السمر للغزي ، رقم (١٤٢٠ / تاريخ) : ص ٥١ – ٥٧) (٢) .

وقد نسخ هذه المخطوطة محمد صادق فهمي ابن السيد أمين المالح عن مخطوطة الظاهرية كما أسلفنا (٣) ، ولذلك لم نر كبير فائدة في تصويرها بعد أن حصلنا على الأصل الذي نسخ عنه الناسخ المذكور .

* * *

٥ – نسخة رامبور : Rampur, I, 646, تحت الرقم (208)

ذكرها بروكلمان (٤) وقد حالت الظروف بيننا وبين الحصول عليها ، ولذا لم نستطع وصفها أو الاستفادة منها .

* * *

٦ – نسخة شستربيتي :

وهي مسجلة تحت الرقم (٣٧٠٨) ، وتبين لي بعد مراجعة مصورتها أنها نفس المخطوطة المصورة الموجودة لدى دار الكتب المصرية

---

(١) المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ٣١٨ .

(٢) انظر : فهرس الخزانة التيمورية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م : ج ٣ ، ص ٢٧٠ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : التيمورية .

(٣) انظر : ص ١٥٧ ، ح ١ .

(٤) انظر : Brockelmann, S. Part II, 402.

بالقاهرة تحت الرقم (٣٤٠٢) ، والتي سبق ذكرها . وهي مجموعة مع كتاب « الكواكب السائرة » للمؤلف في مجلد واحد ، بلغ مجموع أوراقه (٦٥٨) ورقة ، يضم كتاب الكواكب منه (٤٥١) ورقة ، أما « الذيل » فيضم الباقي وهو (١١٧) ورقة تبدأ من الورقة (٤٥٢) وتنتهي بالورقة (٥٦٨) . وقد رقمت أوراق المخطوطة ترقيم صفحات من قبل شخص آخر غير ناسخها ، على مايبدو من ترتيب ورقات المخطوطة من الصفحة (٩٠٣ — ١١٣٥) ، وسقطت منها ورقة واحدة من مكانها تحمل الرقمين (١٠٩٥ ، ١٠٩٦) ؛ ووضعت في غير موضعها الأصلي ،ولما لم يتنبه إليها المرقم قبل ترقيم الصفحات ، فقد أعطى صفحاتها أرقاماً ليست لها ، مما أدى إلى اضطراب في المخطوطة ؛والحاصل أن موضعها الحقيقي يجب أن يكون بين الرقمين (٩٤٢ ، ٩٤٣) ، وهي تحمل الرقمين (٩٥٩ ، ٩٦٠) .

وقد قام بنسخ هذه المخطوطة الحاج إبراهيم بن الحاج محمد المؤذن بجامع منجك (١) ، وقد فرغ منها نهار الاثنين ١٢ رجب . سنة ١١٠٨ هـ / ٤ شباط ١٦٩٧ م . وقد ورد اسمه في الهامش الأيمن ، أسفل آخر ورقة من مخطوطة « الكواكب السائرة » كما يلي : « على يد الفقير الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير الحاج إبراهيم بن الحاج محمد المؤذن بجامع منجك ، غفر الله له ، ولجميع المسلمين . آمين » .

والمتأمل للمخطوطة يظن لأول وهلة أنها كاملة ،ولكن مقارنتها مع النسخ المخطوطة الأخرى أظهرت أن ثمان تراجم قد سقطت منها،

(١) انظر حول جامع منجك لطف السمر : ص ٣٦ ، ح ٢ .

وهي : ترجمة اسماعيل بن الجروا ، وترجمة حاتم بن أحمد ، وترجمة حسين المنداوي الصفوري ، وترجمة زين العابدين المنداوي ، وترجمة صالح بن محمد الرملي . وترجمة عبد الرحمن الرومي ، وترجمة السيد أبو الغيث الشجري ، وترجمة محمود بن الجالقي(١) .

ولما كان أصل المخطوطة بعيداً عنا ، فاننا قد اعتمدنا في وصف مقاسها على ماجاء في كتاب (آربري : Arberry) (٢٠,٣ × ١٤,٦ سم) (٢) ، وتحوي كل صفحة منها حوالي (٢٩) سطراً في المتوسط ، تزيد أحياناً فتصل إلى (٣٠) سطراً . وتقل أحياناً أخرى إلى (٢٨) سطراً ، ونادراً ماتصل إلى (٢٢) سطراً ! ! . وهذا يدلنا على أن عدد الأسطر فيها غير ثابت على عكس النسخ الأخرى . ويبلغ متوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٢) كلمة ، ويتراوح بين (٨ — ١٤) كلمة .

ومن خصائص هذه النسخة أن ناسخها لم يبدأ التراجم فيها من أول السطر كما فعل نساخ النسخ الأخرى ، وإنما كان يبتدىء بها حيثما انتهت التراجم التي قبلها . فمرة نرى صدر الترجمة أول السطر ، وثانية في وسطه ، وثالثة في آخره ، وهذا مايوقع القارىء ببعض الارتباك ، ويجعل من العسير على الباحث التعرف على الترجمة المطلوبة

---

(١) وردت هذه التراجم في لطف السمر تحت الأرقام التالية : ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ . حسب الترتيب الوارد أعلاه .

(٢) انظر : Arberry, Arthur J. : A Handlist of the Arabic Manuscripts in the Chester Beatty Library, 8Vols, Dublin, 1955-1966. Part III, P. 91.

سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : Arberry

بسهولة ، وإن كان الناسخ قد حاول التغلب على هذه المشكلة بكتابة صدر الترجمة : اسم المترجم واسم أبيه أو نسبته باللون الأحمر ، إلا أن بدايته للكلمات الأولى من الجملة باللون الأحمر ، والتي تتعدى أحياناً الكلمة الواحدة إلى اثنتين قد جعله يخفق في محاولته ، خاصة وأن ناسخها لم يضع أسماء الأعلام في الهامش إلا في ثلاث عشرة ترجمة ، رأى — على ما يبدو — أنها هامة ، وهي ، ترجمة القاضي محب الدين الحموي، وترجمة الشيخ محمد البهائي البعلي ، وترجمة الشيخ شمس الدين الميداني ، وترجمة أحمد جلبي بن سنان صاحب تاريخ القرماني ، وترجمة شهاب الدين أحمد العيثاوي شيخ المصنف ، وترجمة حسن البوريني ، وترجمة درويش الطالوي صاحب السانحات ، وترجمة القــاضي علاء الدين بن القــاضي برهان الدين بن المرجل البعلي ، وترجمة علاء الدين الطرابلسي الإمام بالجامع الأموي ، وترجمة ملا علي القاري ، وترجمة الشيخ فايد الحلاق الأزهري ، وترجمة مراد باشا باني سوق المرادية بدمشق ، وترجمة مسلم بن الصمادي شيخ الطائفة الصمادية (١)

وقد استعاض الناسخ عن ترقيم أوراق المخطوطة بالتعقيب في نهاية كل ورقة كمخطوطتي المدينة المنورة ، وطوب قابو سراي . وأورد أبيات الشعر كل شطرين في سطر واحد ، وأحياناً كل أربعة أشطر في سطر واحد ، ونادراً ما كتبها بشكل منثور ولم يميزها عن غيرها من الكتابة النثرية .

---

(١) وردت هذه التراجم مرتبة حسب ماورد أعلاه في لطف السمر ، تحت الأرقام التالية : ٣٦ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

وخط هذه المخطوطة نسخي واضح غير متقن.، ويظن أن ناسخها لم يكن محترف النسخ ، ولذا فإنه قد وقع في عديد من الأخطاء الكتابية ؛ كما أكثر من شطب بعض الكلمات الأخرى ، وذلك بالمقارنة مع المخطوطات الأخرى .

وقد احتفظت هذه المخطوطة بالورقة الأولى منها ، ومن المدهش حقاً أن لايحمل وجهها الأول عنوان الكتاب أو أي شيء آخر ، بل ترك فارغاً . أما الوجه الثاني فيبدأ على الشكل التالي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه . . . » وتنتهي كنسختي الظاهرية وطوب قابو سراي بأبيات المؤلف في يوسف بن كريم الدين (١) ، التي جاء الناسخ ليسطر تحتها مايلي : « تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ، وذلك نهار الاثنين ثاني عشر ، شهر رجب ، من شهور سنة ١١٠٨ هـ ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم » .

وقد ألحق الشيخ عبد السلام الشطي (٢) بخطه ترجمة كاملة للنجم الغزي بالمخطوطة ، صرح بنقلها عن كتاب كمال الدين الغزي (٣)

---

(١) ستأتي ترجمته في لطف السمر برقم ٢٨٤ .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطي الحنبلي الدمشقي : عالم ، أديب ، ناثر ، ناظم ، شاعر ، توفي سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٧٨ م . انظر : عبد الرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق وتنسيق وتعليق حفيده محمد بهجة البيطار ، ٣ أجزاء ، دمشق ١٣٨٠ - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦١ - ١٩٦٣ م : ج ٢ ، ص ٨٤٨ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : حلية البشر .

(٣) هو كمال الدين محمد بن محمد شريف الغزي العامري الحسيني : مؤرخ ، نسابة ، أديب ، شاعر ، توفي سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م . انظر : حلية البشر : ج ٣ ، ص ١٣٣١ .

الآتي ذكره ، وذلك في نهايتهـا ، وتضم الورقتين الأخيرتين بالأرقام (١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥) . وسطر تحتها مايلي : « . . . ا هـ ، من : الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي (١) ، تأليف سيدنا العلامة السيد كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن العامري الحسني الحسيني الدمشقي ، الشهير كأسلافه بابن الغزي ، قدس الله تعالى روحه ، ونور مرقده وضريحه ، ونفعنا بجميع العلماء العاملين ، وأعاد علينا بركاتهم أجمعين . وقد نقلت من خطه الشريف جميع ذلك ، والله أعلم بما هنالك . كتب الفقير لرحمة ربه ، وأسير وصمة ذنبه : عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى الشطي الحنبلي ، عامله الله والمسلمين بلطفه الخفي والجلي ، في سنة ١٢٢٧ هـ » . وقد رمزنا إلى هذه النسخة عند استخدامها بالحرف (ش) .

* * *

٧ — نسخة طوب قابي سراي

وهي مسجلة تحت الرقم (E. H. 1220) (٢) . وقد حصلنا على مصورة لها . وهي مجموعة في مجلد واحد مع الجزء الثالث من

---

(١) سبق التعريف به بين تلاميذ النجم الغزي تحت الرقم (٢٢) .

(٢) لقد أخطأ فهمي كرتاي في وصف المخطوطة الواردة تحت هذا الرقم في مكتبة طوب قابي سراي ، وذلك عندما وصف المجلد الثاني من الكواكب السائرة بأنه يحتوي على الطبقة الثانية ، بينما هو يحتوي على الطبقة الثالثة والذيل كما أوردناه أعلاه . انظر :
Karatay, Fehmi Edhem : Topkapi Sarayi Muzesi Kutu phanesi Arapça yazmalar Katalogu, 4 Vols. Istanbul 1962-1969. part III, P. 576.

سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : Karatay

كتاب « الكواكب السائرة » الحاوي على الطبقة الثالثة من طبقات الكتاب الثلاث ؛ وتأتي بعده . وقد بلغ مجموع أوراق المجلد (١٨٦) ورقة ، اختصت مخطوطة « الكواكب » منها بـ (٨٦) ورقة ، أما الذيل فبلغت أوراقه (١٠٠) ورقة .

ولا يتضح من المخطوطة اسم ناسخها بدقة ، ولا تاريخ النسخ ، وإنما جاء على الوجه الأول من الورقة الأولى منها مايلي : « ملكه ومجلد (كذا بالأصل! وصوابه : رالمجلد) الذي قبله الفقير يوسف الحسيني الحنفي»(١).وقد جاء على الهامش الأيمن المقابل لترجمة «أحمد العناياتي» ذات الرقم (١٠٣) بيتان من المواليا التركية ، مقابلين لبيتين من المواليا العربية للمترجم له وهما :

« أهوى رشا في جنان الخلد قد أسفر

من فيه نصف اسمه إن صح لي أسكر

ونو تحيت الشفة شامة لها منظر

هذا بلال أتى يشرب من الكوثر » .

وهذا ماورد في الهامش : « نظيره

كورد لكل صاغه خالد راي دل   لب كوهر فناد دلبي ده

كست ايدرب روضة رياضي بلور   كلدي طور دى كنار كوثر ده

---

(١) هو يوسف بن حسين الحسيني الحنفي الدمشقي ، السيد الشريف ، نزيل حلب والمفتي والنقيب بها : عالم ، فقيه ، أديب ، محدث ، ناظم ، ناثر ، توفي بحلب سنة ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ . انظر : سلك الدرر : ج ٤ ، ص ٢٦١ .

يقول الفقير كاتبه قاسم البكْرَجي الحلبي (١) : التزمت مطالعة هذا التاريخ من أوله إلى أن وصلت فيه إلى هذا الحد ، وقد اجتمعت مع الأخ الكامل حاوي المعارف رجب أفندي القلعي (٢) الشاعر ، فعرضت عليه هذا المواليا ، فقال : إنه مأخوذ ، فنشدني هذين البيتين التركية ، فأردت أن أكتبهما منه ، فطلب مني أن يكتبهما بخطه ، فكتبهما . تم » . ومما يؤيد أن قاسم البكرجي هو ناسخ المخطوط ما ورد على الهامش الأيسر في نهاية ترجمة « علي الخزرجي الشهير بابن غانم » الواردة تحت الرقم (٢٢٢) من تعليق له على الشطر الثاني لبيت الغزي :

« في عام سبعة وتسعين مضت   تسع مئات قبلها قد انقضت »

بقوله : « ولو قال : من بعد تسعمائة قد انقضت ، لكان أسهل وأحسن سبكاً . لكاتبه البكرجي » .

وقد بدأ الناسخ بما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب تمم بالخير يا كريم . الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه . . . » وأنهاها بقوله : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب ، والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده » . ولم يورد اسمه ، ولا تاريخ انتهائه من النسخ . وقد جاء على الوجه الأول من الورقة التي بعدها ما يلي : « لبعضهم :

---

(١) هو قاسم بن محمد المعروف بالبكرجي الحنفي الحلبي : عالم ، أديب ، ناظم ، مصنف ، توفي سنة ١١٦٩ ﻫ / ١٧٥٦ م . انظر : سلك الدرر : ج ٤ ، ص ١٠ .

(٢) هو رجب المعروف بالنجيب : أديب ، شاعر ، فوضت إليه كتابة القلعة العواصمية ، وكان أغلب شعره باللغتين التركية والفارسية ، وآثاره بالعربية نزرة قليلة . توفي بقلعة حلب سنة ١١٦٣ ﻫ / ١٧٤٩ م . انظر : سلك الدرر : ج ٢ ، ص ١١٤ .

أرى كل إنسان يرى عيب غيره

ويعمى عن العيب الذي فيه

ولا خير فيمن لايرى عيب نفسه

وينظر العيب الذي بأخيه »

وورد على الورقة الأخيرة مايلي : « نظر في هذا التاريخ السيد محمد سعدي الشهير بابن حمزة الحسيني (١) أباً وجداً ، غفر له » .

وقد اعتمدنا في مقاس المخطوطة على ما أورده « كرتاي » لبعد الأصل عنا ، وعدم تمكننا من الاطلاع عليه . فقد جاء فيه أن مقياس الورقة هو (١١ × ١٧ سم) (٢) . وتحتوي كل صفحة (٢٧) سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٥) كلمة ، يتراوح بين (١٢ و ١٧) كلمة ، باستثناء الشعر الذي كتبه الناسخ كل شطرين في سطر واحد في معظم الأحيان، ونادراً ماأورد كل ثلاثة أو أربعة أشطر في السطر الواحد . وقد كتبت هذه المخطوطة بخط نسخي جميل متقن ، معروف وسائد في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو يشبه إلى حد ما خط مخطوطة المدينة المنورة .

وهذه المخطوطة كاملة ، وقد عثرنا في داخلها على الترجمة الساقطة من جميع النسخ ، والتي أشارت مخطوطة الظاهرية إلى عنوانها فقط هكذا «حسين» وتركناسخها بعد ذلك فراغاً مقداره سطران ، وهي ترجمة

---

(١) هو سعدي بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الحنفي الدمشقي المعروف بابن حمزة ، السيد الشريف : عالم ، محدث ، فرضي ، حيسوب ، له معرفة بالهندسة والمساحة . توفي سنة ١١٣٢ ﻫ / ١٧٢٠ م . انظر : سلك الدرر : ج ٢ ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر : Karatay, Part III, P. 576

« حسين المنداوي الصفوري » ، ولم يسقط من هذه النسخة سوى أربعة تراجم هي : ترجمة محمد بن كريم الدين ، وترجمة حاتم ابن أحمد ، وترجمة عبد الرحمن الرومي ، وترجمة السيد أبو الغيث الشجري (١) . ومن الجدير بالذكر أن ترجمة « محمد بن بيري ، ذات الرقم (٣٤) » قد كررت فيها مرتين كمخطوطة المدينة المنورة ! !..

وقد خلت أوراق هذه النسخة من الترقيم ، ماعدا بضع أوراق في أولها تبدأ بالرقم (٨٧) ، وقد استعاض الناسخ عن الترقيم بالتزام التعقيب في آخر كل ورقة كنسختي المدينة المنورة ، وشستربيتي . وبدأ الناسخ كل ترجمة من أول السطر ، وكتب اسم المترجم واسم أبيه أو نسبته باللون الأحمر ،وأنهاها بوضع دائرة منقوطة تشبه حرف النون في آخرها ، للدلالة على نهاية الترجمة ، وذلك بعد عبارة الترحيم التالية (رحمه الله تعالى) في معظم التراجم كنسختي المدينة المنورة وشستربيتي .

ومن خصائص هذه النسخة ، أن الناسخ قد استعاض عن وضع أسماء الأعلام في الهامش المقابل لصدر التراجم بكتابة تاريخ الوفاة رقماً على الهامش المقابل لتاريخ وفاتهم في داخل الترجمة ، وذلك تحت كلمة « سنة » . وقد شذ عن ذلك في ثلاث تراجم فقط ، تتعلق بالأشراف ، وهي : ترجمة السيد محمد الحصني ، وترجمة محمد بن حمزة نقيب دمشق ، وترجمة السيد علي بن حمزة الحسني نقيب الشام (٢) ، إذ أورد

---

(١) وردت هذه التراجم حسب الترتيب الوارد أعلاه في لطف السمر بالأرقام : ٤٨ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ٢٤٢ .

(٢) وردت هذه التراجم حسب الترتيب الوارد أعلاه في لطف السمر تحت الأرقام : ٢٣ ، ٣٢ ، ٢١٩ .

العنوان المذكور في مقابل صدر كل ترجمة موافقة له . وقد يكون ذلك من وضع الناظر في المخطوطة محمد سعدي الشهير بابن حمزة الآنف الذكر ، فانه من الأشراف .

ومن صفات هذه المخطوطة أيضاً ، أن ناسخها يهمل علامات الترقيم ، ويستعيض عنها بكتابة الكلمة الأولى من الجملة باللون الأحمر ، ويثبت نقطاً للياء والألف المقصورة ، ويخفف الهمزة في أكثر الكلمات ، وإن كان أكثر إثباتاً لها من ناسخي مخطوطتي الظاهرية والمدينة المنورة .

وقد رمزنا لهذه النسخة عند استخدامها بالحرفين (طو) .

* * *

منهــج التحقيق

١ — اعتمدنا في تحقيقنا لكتاب « لطف السمر » على نسختين هما : نسخة « الظاهرية » التي رمزنا لها بالرمز (ظ) ، ونسخة « المدينة المنورة » التي رمزنا لها بالرمز (د) كما أسلفنا القول . وقد أهملنا النسخ المتأخرة التي تنقل عن نسخة الظاهرية ، وهي نسخة « التيمورية » و « نسخة دار الكتب المصرية » (ج) وذلك لأنها نسخ مكررة عنهـــا من ناحية ، ولوجود سقطات عديدة فيها ، وقراءات مختلفة للكلمة الواحدة وتصحيفات مما أشرنا إليه سابقاً .

٢ — اعتمدنا أيضاً على كتاب « خلاصة الأثر » لمؤلفه « محمد الأمين المحبي » الذي التقط من « لطف السمر » (١٨٢) ترجمة : على ماسنذكره في محتواه ، وقمنا بمقابلة هذه التراجم ، وأشرنا إلى بعض الاختلافات بينهما ، ورأينا أن المحبي كثيراً مايلجأ إلى تعريب الكلمات التركية والفارسية والدارجة ، وأحياناً يدعها كما هي . فبدلاً من أن يورد كلمة « الخواجا » مثلا فإنه يضعها « من أكابر التجار » ، وبدلاً من « الينكجرية » يذكر « الجند الشامي » ، « العسكر الشامي » ، « عسكر دمشق » ، وكذلك في (أواز : صوت) و (سياسنهم : خيولهم)... الخ. كما أنه يقوم بتصويب بعض الأخطاء النحوية التي نراها في نسختي الظاهرية والمدينة المنورة ، مثل : « سنة اثني عشرة »(١) يصوبها

(١) انظر : لطف السمر : ص ١٦٣ .

« بسنة اثنتي عشرة (١) » و « سنة اثنتين وثلاثين (٢) » بـ « سنة اثنتين وثلاثين (٣) » . . . وكذلك الجمل التي يراها ركيكة ، أو غير وافية بالغرض فانه يسجلها بأسلوبه (٤) ، أو يصحح بعض تواريخ الولادات والوفيات إذا وجد مصدراً أقرب للحوادث أو التراجم من الغزي (٥) .

٣ — رجعت ماأمكن إلى المصادر التي نقل عنها الغزي ، حيث أشير في الهامش إلى تلك المصادر ، وعن طريق المقابلة والتوثيق أمكن الاطمئنان إلى النص الذي نقدمه .

٤ — أشرنا ماأمكننا إلى جميع المصادر الأخرى التي وردت فيها التراجم التي ترجم لها الغزي في كتابه « لطف السمر » .

أما منهجنا في تحقيق نص المخطوطة فيمكن أن نوجزه فيما يلي :

١ — استيفاء قراءة النص ، ومقارنته مع النصوص الأخرى الواردة في النسخ الأخرى ، أو في المصادر الأخرى المعاصرة للغزي كـ « تراجم الأعيان » للبوريني ، « وريحانة الألبا » و « خبايا الزوايا » للخفاجي ، « ودر الحبب » لابن الحنبلي . أو اللاحقة كـ « خلاصة الأثر » للمحبي ، و«إعلام النبلاء » للطباخ، و « منتخبات التواريخ لدمشق»

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ٢٤٨ .

(٢) انظر : لطف السمر : ص ٢٧٥ .

(٣) انظر : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر ماورد في لطف السمر : ص ٤٨٩ . وخلاصة الأثر : ج ٢ ، ص ٦١ .

(٥) أشرنا إلى ذلك في هوامش التراجم لدى تحقيق الكتاب .

للحصني ، وذلك لأنه من المحتمل أن يكونوا قد نقلوا من نسخ أخرى للمخطوطة .

٢ — استكمال ماسقط من كلمات بطريق السهو من الناسخ من النسخ الأخرى ، وحذف المكرر منها ، مع الإشارة إلى ماكان بالأصل ، في حواشي الصفحات . أما الكلمات المضافة من مصادر أخرى معاصرة ، أو عن طريق الترجيح ، فقد وضعت بين خطين مائلين هكذا : /   / مع الإشارة إلى مصدر الاضافة في حواشي الصفحات .

٣ — راعينا كتابة اللفظ سليماً بالنسبة إلى الكلمات التي وقع بها خطأ كتابي ، أو تحريف في رسم حروفها ، وأشرنا إلى ماكان بالأصل . أما الكلمات التي خفف النساخ همزتها إلى ياء أو حذفوها ، فقد راعينا الكتابة المعاصرة لنا ، واكتفينا بهذه الاشارة العامة إليها .

٤ — أصلحنا الأخطاء النحوية في بعض الكلمات ، وأشرنا في حواشي الصفحات إلى ماكان بالأصل ، وذلك بسبب قلة هذه الاخطاء أو تكرارها .

٥ — في المواضع التي تعذرت قراءة بعض كلماتها ، أو التي تمت قراءتها ولكن دون وضوح معنى لها في سياق النص ، رسمناها في المتن كما وردت بالأصل . ووضعنا اللفظ المناسب للسياق أو الترجيح الذي نعتقده في الهامش ، بعد أن قمنا بمراجعة المصادر الأخرى المتعلقة بذلك .

٦ – عمدنا إلى تصحيح أخطاء الغزي في بعض تواريخ الأحداث اليومية ، أو الولادات والوفيات ، في الحواشي ، مع بيان المصدر الذي اعتمدنا عليه ، أو بيان سبب الترجيح للتاريخ الجديد .

٧ – عرفنا بالأعلام المشاركة في الأحداث ، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم والطبقات المعاصرة لها أو القريبة منها وغيرها . وقد أثبتنا في نهاية كل تعريف المصادر التي رجعنا إليها لتوثيق العمل .

٨ – وكذلك فعلنا في التعريف بالأماكن والمواضع التي ذكرها الغزي في كتابه، وأشرنا في نهاية كل تعريف إلى المصادر التي تعطينا معلومات أوفى عنها .

٩ – شرحنا المصطلحات والألفاظ اللغوية شرحاً مختصراً ماأمكن ، حتى لاتزحم الحاشية،وذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية والمعاجم التاريخية منها واللغوية ، .

١٠ – قابلنا التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية في الهوامش لتسهيل الرجوع إليها .

١١ – وضعنـــا في أعلى كل ترجمة العنوان الذي أوردته « مخطوطة الظاهرية » في الهامش المقابل لها . كما أعدنا ترقيم التراجم تسهيلاً للمراجعة ، مع أن ناسخ « مخطوطة الظاهرية » توقف عنه في داخل المخطوطة عند الرقم (٣٦) ، بينما أتمه في الفهرس الوارد في أولها.

عنوان الكتاب ومحتواه

عنوانه :

اضطرب النساخ في صدر عنوان هذا الكتاب، كما اضطرب المؤرخون والمؤلفون أهو « لطف السمر » أم « لطف السحر » وانقسموا إلى فريقين : الأول منهم ذهب إلى أنه « لطف السمر » — بالميم . وهذا ماأكده كل من « المحبي »(١) و « كمال الدين محمد الغزي »(٢) وناسخ مخطوطة المدينة السالفة الذكر ، وفؤاد سيد (٣) ، وصاحب فهرس دار الكتب المصرية (٤) ، و « الكتاني »(٥) . وقد أغرب بروكلمان (Brockelmann) عندما اعتبر العنوان « لطائف السمر . Lata'if as-samar (٦) .

وثاني الفريقين ثبت العنوان على أنه « لطف السحر » — بالحاء — وهذا مافعله ناسخا مخطوطة الظاهرية ، ومخطوطة دار الكتب المصرية

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٧ .

(٢) انظر : الورد الأنسي : ق ٢٥ ب ، ق ٥٨ آ .

(٣) انظر : فهرس المخطوطات المصورة : ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤) انظر : دار الكتب المصرية : ج٥ ، ص ٣١٨ ، ٤٢٤ (م) .

(٥) انظر : عبد الحي الادريسي الكتاني ، فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، جزءان ، الطالعة (المغرب) ١٣٤٧ هـ : ج ٢ ، ص ٨٣ . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : فهرس الفهارس .

(٦) Brockelmann G. Part II, P. 367

(ج) الآنفي الذكر ، ووافقهما على ذلك كل من « عمر رضا كحالة»(١) ، و « خالد الريان » (٢) و « يوسف العش » (٣) و « اسماعيل باشا البغدادي » (٤) .

وقد تعتري الباحث الحيرة في إقرار أي اللفظين أراده المؤلف لكتابه . فنحن لانملك النسخة الأصلية التي دونها بخطه لنحسم الأمر ، ومن الواضح أن تصحيف النساخ لكلمة « السمر » بحيث تصبح « السحر » ، أو « السحر » فتغدو « السمر » أمر ممكن الوقوع جداً .

وإذا مانظرنا إلى ماذهب إليه الفريق الثاني ، فانه يلاحظ أن لفظة (السحر) لاتسيء إلى السجع الذي توخاه المؤلف في الصنعة البديعية في العنوان ، والتي اعتاد أدباء ذلك العصر ومؤرخوه استخدامها ، وفي الوقت ذاته فانها تتضمن معاني تتسق مع مضمون الكتاب ، ومع الكتاب السابق « الكواكب السائرة » للغزي : فالمؤلف قد جعل كتابه هذا ذيلاً على كتاب « الكواكب السائرة » والذيل يأتي في المؤخرة متمماً ومكملاً كالسحر يأتي في آخر الليل خاتماً . كما أنه ضمنه تراجم أعيان عاشوا شبابهم ، أو معظم حياتهم إن لم يكن كلها في أواخر القرن العاشر الهجري ، ولمعت أسماؤهم في ذلك القرن ، أو في مطلع القرن الحادي عشر ، وقضوا نحبهم تباعاً خلال الثلث الأول

(١) انظر : كحالة ، المنتخب : ص ٨٤ .
(٢) انظر : خالد الريان ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) ، الجزء الثاني ، دمشق ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م : ج ٢ ، ص ٦٥١ .
(٣) انظر : يوسف العش ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) دمشق ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م : ص ١٨٨ .
(٤) انظر : إيضاح المكنون : ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

منه . فمعظمهم إذاً يمثل آخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر ، مثلما يمثل (السحر) الثلث الأخير من الليل حيث تمتزج نهايات ذلك الليل الذي مضى وبدايات نهار جديد أتى .

إلا أنه على الرغم من هذه التفسيرات التي تسوغ استخدام لفظ (السحر) فإن الأذن تألف تعبير (لطف السمر) أكثر مما تفعل مع (لطف السحر) إذ فيه يبدو الإيقاع الموسيقي للعنوان أدق ، والصنعة البديعية أكمل . ذلك أن الجناس الناقص الذي استخدمه المؤلف في كلمتي (السمر) و (الثمر) قريب جداً من الجناس التام ، لقرب مخارج حرفي (السين والثاء) من بعضهما بخلاف (السحر) الذي تبتعد فيه مثل هذه المقابلة ، بل يتجلى المعنى باستعمال كلمة (السمر) ويغدو أشد أنساً ، وأكثر قرباً من الأفهام . فمن التعابير المتداولة القول (حلو السمر) و (لطف السمر) . وقد استخدم المؤلف نفسه هذا التعبير في مؤلفه عند حديثه عن أحد الأدباء ، ثم قال : (وكان يملي عليه لطائف الأسمار ، ومحاسن الأخبار) (١) . والسمر : حديث الليل الممتع مع الأصدقاء والخلان (٢) . وبذلك يكون معنى عنوان الكتاب : « الأحاديث اللطيفة المتداولة بين السمّار ليلاً حول تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، وقطف ثمار الفوائد منهم » .

ويؤيد الباحث في تثبيت هذا التعبير في عنوان المؤلف أن المحبي المتوفى سنة (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) وهو ليس بعيداً زمناً عن الغزي ،

(١) انظر : لطف السمر : الترجمة ١٥٦ .

(٢) انظر : القاموس المحيط : ج ١ ، ص ٥٣ (مادة سمر) .

وقد درس كتابه ملياً ونقده ، وجعله مصدراً من مصادره (١) ، قد أورد العنوان على هذا الشكل . وكمال الدين محمد الغزي المتوفى سنة (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) وهو مدقق أيضاً ، وقريبه ، وقد يكون على صلة بأصالة مؤلفاته قد أورد العنوان بهذه الصورة أيضاً .

ولا يعرف بالضبط متى بدأ المؤلف بتدوين تراجم (لطف السمر) ومن المحتمل أنه بدأها بعد انتهائه مباشرة من كتابه « الكواكب السائرة ». إلا أنه من المؤكد أنه أعاد النظر في « الكواكب السائرة » أثناء تدوينه « لطف السمر » أو بعد الانتهاء منه ، إذ ورد في كتاب « الكواكب السائرة » إشارة إلى « لطف السمر » (٢) مما يؤيد ماذهبنا إليه ، على ماسيأتي ذكره . وقد أنهى المؤلف كتابه « الكواكب السائرة » في عام ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م (٣) . أما كتاب « لطف السمر » فلا يعرف متى أنهاه . على أن بعض التراجم بقيت فيه ناقصة لم تستكمل : كترجمتي : « محمد بن فواز » (٤) و « عبد الرحمن الرومي » (٥) ، مما يدل دلالة واضحة على أن المؤلف بقي يستكمل نواقصه حتى وفاته عام ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م .

* * *

---

(١) انظر : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٣ .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١١١ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٤) انظر ترجمته في لطف السمر برقم (٥٧) .

(٥) انظر ترجمته في المصدر نفسه ، برقم (١٨٧) .

محتوى الكتاب :

يترجم الغزي في « لطف السمر » لمجموعة من رجالات عصره عايشها ، وشارك بعضها الحياة عن قرب ، ومن ثم فحديثه عن أغلبها حديث العارف الخبير . وهذا مايعطي كتابه قيمة كبيرة بصفته مصدراً مباشراً وأصيلاً عن أحوال الربع الأخير من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي والثلث الأول من الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي في بلاد الشام ، وأنحاء أخرى من العالمين العربي والإسلامي. فصاحبه في أغلب الأحيان ، هو في موقع الشاهد المعاصر للأحداث والوقائع التي يذكرها في تراجمه ، تأثر بها كما أثّر في بعضها الآخر .

وقد ترجم الغزي في كتابه هذا للأعيان الذين حدثت وفياتهم بين سنتي (١٠٠١ — ١٠٣٣ هـ) وفي ذلك يقول : (فهذا ذيل على كتابي المسمى بالكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة ألفته لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف)(١) . وقد اتبع الغزي في « لطف السمر » خطته السابقة التي اتبعها في « الكواكب السائرة » فلم يقصره على أعيان دمشق وحدها ، من أصلاء ونزلاء من حمويين (٢) وحمصيين (٣)

---

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر تراجم : محمد بن تقي الدين الحموي (رقم ٣٦) وأبي الوفا الحموي (رقم ٩٤) .

(٣) انظر مثلا تراجم : محمد الحمصي الحجازي (رقم ٤) ، ومحمد بن هلال (رقم ٢٦) ، وعبد الحي الحمصي (رقم ١٨٤) .

وروميين أتـــراك (١) ومقـــدسيين (٢) وحلبيين (٣) وبعليين (٤) وبقاعيين(٥) وبغداديين (٦) ويمنيين (٧) ومغاربة (٨) وأكراد (٩) وسنديين (١٠) وعجم (١١) وغيرهم ، بل ترجم لعديد من أعيان البلاد الإسلامية الأخرى من الذين لم ينزلوا دمشق أو يمروا بها ، بل شاع علمهم ، وذاع فضلهم حتّى وصلته أنباؤهم وأخبارهم . ومن هؤلاء :

---

(١) انظر مثلا تراجم : محمد بن بيري (رقم ٣٤) ، ومحمد المشهدي الرومي (رقم ٦١) ، وأحمد بن سنان الرومي (رقم ١٠٦) ، وأحمد جابي الرومي (رقم ١١٥) ، وبستان الرومي (رقم ١٣١) .

(٢) انظر مثلا تراجم : محمد الداوودي المقدسي (رقم ٢) ، ومحمد العلمي المقدسي (رقم ٤٢) ، ومحمد بن يوسف المقدسي (رقم ٥٤) ، وابراهيم القدسي (رقم٧٣).

(٣) انظر مثلا تراجم : محمدقلا قسيز (رقم ٢٤) ، ومحمد بن المنقار (رقم ٤٧)، وعبد النبي بن الزين الحلبي المعروف بالشمال (رقم ٢١٣) .

(٤) نسبة إلى بعلبك ، انظر مثلا ترجمة : محمد البعلي (رقم ٤٣) .

(٥) انظر مثلا ترجمة : زكريا البقاعي (رقم ١٥٩) .

(٦) انظر مثلا ترجمة : محمد البغدادي (رقم ٦٠) .

(٧) انظر مثلا ترجمة : محمد اليماني (رقم ٦٢) .

(٨) انظر مثلا تراجم : محمد الاضطراري المغربي (رقم ٥٨) ، وأبي بكر ابن مسعود المغربي (رقم ٨٥) ، وحسين الدروي المغربي (رقم ١٥١) .

(٩) انظر مثلا ترجمة : أبي بكر الكردي (رقم ٨٥) .

(١٠) انظر مثلا ترجمة : أبي بكر السندي (رقم ٩١) .

(١١) انظر مثلا تراجم : أحمد الهمداني (رقم ١٢٣) ، واسماعيل الهمداني العجمي (رقم ١٢٥) .

مصريون (١) وروميـــون (٢) ومقدســـيون (٣) وحلبيون (٤) وحمصيون (٥) ومكيـــون (٦) ومـــدنيون (٧) وغيرهم . فنظرة الغزي كانت إذاً شاملة مجموع العالم الإسلامي الذي كان يعيش فيه آنذاك .

وقد ضمن الغزي مؤلفه (٢٨٣) ترجمة ممن أطلق عليهم صفة الأعيان ، وذلك بعد حذف المكرر منهم ، على ماسيأتي بيانه . وجل تراجمه تقع في حرف الميم (٨٤) ترجمة ، والعين (٦٦) ترجمة ، والألف (٦١) ترجمة ، والحاء (١٦) ترجمة . وقد عده المحبي في رأس المصادر التي اعتمد عليها في تأليف كتابه « خلاصة الأثر »(٨) ، والتقط منه (١٨٢) ترجمة تكوّن ٤٠ ٪ تقريباً من مجموع التراجم التي ضمنها كتابه المذكور ، عن الفترة التي غطاها الغزي (الثلث الأول

---

(١) انظر مثلا تراجم : محمد أبي السرور البكري (رقم ١١٨) ، ومحمد الرملي (رقم ٢٢) ، ومحمد الحانوتي (رقم ٤٦) ، وأبي بكر الشنواني (رقم ٩٠) .

(٢) انظر مثلا ترجمة : عبد الحليم أفندي الرومي (رقم ١٨٠) .

(٣) انظر مثلا ترجمتي : أبي الهدى المقدسي (رقم ٩٥) ، وعلي الخزرجي المقدسي (رقم ٢٢٣) .

(٤) انظر مثلا ترجمتي : عمر العرضي (رقم ٢٣٥) ، وعمر البيلوني (رقم٢٣٧) .

(٥) انظر مثلا ترجمة : أحمد بن الأطاسي (رقم ١٠٥) .

(٦) انظر مثلا ترجمتي : أحمد العمودي المكي (رقم ١٢١) ، وعبد الرحيم بن حسان (رقم ١٩١) .

(٧) انظر مثلا ترجمتي : ريحان الحبشي (رقم ١٥٨) ، وصبغة الله السندي (رقم ١٦٩) .

(٨) انظر : خلاصة الأثر : ج ١ ، ص ٣ .

من القرن الحادي عشر الهجري) ، وعدة تلك التراجم (٤٧٦) ترجمة (١) .

ويمكن تصنيف الأعيان الذين ترجم لهم الغزي في الفئات التالية :

١ ــ أعيان المؤسسة السياسية والادارية :

ويقصد بهؤلاء الأعيان : كبار القابضين على السلطة السياسية والإدارية في مركز الدولة العثمانية ، الحاكمة لمعظم البلاد العربية آنذاك ، وفي الولايات ، ولاسيما بلاد الشام . وقد بلغ عدد من ترجم لهم (٥٠) شخصية ، موزعة كما يلي : السلاطين العثمانيون (٣) ، والوزراء العظام (٧) ، والقزلار آغاسية (١) ، والولاة الباشوات (١٧) ، والحكام المحليون في بلاد الشام (٧) ، والصناجق (٢) ، وأغوات الينكجرية (٢) ، والبلوك باشية (٢) ، والصوباشية (١) ، والطغاة (٣) ، والدفتريون (٥) .

٢ ــ أعيان المؤسسة الدينية :

وهم العاملون في القضاء بتفرعاته ، وفي الإفتاء والتدريس ، وفي العلم والتصوف ، وشؤون الدين الإسلامي الأخرى كأئمة المساجد والوعاظ والأوقاف الاسلامية . وقد قام الغزي بالترجمة لكثير منهم وعدتهم (٢٥٤) شخصاً يصنفون كالتالي : الفقهاء والعلماء والمدرسون (٦٢) ، والعلماء ــ التجار (٤) ، وقضاة القضاة « القضاة الأروام » (١٤) ، والقضاة « نواب قضاة القضاة » (٢٠) ، وقضاة ركب الحاج

(١) اشرنا أثناء التحقيق في هوامش « لطف السمر » إلى جميع التراجم التي التقطها المحبي ، وذلك في أثناء عرضنا للمصادر التي تعرضت لصاحب الترجمة .

الشامي (٢) ، والقسامون العسكريون بدمشق (٢) ، ورؤساء الكتاب بمحاكم دمشق (٤) ، والموقعون للأحكام بدمشق (١) ، والمفتون الأحناف بدمشق (٦) ، والمفتون الأحناف بغير دمشق (٢) ، والمفتون من المذاهب السنية الأخرى : الشافعية والمالكية والحنبلية (١٢) ، والقراء والمقرئون والحفاظ (١٥) ومشايخ الطرق الصوفية .وأصحاب الزوايا والمتصوفة (٣١) ، والدراويش (٦) ، والمجاذيب (١٢) ، وأئمة الجوامع والمساجد والمدارس (١١) ، والشهود العدول (١٠) ، والمتولون على الأوقاف والمساجد والمدارس (٨) ونقباء الأشراف (٣) ، والأشراف (٨) ، والوعاظ (٧) ، وأمراء الحاج الشامي (٢) ، والمؤذنون (٤) ، والموقّتون (٢) ، وقراء المولد النبوي الشريف والمنشدون (٦) .

٣ — أعيان آخرون :

وهم الذين لاينتمون إلى المؤسستين السابقتين ، ومنهم الشعراء والأدباء (٨) ، والأطباء (٦) ، ومشايخ الحرف والصنائع (٢) ، والفضلاء الصالحون (١٩) ، والموسيقيون (١) ، وأصحاب الدعوات الدينية التي وصفها الغزي بالمضللة (١) ، وقلة من التراجم لبعض أقاربه (٢) .

ويتضح من العرض السابق بأن القسم الأعظم ممن ترجم لهم الغزي كان لمن يحمل العلم الديني الإسلامي واللغوي العربي ، وإن كان عدد منهم قد عمل في ميدان القضاء أو التدريس وشؤون المساجد ، وهي أعمال ذات طابع إداري — ديني .

ومن المدهش حقاً أن يرى المرء إغفال الغزي لتراجم فضليات النساء في تلك الفترة التي يترجم لأعيانها . فالغزي ترجم في كتابه « الكواكب السائرة » لفضليات نساء القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وخصهن بـ (١٢) ترجمة كانت لمن عرف منهن بالعلم والصلاح والتقوى كـ « عائشة الباعونية » و « زينب الغزي » و « خديجة بنت محمد العامري » و « فاطمة بنت قريزان » ، وغيرهن (١) . كما تحدث مطولاً عن والدته في كتابه « بلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد » على ماذكرناه في ترجمته ، مما يدل على اهتمامه بالمرأة ، وإبرازه لدورها في المجتمع ، وبصفة خاصة عندما تنبه ، ويعلو ذكرها . ولعل إغفال الغزي ذكر أسماء شهيرات من النساء في « ذيل الكواكب السائرة » يرجع إلى عدم توافر عدد منهن في تلك الفترة المحدودة ، أو لشعور بالحشمة وقد كن معاصرات له ، أو لانعدام أنباء متوافرة لديه عنهن .

وكتاب « لطف السمر » غني بالمعطيات عن أحداث عصر الغزي ، أي منذ النصف الثاني من القرن العاشر تقريباً وحتى نهاية الثلث الأول من القرن الحادي عشر . فقد زخرت التراجم بوقائع وأخبار أسهم بها أصحابها من أصحاب السلطة والنفوذ . فجاءت مصورة بطريقة غير مباشرة لمعالم العصر السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، في الدولة العثمانية بصورة عامة وبلاد الشام بصورة خاصة . وسيأتي عرض الخطوط العريضة هذه بعد قليل . وهذا مايبرر مرة أخرى قيمة

---

(١) انظر : محمد المغربي ، مقال « اثنا عشر كوكباً » حول النساء المترجم لهن في كتاب « الكواكب السائرة » ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ١٢ ، سنة ١٩٣٢ م : ص ٦٤٢ .

كتاب « لطف السمر » وأهمية تحقيقه ونشره .

ولا يقلل من قيمة هذا الكتاب نقد المحبي له ولكتاب « الكواكب السائرة (بقوله : « وله – أي الغزي – التاريخ الذي ألفه في أعيان المائة العاشرة ، وسماه « بالكواكب السائرة » ، والذيل الذي سماه « لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر » والثاني أجد مادة تاريخي هذا – يقصد خلاصة الأثر – . وكلا الأثرين له جيد – جزاه الله على صنعهما خيراً – إلا أنهما يحتاجان إلى تنقيح ، وحسن ضبط ، فإن فيهما الغث ، وتكرير بعض تراجم ، وبعض سهو في الوفيات) (١) . ذلك أن المحبي يعترف بقيمة ماألف الغزي ، ويعتبره مجيداً في هذا العمل بقوله (إلا أنه أجاد كل الإجادة في هذا الجمع على كل حال) (٢) . والحق يقال : ان المحبي قد أصاب كبد الحقيقة في نقده ، فقد وقع الغزي في بعض الهنات ، وأظهر بعض هوى في بعض تراجمه ، إما لتعلق الموضوع بشخصه ، على مارأيناه في ترجمتنا للغزي ، أو للغموض الذي اكتنف بعض الوقائع لديه بسبب الأحوال الخارجية . وفي الواقع يمكن للمرء أن يرى تكرار الغزي لبعض التراجم كترجمة « محمد بن الفرفور الدمشقي »(٣) وترجمة « محمد أبي السرور البكري » (٤) و « أحمد الحصكفي المعروف

(١) و (٢) انظر : خلاصة الأثر : ج ٤ ، ص ١٩٧ .

(٣) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٧ ، ٣٧ .

(٤) انظر : لطف السمر ، رقم الترجمة ١٨ ، ٩٣ ؛ وقد وردت الترجمة فيه بعنوانين مختلفين أولهما (محمد بن محمد البكري) ، وثانيهما : (أبو السرور البكري المصري) فلينتبه لذلك .

بابن المنلا » (١) و « عبد القادر الطرابلسي » (٢) و « علي بن موسى الحرفوش » (٣) و « علي بن يوسف : سنان الرومي » (٤) « وقاسم القواس » (٥) و « محمود الجالقي » (٦) . وقد تنبه الغزي إلى تكرار ترجمة « أحمد الحصكفي » في كلا كتابيه ، فأشار إلى ذلك في « الكواكب السائرة » بقوله : (ثم تحرر لي من خط الشيخ عمر العقيبي (٧) : أنه مات في سنة ثلاث وألف ، فترجمته في كتاب « لطف السمر » وأبقيت الترجمتين للفائدة) (٨) . وكذلك في لطف السمر بقوله : (وقد ذكرت في الكواكب السائرة بناء على ماأخبرني بعض الجلاس ، أنه مات سنة ألف . وما هنا أصح) (٩) .

---

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٠٩ . لطف السمر : رقم الترجمة (١٠٤)

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٦٩ . ولطف السمر : رقم الترجمة (١٩٩) .

(٣) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٩٤ . ولطف السمر ، رقم الترجمة (٢٢٤) .

(٤) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ١٩٥ . ولطف السمر : رقم الترجمة (٢٢٠) .

(٥) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٠٠ . ولطف السمر : رقم الترجمة (٢٤٥) .

(٦) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٢٠٤ . ولطف السمر : رقم الترجمة (٢٥٧) .

(٧) لم يعثر على ترجمة له ، فلعله من أحفاد الشيخ عمر العقيبي الشافعي المعروف بالإسكاف ، مؤسس الطريقة العمرية بدمشق ، والمتوفى سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م . انظر : الكواكب السائرة : ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٨) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ١١١ .

(٩) انظر : لطف السمر : ص ٢٩٢ .

ويمكن أن يرى المرء أيضاً سهو الغزي في بعض الوفيات ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها : ترجمة « محمد الطرابلسي » الذي ذكره الغزي في الطبقة الثالثة — أي المتوفاة بين سنتي ٩٦٧ و ١٠٠٠ هـ — وذكر أنه توفي في سنة تسع وتسعمائة (١) ، وتاريخ الوفاة هذا يدل على أن موضعه في الطبقة الأولى لا الثالثة ، ومن المحتمل أن الصواب سنة « تسعين وتسعمائة » أو أن هناك سقطاً لم يتنبه إليه محقق الكتاب . ومثلها ترجمة « محمد بن عبد القادر الطبيب » الذي ذكره في الطبقة الثانية — أي المتوفاة بين سنتي ٩٣٤ و ٩٦٦ هـ — وجعل تاريخ وفاته في سنة ٩٧٩ هـ (٢) ، وهذا يدل على أن موضعه في الطبقة الثالثة وليس الثانية ، أو أنه وقع خطأ في التاريخ . وترجمة « حمدان القاسي الحنفي » المذكور في الطبقة الثالثة في قوله عنه : (كان بذيء اللسان ، سل لسانه سليمان باشا ابن قباد في سنة تسع — بتقديم التاء — وتسعمائة ، وشنقه في الدلبة (٣) التي في المرجة) (٤) . ويبدو أن الصواب سنة « تسعين » كما ورد في ترجمة « سليمان باشا ابن قباد » (٥). وغيرهم مما لم ينبه إليه محقق « الكواكب السائرة » وبالتالي لم يشر إلى التناقض الحاصل

(١) انظر : الكواكب السائرة : ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٤٤ .

(٣) الدلب : شجر كبير من فصيلة الدلبيات ، يعيش على ضفاف الأنهر ومجاري الماء . يزرع على جوانب الطرق وفي الساحات العامة ، قد يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً ، وهو معروف في آسية الغربية وأوروبا الجنوبية . انظر : الأب لويس معلوف اليسوعي ، المنجد في اللغة ، الطبعة الثامنة عشرة ، بيروت ١٩٦٥ م : (مادة : دلب) . سيذكر هذا المصدر باختصار كما يلي : المنجد .

(٤) انظر : الكواكب السائرة : ج٣ ، ص ١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه : ج٣ ، ص ١٥٧ .

بين تاريخ وفياتهم والطبقة الواردة ترجمتهم فيها . وكذلك ورد مثله في « لطف السمر » كترجمة « محمود الجالقي » الذي جعل وفاته في سنة (٩٩٤ هـ)(١) بينما تعتبر وفيات التراجم فيه من سنة ١٠٠٠ إلى سنة ١٠٣٣ هـ كما أسلفنا سابقاً ، وغيره مما أشرنا إليه في موضعه عند التحقيق . ومن الأمثلة على احتياج الكتابين إلى تنقيح وحسن ضبط نسوق قول المؤلف في ترجمة « محمد بن عبد العال الحنفي » في الكواكب السائرة» (الشيخ أمين الدين ابن الشيخ الناسك زين الدين عبد العال الحنفي ، المتقدم في الطبقة الثانية) (٢) وصوابه « الطبقة الأولى » حيث وردت ترجمته فيها . وقوله في « لطف السمر »: (سنان باشا الوزير الأعظم ، صاحب الجوامع والتكايا الآتي ذكره في حرف السين) ، وصوابه « حرف الياء » ، لأنه سماه « يوسف بن عبد الله ، سنان باشا » .

ومن خلال هذه التراجم التي اثبتها لنا الغزي في لطفه يمكننا أن نفيد دراسات جليلة في ميادين شتى منها الحياة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

* * *

(١) انظر : ترجمته في لطف السمر : برقم (٢٥٧) .

(٢) انظر : الكواكب السائرة : ج١ ، ص ٢٣٧ و ج ٢ ، ص ٦٥ .

محتواه السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي*

١ — الحياة السياسية والدينية

تعرض الغزي في كتابه لأكثر نواحي الحياة في عصره ضمن بعدين رئيسيين . أولهما : الدولة العثمانية في المركز . وثانيهما : البلاد العربية ولاسيما بلاد الشام ، ودمشق منها بصفة خاصة .

ففي مجال المؤسسة السياسية والإدارية والعسكرية نشاهد بعض اللمحات السريعة ، في البعد الأول ، عن الحياة السياسية في مركز الدولة العثمانية « استانبول » إذ ترجم الغزي لثلاثة سلاطين هم : السلطان مراد الثالث (٩٨٢ — ١٠٠٣ ﻫ / ١٥٧٤ — ١٥٩٥ م) : وابنه السلطان محمد الثالث (١٠٠٣ — ١٠١٢ ﻫ / ١٥٩٥ — ١٦٠٣ م) ، والسلطان أحمد الأول (١٠١٢ — ١٠٢٦ ﻫ / ١٦٠٣ — ١٦١٧ م) . أما السلاطين الذين خلفوهم، ووقعوا تحت نفوذ العسكر فقد أشار إليهم إشارات عابرة ، على الرغم من أن وفاتهم كانت في الفترة نفسها التي حددها لكتابه .

ويستشف من الصورة التي يقدمها عن هؤلاء السلاطين : تقلص نفوذهم في الحياة العامة للسلطنة ، وسيطرة الجيش عليهم ، لا بل خلعه

* هذا الوصف وما بعده هو تكثيف للمعلومات التي وردت في الفصل الثاني من الرسالة التي نلت بها درجة الماجستير وعنوانه : « عصر الغزي من خلال مخطوطه » ، وهو في ٨٧ صفحة كبيرة ، فمن أراد التوسع فعليه بالرجوع إليه .

لبعضهم وقتله لبعضهم الآخر . كما يتبين منه أن الدولة بدأت تعاني ضعفاً كبيراً في قوتها العسكرية ، إذ تكررت هزائمها على الجبهتين الصفوية والأوروبية ، واضطرت إلى عقد الصلح مع أعدائها أكثر من مرة . وقد استغل هذا الضعف عدد من الحكام الطموحين في الداخل ، فأعلنوا الثورة في مناطقهم ، وأنشؤوا لأنفسهم قوات كبيرة من السكبان (المرتزقة) ، ومن أشهر هؤلاء الثائرين : علي باشا ابن جان بلاط ، والأمير فخر الدين المعني الثاني ، وعبد الحليم اليازجي وغيرهم . ونتيجة لضعف السلاطين فقد برزت بعض الشخصيات السياسية الكبرى على مسرح الأحداث ، فالقى الغزي عليها بعض الأضواء كالوزراء العظام والكزلار آغاسية .

أما في البعد الثاني ، فقد كانت نظرة الغزي فيه شاملة احتوت البلاد العربية إلى جانب بلاد الشام ، ومن خلال ذلك نراه يترجم لبعض ولاة البلاد العربية كاليمن ومصر وغيرها ، أما بلاد الشام فقد خصها بالتفصيل ، لأنه كان يعيش فيها ، ويراقب أحداثها عن كثب ، فترجم لمعظم ولاتها (باشواتها) ، وبصفة خاصة ولاة دمشق ، وأوضح علاقاتهم الطيبة أو السيئة مع السكان المحليين ، وبين موقف هؤلاء السكان السلبي من الأحداث التي كانت تجري على أرضهم ، نتيجة بعدهم عن السلطة ، وعدم مشاركتهم فيها . كما أوضح علاقاتهم بزعماء الجيش (الانكشارية) ، وأظهر كيف أدى استقلال هؤلاء الزعماء عن الولاة إلى ضعف سيطرة الولاة عليهم ، وإلى ازدياد نفوذهم ، وتكوينهم مجموعات موالية لهم ضمن الجيش ، مما أشعرهم

بالقوة ، فتحدوا الولاة ، وتسلطوا عليهم وعلى الرعية في كثير من الأحيان ، وبالإضافة إلى ذلك تطرق إلى علاقة ولاة الشام بالأمراء التابعين لهم من أمثال : آل معن ، وآل الحرفوش ، وآل فريخ ، وأحمد باشا ابن رضوان باشا نائب غزة وغيرهم ، ومحاولتهم بشكل غير مباشر إقامة نوع من التوازن بينهم لتأمين سيطرتهم عليهم ، وجمع الضرائب منهم ، والاستفادة منهم بتعيينهم كأمراء للحاج الشامي ، ولكن الصراع على النفوذ بين هؤلاء الأمراء ، وظهور منافس قوي وطموح في المنطقة كالأمير فخر الدين المعني الثاني حطم هذا التوازن ، وأظهر مقدرة الأمير فخر الدين الذي ثار في تلك الآونة على العثمانيين.

وتعرض الغزي أيضاً إلى علاقة ولاة الشام بولاة الولايات المجاورة ، وبيّن كيف كان والي طرابلس يوسف باشا سيفا يسعى للوصول إلى حكم ولاية الشام ، وذلك باستغلاله ثورة علي باشا ابن جان بلاط لتحقيق مآربه ، على مايبدو ، ولكن فشله في القضاء على ثورة ابن جان بلاط في شمال بلاد الشام حطم آماله .

هذا ولايكتفي الغزي بالحديث عن مراكز القوى في بلاد الشام ، وصراع بعضها مع البعض فحسب ، بل يتبين من خلال تراجمه الهيئات الإدارية المختلفة المشاركة في الحكم كالديوان ، والدفتردارية ، والجيش الذي عمته الفوضى والفساد ، وتحول من أداة وجدت لحماية السكان إلى أداة استغلال وإذلال لهم ، بعد أن فسدت أنظمته ، وانتشرت الانشقاقات والتحزبات بين صفوفه ، وكان السبب في عديد من الصراعات التي دارت رحاها في بلاد الشام . ولم يقتصر الغزي على كل هذا في حديثه

عن الجيش ،بل أشار إلى بدء ترابط اجتماعي بينه وبين الأهالي، عن طريق التزاوج ، أو التسرب إلى صفوف الأهالي وبالعكس .

ومثلما تحدث الغزي بالتفصيل عن المؤسسة السياسية والإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية وبلاد الشام ، فإنه تحدث عن المؤسسة الدينية التي تستمد سلطتها الأساسية من الشريعة الإسلامية . فهي،وإن كانت تعتمد في قوتها على المؤسسة الأولى من ناحية التنفيذ ، إلا أنها في الواقع كانت الناظم الأساسي للحكم ، ولثقة الرعية بالدولة العثمانية ، وسار في حديثه ضمن البعدين الرئيسين اللذين رأيناهما في المؤسسة السياسية . وهكذا تحدث عن المفتي الأكبر (بشيخ الإسلام) في الدولة العثمانية . والمفتين الرئيسيين من الأحناف في دمشق ، ثم المفتين من المذاهب الأخرى : الشافعية والحنابلة والمالكية ، وبذلك قدم لنا صورة واضحة عن الإفتاء في تلك الفترة . ولم يقتصر على ذلك بل ألمع إلى علاقات المفتين بالقضاة الرئيسيين ، وتوتر العلاقات فيما بينهم أحياناً ، مما يستشم من خلاله مركز المفتي الحنفي بدمشق ، وأنه كان يأتي في المرتبة الثانية بعد القاضي في العهد العثماني .

وقد أولى المؤلف القضاة أهمية كبرى ، فتكلم عن قضاة العسكرين : الروم إيلي والأناضولي ، ثم قضاة القضاة (الموالي) في مراكز الولايات العثمانية ، وخص قضاة القضاة الأحناف في ولاية الشام بالتفصيل ، ويتضح من خلال حديثه عنهم : تأكيده على أصلهم الرومي ، وعدم تحديد فترة زمنية لبقائهم في مناصبهم ، واتصاف أكثرية أوائلهم بالعلم والمعرفة ، والعدل والنزاهة ، وانقلاب هذا الوضع في نهاية هذه الفترة ؛ إذ قل عدد هؤلاء ، وازداد عدد من وصل إلى منصبه

بوسائط شتى كاستخدام الرشاوى والوساطة وغيرها . وقد أظهر المؤلف من خلال حديثه عنهم الدور السياسي والاجتماعي الذي لعبوه في بلاد الشام ، إذ توترت العلاقات بين بعضهم وبعض الولاة ، كما ساهم آخرون منهم في حل المشكلات التي نشأت عن الصراع بين مراكز القوى فيها ، نتيجة الحروب والثورات المتكررة على الدولة العثمانية ، فسعوا إلى إحلال السلام بين الأطراف المتنازعة ، وإلى تجنيب الرعية ويلات تلك الحروب المستعرة ، كما سعوا إلى تخفيف النزول والعوارض التي تلحق أهالي الشام . ولكن هذه الأعمال لم تمنعه من أن يصف علاقاتهم الحسنة بأهل الشام وإنصافهم إياهم ، أو ظلمهم وجورهم عليهم ، وتناولهم الرشوة منهم . وهكذا ثار أهل دمشق على الظالمين منهم كثورتهم على القاضي كمال أفندي طاش كبري زاده .

ولم ينس الغزي في حديثه عن القضاة أن يتعرض إلى نوابهم في محاكم دمشق المختلفة ، من المذاهب السنية الأربعة ، وإلى معاملة هؤلاء النواب للأهالي ، فتحدث عن نائب مابين (النائب المتوسط) ، ونواب محاكم دمشق الستة ، وقضاة قافلة الحاج الشامي ، والقسامين العسكريين بدمشق ، واستكمل حديثه عن القضاة بالحديث عن بقية الموظفين الآخرين في تلك المحاكم كالشهود والكتاب العدول وغيرهم. وبذلك أعطانا صوراً عن الحياة القضائية في بلاد الشام والبلاد العربية والدولة العثمانية جديدة في كثير من جوانبها .

وقد أغنى الغزي الحياة الدينية بحديثه عن نقباء الأشراف ، ودورهم

في بلاد الشام على الصعيدين الاجتماعي والسياسي ، ومكانتهم الاجتماعية الرفيعة حيث كانوا يلقون الاحترام والتقدير من مختلف الفئات والطبقات في المجتمع العثماني الاسلامي ، ومنها السلطة الحاكمة . وقد أدى انتماء الأشراف إلى مختلف الطبقات والمهن والحرف المختلفة ، بالإضافة إلى انتمائهم إلى مختلف المذاهب والطوائف الصوفية كالرفاعية والقادرية والصمادية إلى ازدياد قوتهم ، على مايبدو ، فاستطاع نقباؤهم الوصول إلى زعامة الطوائف والمهن المختلفة بدمشق . وساعدهم ذلك على أن يلعبوا دوراً اجتماعياً وسياسياً بارزاً في بلاد الشام ، فشاركوا العلماء ومشايخ الصوفية وغيرهم في مقابلة الوزراء ، والطلب منهم تخفيف النزول عن سكان الشام . كما تنافسوا مع بعض القضاة ، وساءت علاقاتهم بهم ؛ وعاملوا الأشراف والأهالي معاملة حددتها تربيتهم وأخلاقهم الخاصة .

وأخيراً نرى الغزي يهتم بموظفي مدينة دمشق الدينيين ، كمتولي الجوامع والمساجد والمدارس ، والأئمة ، والخطباء ، والمؤذنين ، والخدم وغيرهم ؛ ويركز عناية على موظفي الجامع الأموي . ويظهر من خلال حديثه عنهم ضعف هذه الحياة نتيجة انتشار عملية بيع الوظائف ، وتجزئتها بين عدة أشخاص ، والتفرغ عنها ، وتناول الموظفين للرشوة ، وقبولهم للوساطة والشفاعة وغيرها .

وخلاصة القول : إن الصورة التي قدمها الغزي عن مجمل الحياة السياسية والإدارية والدينية في عصره تدل بوضوح على ضعف هذه الحياة ، وتسرب الوهن إلى أوصالها ، نتيجة انتشار الفوضى والظلم ، واضطراب الأمن ، وتحكم الفساد في نفوس شخصيات الادارة .

٢ ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية

إذا كانت معطيات الغزي وفيرة بالنسبة للناحيتين السياسية والدينية كما رأينا ، فإن معطياته عن الناحية الاقتصادية تعتبر ضحلة . ويستشف من خلال تلك المعطيات التي يلمحها المرء هنا وهناك عبر التراجم ، ميل هذه الحياة بمجموعها إلى الضعف ، بسبب الحروب والثورات المتلاحقة ، والمدمرة للقرى والمدن على حد سواء ، فقد حدثت أربعة حروب في بلاد الشام في أقل من ربع قرن كان يتم خلالها أو عقبها مباشرة عمليات السلب والنهب ، والهجرة أحياناً بشكل جماعي مخيف يؤدي إلى إقفارها لفترة من الزمن ، تتعطل فيها الحياة الاقتصادية ، وتشل تماماً عن أداء دورها الطبيعي في حياة السكان المحليين . ويضاف إلى ذلك ظلم السلطات الحاكمة للرعية ، وابتزازها لأموالها ، واستغلالها بشتى الصور ، واحتكارها للعديد من البضائع ، وفرضها الضرائب المرهقة . كل هذا بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية كانتشار الأوبئة والطواعين ، وهطول الأمطار المدمرة المخربة ، أو احتباسها ، واكتساحات الجراد وغيرها التي أثرت تأثيراً كبيراً على اقتصاد تلك الفترة ، سواء أكان زراعياً أم صناعياً أم تجارياً .

أما الحياة الاجتماعية ، فهي،وإن كانت المعطيات التي قدمها الغزي في بابها أوفى ، إلا أنه من الصعب من خلال الحوادث المفردة التعميم فيها . ومع ذلك يتضح من حديث الغزي انقسام المجتمع إلى طبقتين : الطبقة الحاكمة ومعظمها من أصل رومي غريب عن أهالي البلاد ، والرعية المحكومة التي كانت تعاني عسف الطبقة الأولى ،

وتأمل زوالها ، إما عن طريق انتصار أعدائها عليها ، أو عن طريق ظهور المهدي المنتظر الذي يخلصها مما كانت تعانيه من ظلم وجور . وعلى الرغم من العلاقات الرسمية التي كانت سائدة بين الطبقتين فإن علاقات التزاوج التي هي من أشد الروابط في المجتمع قد قامت بينهما في بلاد الشام ، وهذا ماسمح للسكان المحليين بالتسرب إلى الطبقة الأولى ، والتمتع بامتيازاتها .

ولم يقتصر المؤلف في حديثه عن الحياة الاجتماعية في بلاد الشام على هذا التقسيم ، بل أضاف إليه تقسيماً آخر للطبقة الثانية ، إذ قسمها إلى فئتين ، أولاهما : فئة الأعيان والأكابر ومعظمها مرتبطة بالطبقة الحاكمة لارتباط مصالحها بها ، وفئة العوام التي يسود غالبيتها الجهل والفقر

ولما كانت بلاد الشام يسود أهلها الدين الإسلامي فإن الغزي لم ينس الإشارة إلى عناصر المجتمع الأخرى التي يتكون منها كاليهود والنصارى ، وذلك عبر تراجمه ؛ كما لم يغفل حركة الهجرة الفردية الداخلية والخارجية للسكان وتنقلاتهم من مكان لآخر ، وإلى امتلاك الأغنياء منهم للعبيد والمماليك .

هذا في مجال المجتمع ، أما في مجال الأسرة فقد قدم لنا بعض الصور الاجتماعية عنها ، والتي لاتزال سائدة إلى يومنا هذا ، فتطرق إلى الزواج ، واختيار الزوجة ، والتعابير الدالة على أسرة معينة ، والعلاقات القائمة بين الزوجين ، والخصومات التي تؤدي ببعضهم إلى الطلاق . كما طرح العلاقات بين الآباء وأبنائهم ، وبين الإخوة والأقارب

الآخرين ، وأوضح حمل الأبناء الذكور لاسم الأسرة ، ولذا كانت تقام الاحتفالات بمناسبة مولدهم .

وفي مجالات الحياة الاجتماعية الأخرى أبرز الغزي بعض الأعياد والاحتفالات والعادات الاجتماعية التي لايزال بعضها منتشراً في بلاد الشام كعيدي الأضحى والفطر ، وقراءة المولد النبوي الشريف ، والاحتفال باعتلاء السلطان العثماني الجديد للعرش . وبالمقابل أظهر المآتم والأتراح ، وعمل الصبحة في المساجد أو الترب والمقابر . وذكر خروج الناس للنزهات ، وممارسة بعضهم للرياضة ، وانتشار شرب القهوة بينهم في المقاهي والبيوت ، وتعاطي المكيفات كالبرش (مادة مخدرة كالأفيون) ، وشرب الخمر ، والأدهى من ذلك اعتقاد عامة الشعب في المجاذيب وغيرهم .

وفي نهاية الحديث عن الحياة الاجتماعية لابد أن نلمع إلى حديث الغزي عن أزياء الناس وملابسهم حسب مراكزهم الاجتماعية كالولاة والعلماء والقضاة ومشايخ الصوفية والأشراف والجند والدراويش وغيرهم .

٣ ـ الحياة الثقافية

كانت بلاد الشام مقراً لحركة تعليمية وفكرية نشيطة خلال العهد المملوكي ، تجلت في استمرار المدارس والمساجد والزوايا والخانقاوات الصوفية السابقة في أداء دورها العلمي ، هذا بالإضافة إلى ماأنشيء منها تلك الفترة . وقد خرّجت هذه المؤسسات التعليمية طبقة ذات مستوى

علمي رفيع من المؤرخين والموسوعيين والفقهاء والأدباء والمحدثين والمفسرين وغيرهم . وجاء الاحتلال العثماني لها فأخذ العلم مجراه السابق على مايبدو من كتابات النعيمي وابن طولون ورضي الدين بن الحنبلي والأنصاري والقرماني والبوريني والغزي نفسه ، وإذا مالامسنا مطلع القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي – أي فترة الكتاب – فإننا نلاحظ وجود حركة فكرية نشيطة في بلاد الشام ، وخاصة منها دمشق . وقد ساد على هذا النشاط رجال حملوا مشاعل العلم من آل الغزي والعيثاوي والعمادي والنابلسي والعرضي والبيلوني والحصكفي وغيرهم . وتتميز هذه الحركة باستقاء أصحابها العلم من التراث الفكري العربي الاسلامي الأصيل . مع عدم إغفالهم الثمين من الإنتاج الحديث .

وعلى هذا فقد حفل كتاب الغزي على تراجم أولئك العلماء ، وتفصيل أخبارهم ، وعلاقاتهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما بين بصورة مباشرة تكوينهم من قضاة ومفتين ونقباء للأشراف ومشايخ للطرق الصوفية وأئمة للجوامع وخطباء لها ومتولين عليها ، ومدرسين فيها إلخ . . . ، وأظهر نظرة المجتمع إليهم ، ونبه على القيم التي كانت سائدة بينهم ، وعرض إلى علاقاتهم مع السلطة الحاكمة ، التي كان يكتنفها التقدير والاحترام ، والاعتراف بمركزهم الاجتماعي ؛ وأوضح بصورة غير مباشرة أن الدولة أخذت حق الإشراف على المدارس في مختلف الولايات ، وأنها جمعت في يدها تعيين المدرسين في مختلف المدارس بموجب حجج وقفها أو متجاوزة لها ، وأنها بقيت تسير بموجب الأعراف السائدة من كفاية المدرس أو رأي العلماء ، ولكن

لماتفشى بيع المناصب والرشوة والوساطة في مختلف دوائر الدولة العثمانية، ومنها المؤسسة الدينية ، فإن بعض العلماء انخفض مستواهم الخلقي نتيجة لذلك ، واستخدموا تلك الطرق والوسائل للوصول إلى غاياتهم ، إلا أن هذا لم يمنع من تأثيرهم بصورة عامة في السلطة الحاكمة والرعية .

وكما قدم الغزي لنا معطيات هامة عن العلماء فانه لم يغفل التعليم ، فزودنا بمعلومات عن مراحله وتنظيمه ومستواه ومناهجه ، وإن بقيت معلوماته في هذا المجال مقتصرة على التعليم عند المسلمين فقط . ولم يقتصر الغزي في حديثه على التعليم التقليدي ، بل تطرق الى التدريس في البيوت ، وإلى إلقاء المواعظ فيها وفي القهوات ، وتحدث عن وجود وعاظ للأتراك بصفة خاصة في دمشق . وتكلم عن كيفية معاملة المدرسين لطلابهم ، وعن علاقة العلماء ببعضهم ، والتوتر الذي كان يشوب هذه العلاقة أحياناً ، وعرض علاقاتهم بالشعب . وبذلك أعطانا صورة شبه كاملة عن الحياة التعليمية والعلماء في ذلك العصر . وقدم لنا بالإضافة إلى كل هذا التيارات الرئيسية التي كانت تتنازع العلماء والعالم الاسلامي آنذاك ، فهو،وإن عرض للتيار الشيعي باقتضاب إلا أنه استفاض في الحديث عن التيار السني ، ممثلاً بالدولة العثمانية والعلماء ، وعن التيار الصوفي الطاغي على تلك الفترة ، فالقى أضواء ساطعة على كثير من معتقدات الصوفية ومشايخها ، وأبرز الصلة الوثيقة بين العلماء والمتصوفة . ومن الطرق الصوفية التي تحدث عنها : القادرية ، والرفاعية ، والسعدية — الجباوية ، والصمادية ، والعمرية ، وأبرز التنافس بين أصحاب هذه الطرق ، وبخاصة بين الصمادية والسعدية — الجباوية في دمشق .

وفي ميدان العلوم والآداب ألقى المؤلف أضواء على الشخصيات العلمية التي اشتهرت في عصره ، فاشتهر في الطب بدمشق : محمود ابن يونس ، وأبو بكر بن الحكيم ، والشيخ محمد الحجازي ، وحسام الدين الرومي ، ومحمد بن حبيقة الميداني . وفي الفلك وعلم الأوفاق والجفر والحساب والزايرجا والكيميا والتنجيم: محمد الحجازي . وفي الميقات : صالح بن محمد الرملي ، وعبد الرحيم بن عبد الكريم العجمي . وفي التفسير : صبغة الله السندي ، ومحمد بن أبي بكر الحموي . وفي الحديث : محمد الداوودي ، ومحمد الميداني ، وعلي القاري العجمي المشهور بالهروي ، ومحمود البيلوني . وفي الفقه : محمد بن أحمد الرملي ، وعلي الخزرجي الشهير بابن غانم المقدسي ، ومحمد بن المنقار ، ومحمود بن بركات الباقاني ، وعلي بن يحيى الزيادي ، وأحمد بن يونس العيثاوي ، وعلي بن محمد الطرابلسي . وفي حقل اللغة العربية والأدب : أحمد الحصكفي الشهير بابن المنلا ، وعبد الوهاب بن رجب المعروف بالقطان ، وأبو بكر الشنواني ، وقاسم بن محمد القواس . وفي الشعر : محمد بن عثمان الصالحي ، ويوسف بن أحمد العلموي ، ومحمد بن محمد القدسي المعروف بابن خصيب ، ومحمد بن نجم الدين الصالحي ، وأحمد بن أحمد العناياتي ، ودرويش محمد الطالوي . وفي التاريخ : محمد بن ابراهيم المعروف بقاضي أكمل ، وأحمد بن سنان الرومي المعروف بالقرماني ، والحسن بن محمد البوريني ، وعمر ابن عبد الوهاب العرضي ، ومحمد بن داود الأطروش وغيرهم .

إن هذا السرد الموجز للشخصيات العلمية يتيح للقارىء، إذا ما اطلع على تراجمها ، أن يأخذ فكرة عامة عن ذلك النشاط العلمي والأدبي الذي كان ممثلاً لحيوية المجتمع العربي الشامي ، ومعبراً صادقاً عن فكره ،

وفي الوقت ذاته مانعاً لروحه العلمية والأدبية من التجمد والجدب في تلك الفترة .

أما في حقل الفنون والعمارة ، فنلاحظ نشاطاً عمرانياً شهدته بلاد الشام في تلك الفترة ، لم يضارعه أي نشاط آخر في بقية فترات التاريخ العثماني لها ، وقد سجل الغزي بعض المعلومات المتناثرة عن هذا النشاط العمراني ، فتحدث عن تشييد بعض المساجد والخانات والأسواق والجسور والمساكن والقصور وغيرها من المنشآت العمرانية التي لايزال معظمها قائماً حتى الوقت الحاضر . كما تحدث عن الموسيقا ، فترجم لعدد من الموسيقيين المشهورين آنذاك من أمثال : مصطفى ابن تنكز ، وبعث الله المصري ، ونوح المنشد ، ورجب العجمي الكاتب ، ومحمد المساميري ، وعبد الرحيم الأسطواني وغيرهم .

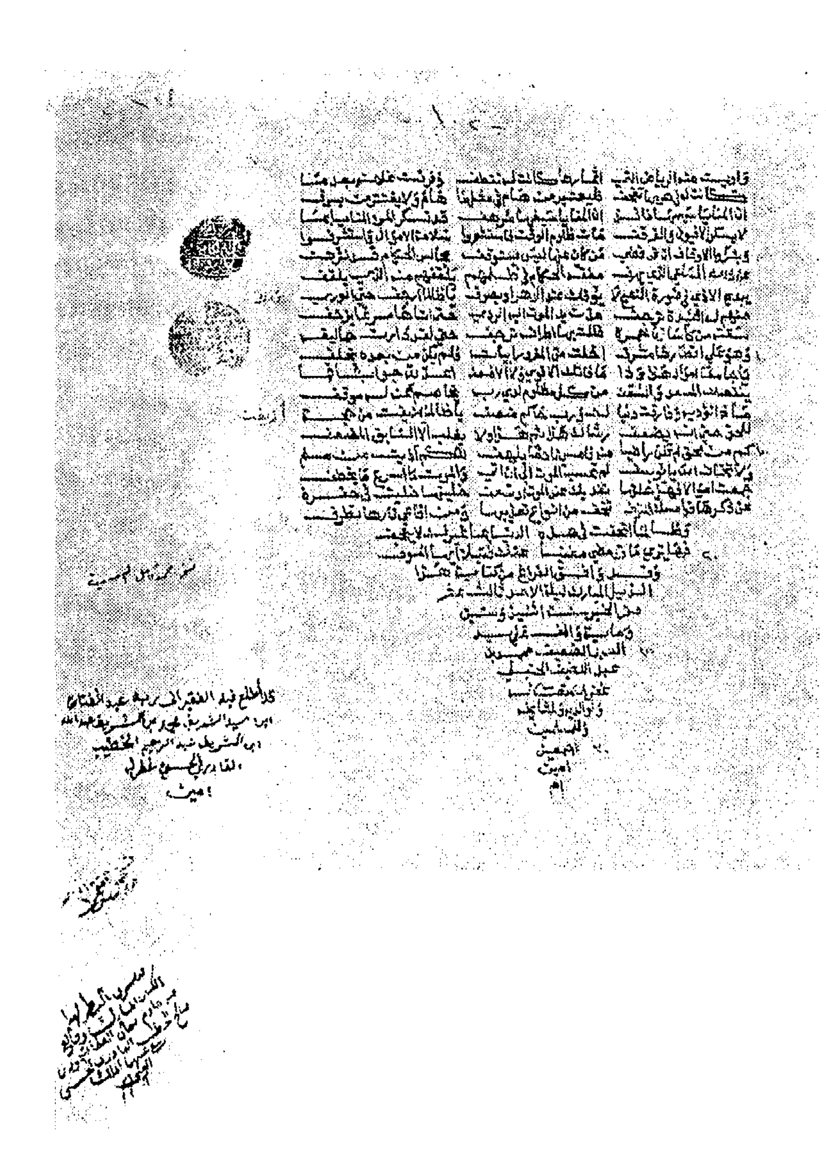
وخلاصة القول فإن الصورة التي قدمها الغزي عن الحياة الثقافية في بلاد الشام ، توضح مدى الوهن الذي وصلت إليه . إذ أن السمة العامة التي خيمت على إنتاج ذلك العصر هي التقليد ، وعدم التجديد والابتكار .

وهكذا يتبين من التحليل السابق لعصر الغزي من خلال كتابه : أنه كان مرحلة انتقالية مضطربة في حياة الدولة الحاكمة العثمانية ، انعطفت من صعود إلى هبوط ، ومن قوة إلى ضعف ؛ مرحلة قلقة من حياة المجتمع الشامي ، سادها الاضطراب والفوضى وعدم الاستقرار ، نتيجة الثورات والحروب المتلاحقة والكوارث الطبيعية وغيرها ، وهذه الأمور بمجموعها تركت بصماتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتلك الفترة . وأثرت فيها تأثيراً سلبياً .

° ° °

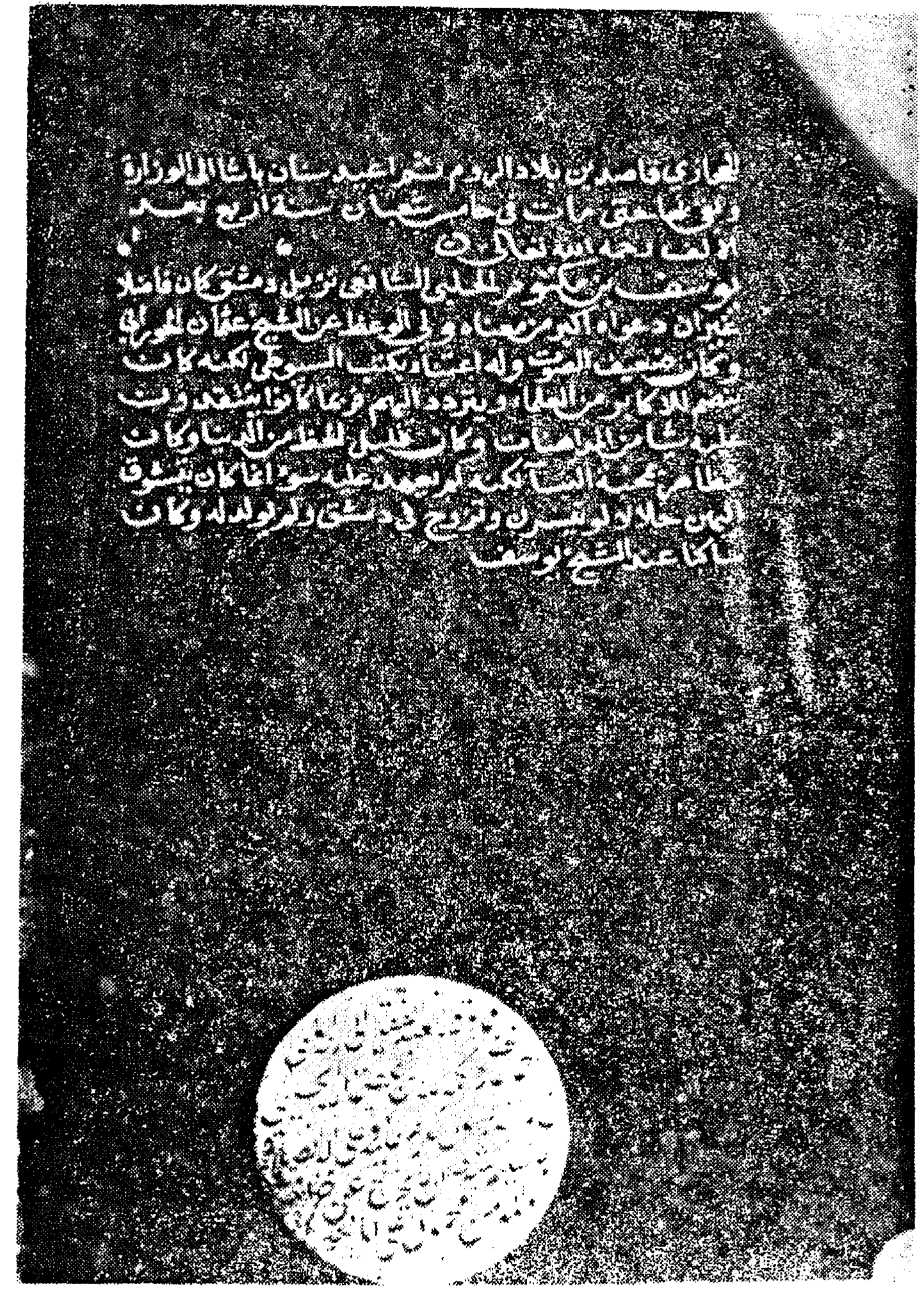
الصفحة الاولى من نسخة الظاهرية ورمزها (ظ)

ورقة اخرى من نسخة الظاهرية



الورقة الاخيرة من نسخة الظاهرية

الورقة الاولى من نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ورمزها (د)



الحجازي قاصدين بلاد الروم ثم اعيد سنان باشا الى الوزارة
ولحق [illegible] مات في حلب في شعبان سنة اربع بعد
الالف رحمه الله تعالى
يوسف بن [illegible] الحلبي الشافعي نزيل دمشق كان فاضلا
[illegible] الوعظ عن الشيخ عثمان [illegible]
وكان ضعيف الصوت وله [illegible] السيوطي لكنه كان
[illegible] من العلماء ويتردد اليهم [illegible]
[illegible] وكان قليل الحظ من الدنيا وكان
[illegible] لكنه لم يعهد عليه سوء انما كان [illegible]
[illegible] وتزوج في دمشق ولم يولد له وكان
[illegible] الشيخ يوسف

الورقة الاخيرة من نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ورمزها (د)